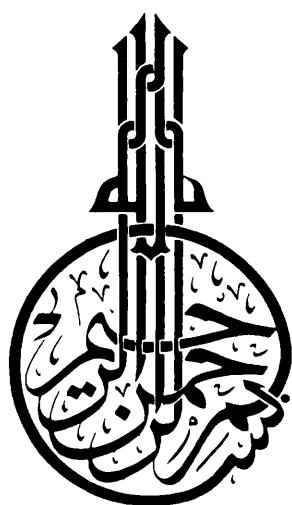




سيد قطب

الشَّهِيدُ الْحَيُّ

الدكتور صلاح عبدالفتاح النخالي



سَيِّدُ قُطَيْبٍ
الشَّهِيدُ الْحَيُّ

الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي

الدار الشامية
تركيا

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

طبعة منقحة

حقوق الطبع محفوظة

هذه الطبعة المنقحة



هذا الكتابُ في أصله القسمُ الأولُ من رسالة الماجستير: «سيد قطب والتصوير الفني في القرآن»، والتي تمَّت مناقشتُها في شهر نيسان ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ، في كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

وكانت لجنة المناقشة من العلماء:

الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات - المشرف على الرسالة.

الأستاذ الدكتور محمد الراوي - رئيس قسم التفسير في الكلية.

الأستاذ المفكر محمد قطب.

وشهد الأستاذ محمد قطب للرسالة شهادةً عظيمةً ثمينة، أعترُّ وأفتخرُ بها. وقد أثبتُّها بعد هذه الكلمة مباشرة. والله الحمد والشكر.

وقد ارتأيتُ أن أقسِّم تلك الرسالة إلى قسمين:

القسم الأول: دراسة شخصية وحياء سيد قطب.

القسم الثاني: دراسة نظريته حول التصوير الفني في القرآن.

وقد أصدرتُ القسم الأول بعنوان «سيد قطب الشهيد الحي»،

ونشرته مكتبة الأقصى في عمان عام ١٩٨١م - ١٤٠١هـ.



ثم نشرتُ الكتابَ الثاني «نظرية التصوير الفني عند سيد قطب»، ثم تابعتُ دراساتي حولَ شخصيةٍ وحياةٍ وفكرٍ وإبداعِ سيد قطب، حيثُ حصلت عام ١٩٨٤ م على الدكتوراه، وكانت الرسالة بعنوان «في ظلال القرآن دراسة وتقويم».

وتابعتُ دراساتي وأبحاثي، عَبَّرَ أكثر من ثلاثين عاماً، أصدرتُ فيها أكثر من خمسين كتاباً ولله الحمد والمنة.

وأصدرتُ عن الأستاذِ الرائدِ المفسرِ المفكرِ المجاهدِ سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ مجموعةً من الكتب هي:

- ١ - سيد قطب الشهيد الحي.
- ٢ - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.
- ٣ - أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب.
- ٤ - مدخل إلى «في ظلال القرآن».
- ٥ - المنهج الحركي في ظلال القرآن.
- ٦ - في ظلال القرآن في الميزان.
- ٧ - سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.
- ٨ - سيد قطب: الأديب الناقد والمفسر الرائد والداعية المجاهد.
- ٩ - الحربُ الأمريكية بمنظار سيد قطب.

أي: إنَّ حوالي خُمسِ كتبي كانت عن سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ.

ومن طريفٍ ما يُقالُ: إنَّ الأستاذَ محمد قطب سألَه سائلٌ عن أمرٍ يتعلَّقُ بسيد قطب، فأجابه مازحاً: لا تسألني، واسأل صلاح الخالدي في الأردن، فإنه أدرى بسيد قطب منِّي!!



وقد وضعتُ في كتابِ «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» كُلَّ ما عرَفْتُهُ عن حياة سيد، وطُبِعَ عدَّة طبعاتٍ، وبعد أكثر من ثلاثين عاماً من نَشْرِ كتابي الأول: «سيد قطب الشهيد الحي» فإنني أعتقدُ أنّ فيه من المعلومات والتحليلات حول سيد قطب وحياته وفكره، ما ليس موجوداً في الكتب الأخرى التي أصدرتها عنه.

وأعترفُ أنه كان في الطبعة الأولى من الكتاب بعضُ الأخطاء التاريخية النادرة، المتعلقة بالمفكر الشهيد.

لذلك عُدتُ إلى الكتاب، وأعدتُ قراءته بإمعان، وصَحَّحتُ تلك الأخطاء وغيرها.

وأقدمُ هذه الطبعةَ المنقحة من كتابي الأول «سيد قطب الشهيد الحي» بعد مرورِ خمسة وثلاثين عاماً على طبعته السابقة، وأرجو أن يجد فيها القراء الكرام جديداً من المعلومات والتحليلات المتعلقة بهذا المفكر الشهيد رَحِمَهُ اللهُ.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

صلاح عبد الفتاح الخالدي

١٥ رمضان ١٤٣٦ هـ

٢٠١٥/٧/١ م

* * *

شهادة الأستاذ محمد قطب للكتاب



من باب حمد الله وشكره، والتحدث بنعمه عَلَيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.. يطيب لي أن أسجل هنا شهادة المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ محمد قطب، وذلك عندما ناقش رسالتي للماجستير «سيد قطب والتصوير الفني في القرآن» عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. فقد قال - جزاه الله خيراً - بين يَدَيَّ مناقشته: «ممتاز.. مِنْ أنضج الدراسات وأدقّها وأوفّاها وأشملّها، وصاحبُها كاتبٌ تراجمٌ ممتازٌ. وعنده صبرٌ على التنقيب، والتجميع، واستخلاص الدلالات، وإيجاد الروابط بينها، وتجميع خيوط الشخصية منها، وإبراز الشخصية واضحة السمات.. وكان يمكن أن يكون هذا القسم وحده رسالة ماجستير مستقلة!». .

ثم قال جزاه الله خيراً: «أمّا القسم الأول من الدراسة - وهو المتعلّق بدراسة حياة سيد قطب، وهو هذا الكتاب - فهو: دقيق، مُحَبَّبٌ، ممتازٌ في طريقة العرض.. وبصرف النظر عن الشخص الذي تناوَلَتْه الدراسة، فإنني أتكلّم عن كاتب هذه الدراسة فأقول: إنّ له قدرةً غير عادية في ترجمة حياة الناس، لو أنه استخدَمها في ما بعد في ميادين أخرى، فإنها موهبةٌ تستحقُّ أن تسجَّلَ، وتستحقُّ أن يُهنَّأَ عليها!

له قدرةٌ على الصبر على تجميع مفردات المادّة، التي يستخرج منها دراسته للشخصية.. له قدرة على تعمُّق الحَدَث، لا يمرُّ به مُروراً سريعاً،

ولو كان حادثاً صغيراً في صورته، لكنه يتعمق دلالة، ليستخرج منه خيطاً من خيوط الصورة التي يرسمها!

له صَبْرٌ على تمحيص الوقائع.. له قدرةٌ على تجميع الخيوط..

إنَّ بعض الناس قد يوفِّق في تجميع نقاط، وفي تعمُّقها واستجلائها، لكنه لا يوفِّق في تجميعها، ليتكوَّن منها صورةٌ حية، صورة شاخصة، صورة معبرة.

المزيّة، أو الموهبة التي وهبها كاتب الرسالة هي: قدرته على تجميع الشخصية من مفرداتها المتناثرة.. وإذا علمنا أنه جمع هذه المفردات من صحفٍ متعدّدة، تغطّي حوالي عشرين عاماً أو أكثر، وأنَّ بعضها أصبح مجهولاً اليوم، لأنه لم يعد يصدر.. وعنّى نفسه أن يبحث عن هذه الصحف، وأن يبحث عن مقالات أو قصائد سيد قطب فيها، وهو جهد ضخمٌ جداً. أعتقد لو أنه تقدّم به لنيل درجة الماجستير، لنالها، وكان مستحقاً فيها لتقديرٍ عظيم.

أقول: إنه في هذا القسم كان موهوباً، وكان مقتدراً، وأبدى موهبة مبكرة، تبشّر - إن شاء الله - بمزيدٍ من الإنتاج في هذا الطريق، تكون بإذن الله مباركة وطيبة..».

إنني أعتز بهذه الشهادة العظيمة من الأستاذ المفكر محمد قطب، والتي سجّلها بقلمه، ونطقها بلسانه، وأحمدُ الله على نِعَمِهِ وأفضاله، فله وحده الحمدُ والشكر، والفضل والمِنَّة.

تقديم

«سيد قطب... الشهيد الحي»



قليلاً ما تنطبق الأسماء على مسمياتها تمام الانطباق! وسيد قطب من الذين تنطبق أسماؤهم عليهم تماماً، فقد كان سيداً، وكان قطباً! ويحلوا لي في هذا المقام أن أورد عبارات لسيد قطب، قالها عن الإمام الشهيد حسن البنا رحمته الله، في مقاله «حسن البناء... وعبقريته البناء».

«في بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور، وحكمة مدبرة في كتاب مسطور.. حسن البناء.. إنها مجرد مصادفة أن يكون هذا لقبه.. ولكن من يقول إنها مصادفة، والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هي البناء، وإحسان البناء، بل عبقرية البناء؟».

لقد عرفت العقيدة الإسلامية كثيراً من الدعاة.. ولكن الدعاية غير البناء.. ما كل داعية يملك أن يكون بناءً، وما كل بناء يوهب هذه العبقرية الضخمة في البناء.. هذا البناء الضخم.. الإخوان المسلمون.. إنه مظهر هذه العبقرية الضخمة في بناء الجماعات..»^(١).

(١) دراسات إسلامية ٢٢٥، طبعة دار الشروق.

إلى أن يقول «.. تُرى أكانت مصادفة عابرة أن يكون هذا لقبه؟ أم إنها الإرادة العليا التي تنسق في كتابها المسطور بين أصغر المصادفات وأكبر المقدورات، في توافق واتساق؟»^(١).

وسيد قطب رحمته الله عاش سيداً، كان سيداً منذ صغره، فكانت اهتماماته هي اهتمامات الكبار، وكان سيداً في شبابه، ملك نفسه، ولم يسمح لها أن تقوده إلى الشهوات، وكان سيداً في انتمائه إلى الإسلام، وانتسابه إلى الحركة الإسلامية المجاهدة، وتحركه بالإسلام، وجهاده في سبيل الله، وكان سيداً في استعلائه على الطغيان، وثباته على الحق، وصبره على المحنة، ومواقفه أمام الطغاة، وكان سيداً حتى في مفارقتها هذه الدنيا، حيث رزقه الله الشهادة، أمنية كل مسلم صادق! لقد عاش سيداً، ومات سيداً، وصدق فيه قول الشاعر:

علو في الحياة وفي الممات لحق تلك إحدى المكرمات

وكما كان سيداً، فقد كان قطباً، قطب في الأدب والنقد، يُقبل القراء والمثقفون على مقالاته وقصائده وتحليلاته، بشغف واستمتاع، وقطب في فكره الإسلامي، حيث يعتبر في طليعة المفكرين الإسلاميين في العصر الحديث، وقطب في جهاده وثباته واستشهاده، وقطب في اقتداء الشباب الإسلامي المجاهد به، في عالم الدعوة والحركة والجهاد.

وأعتقد أن هذه «القطبية» سيكون لها أبلغ الأثر في مسيرة الحركة الإسلامية في المستقبل، وفي الجهود المبذولة لقيام المجتمع الإسلامي، وتحكيم منهج الله في حياة البشر من جديد!.

(١) المرجع السابق ٢٢٧.

وإنَّ سيد قطب هو الشهيد الحي، بالمعنى الكبير لكلمتي «الشهادة» و«الحياة»، لا بمعناهما الضيق، المتبادر إلى أذهان بعض الناس، عند إطلاقهما!.

إن المعنى القريب، الذي يتبادر إلى بعض الأذهان، لكلمة «الشهيد» هو من يموت في سبيل الله! ولكن للشهيد معنى أشمل من هذا! إنه شهيد وشاهد!.

يقول سيد قطب - رحمة الله عليه - في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

«إن الشهداء لمختارون، يختارهم الله من بين المجاهدين، ويتخذهم لنفسه - سبحانه - فما هي رزية إذن ولا خسارة، أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد، إنما هو اختيار وانتقاء، وتكريم واختصاص...».

وعن تضمن كلمة «الشهيد» معنى «الشاهد» يقول: «ثم هم شهداء، يتخذهم الله، ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة، يؤدونها أداء لا شبهة فيه، ولا مطعن عليه، ولا جدال حوله، يؤدونها بجهدهم حتى الموت، في سبيل إحقاق هذا الحق، وتقريره في دنيا الناس»^(١).

وكما كان سيد قطب شهيداً، فقد كان حياً! وما زال حياً! فرغم أنه رحل عنا بجسده الفاني، إلا أنه بقي حياً بيننا في فكره وجهاده، وإبائه واستعلائه، ومواقفه واستشهاده! إن أفكاره حية، وإن كلماته دبت فيها الحياة؛ لأنه سقاها بدمه - دم الحياة - ومات في سبيلها، فاستوت على

(١) في ظلال القرآن ٤٨١/١، طبعة الشروق.



سوقها، وضربت جذورها في أعماق الأرض، وارتفعت فروعها في السماء، واستعصت على القلع والاجتاث، أو القطع والبتر، وصارت تعطي أكلها الشهي في قلوب مؤمنة صادقة، متعطشة للدعوة والجهاد والثبات.

يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

«هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتاً.. إنهم أحياء، فلا يجوز أن يقال عنهم أموات. لا يجوز أن يعتبروا أمواتاً في الحس والشعور، ولا أن يقال عنهم أموات بالشفة واللسان. إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه. فهم لا بد أحياء.

إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين، ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررهما هذه النظرة السطحية الظاهرة.. إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد، وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع.. وهؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله، فاعليتهم في نصرته الحق الذي قتلوا من أجله، فاعلية مؤثرة، والفكرة التي من أجلها قُتلوا، ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثر الباقيين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد، فهم لا يزالون عنصراً فعالاً دافعاً مؤثراً في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى. فهم أحياء أولاً بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس»^(١).

هذا عن حياته بيننا بمواقفه وحركته، وأفكاره وكلماته، أما حياته عند الله ﷻ - كشهيد - فيبينها حديث رسول الله ﷺ، الذي وصف فيه

(١) في ظلال القرآن ١/١٤٣، طبعة الشروق.

حياة الشهداء في الجنة بقوله: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يُسألوا. قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا، حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا»^(١).

بهذه المعاني والإحياءات، وبهذه الظلال والاعتبارات، كان سيد قطب شهيداً حياً، ولذلك اخترت لدراستي هذا العنوان «سيد قطب.. الشهيد الحي».

والله من وراء القصد.

* * *

(١) صحيح مسلم بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ٣: ١٥٠٢ - ١٥٠٣، دار إحياء التراث العربي - لبنان.

مقدمة



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

أما بعد:

فلقد كان سيد قطب رائداً - والرواد في تاريخ البشرية قليلون - في ميدان الأدب والنقد، ورائداً في ميدان الفكر والبحث، ورائداً في ميدان الدعوة والحركة، ورائداً في ميدان الجهاد والاستشهاد.

عاش - رحمة الله عليه - حياة حافلة، وتثقف بثقافة عريضة، وترك آثاراً ضخمة، وختم الله حياته في هذه الدنيا بخاتمة سعيدة، حيث جاءته الشهادة تسعى إليه في سجنه.

إن سيد قطب شخصيةٌ عجيبةٌ حقاً! والأعجب من ذلك هو الجحود الذي قوبل به في حياته من الأدباء والدارسين! والتجاهل الذي لحقه بعد استشهاده من الباحثين! ولقد كان حرياً بعشاق الثقافة والأدب أن



ينشروا تراثه الأدبي، الموجود في المجلات الأدبية المختلفة، التي كانت تصدر فيما بين العشرينيات والخمسينيات من هذا القرن، وأن يتبعوها بدراسات عن شخصيته وبحوثه ومقالاته وأدبه، كما كان حرياً بالباحثين الإسلاميين أن يعدوا دراسات عن فكره الإسلامي، ومنهجه الحركي، ومواقفه الجهادية.

ولو كان سيد قطب عند غيرنا، لكتبوا عنه الكثير، وفاخروا به الدنيا! إنهم يجعلون من بعض رجالهم علماء وعابرة وفلاسفة، وقادة رأي، ورواد فكر، وهم بجانب سيد قطب أقزام أقزام!

إن سيد قطب قمة عالية شامخة، قمة في عالم الأدب والنقد، وقمة في عالم البحث والتأليف، وقمة في عالم الفكر والثقافة، وقمة في عالم الدعوة والحركة والجهاد! إن هذه القمة قد عرفت، ولكنها لم تكتشف!

وليس عجباً أن يكون قمة، ولكن الغريب أنها لم تُثر في نفوس المعجبين حوافز لاكتشافها! حيث اكتفوا بالنظر إليها من بعيد، معجبين مبهورين! وإن محاولات اكتشاف هذه القمة ما زالت في مراحلها الأولى تستنهض همم الباحثين.

ظهرت بعض الدراسات عن سيد قطب، والدراسات التي ظهرت باللغة العربية حتى الآن هي: «العالم الرباني الشهيد سيد قطب»، للمرحوم العشماوي أحمد سليمان، و«سيد قطب: خلاصة حياته ومنهجه في الحركة والنقد الموجه إليه»، لمحمد توفيق بركات، و«مع سيد قطب في فكره السياسي والديني» للدكتور مهدي فضل الله، و«سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري»، لإبراهيم عبد الرحمن البليهي، و«سيد قطب

أو ثورة الفكر الإسلامي» لمحمد علي قطب^(١)، و«الشهيد سيد قطب»، وهو مجموعة من المقالات نشرتها جماعة أصدقاء الشهيد سيد قطب. بالإضافة إلى العديد من المقالات نشرت عنه في المجلات الإسلامية، في ذكرى استشهاده، وهناك عدد من الدراسات عنه ما زالت قيد التحرير^(٢)، أو تحت الطبع^(٣).

ولكن معظم هذه الدراسات تنقصها الدقة والموضوعية، والتوثيق والبحث المستقصي، حيث صيغت بأسلوب عاطفي، ووجدت فيها أخطاء كثيرة، أثناء الحديث عن حياة سيد قطب الأدبية أو الإسلامية، أو أثناء الإشارة إلى تراثه الأدبي والفكري.

(١) نشر محمد علي قطب كتابه هذا في لبنان، حيث صدرت طبعته الثانية عن دار الحديث عام ١٣٩٥هـ، وقد نشرت له حديثاً دار المختار الإسلامي في القاهرة كتاباً آخر تحت عنوان «سيد قطب.. الشهيد الأعزل» وكان المتوقع أن يكون دراسة ثانية للمؤلف عن سيد قطب!! ولكنه لم يكن كذلك!! وإنما هو نفس كتابه الأول أعاد طباعته في مصر، واختار له عنواناً جديداً، وأضاف له كلمة قصيرة عن «التكفير والهجرة» و«العزلة»!! وقد وضع في مقدمة كتابه «القديم الجديد» كلمة للأستاذ محمد قطب - شقيق الشهيد - نشرتها مجلة الشهاب اللبنانية قبل سنوات حول فكر الشهيد. وقد أؤهم القراء بأن الأستاذ محمد قطب قرأ كتابه وقدم له!! أقدم هذه الحقيقة للقراء بدون تعليق، فهي تغني عن التعليق!

(٢) من هذه الدراسات دراسة الأخ الأستاذ عبد الله الخباص عن «سيد قطب الأديب الناقد» التي يعدها للحصول على الماجستير في الآداب من الجامعة الأردنية. ودراسة الأستاذ أحمد البدوي بعنوان «سيد قطب ناقدًا» التي يعدها للحصول على الدكتوراه في الآداب من جامعة الخرطوم.

(٣) صدر أخيراً - وبعد الانتهاء من هذه الدراسة - كتاب الأستاذ يوسف العظم عن «رائد الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب» وهو من أجود الدراسات التي صدرت عن سيد قطب - حتى الآن!.



لذلك أعددت هذه الدراسة عن سيد قطب، وأملّي أن أكون قد وفقت في تقديم صورة حقيقية صادقة عن سيد قطب، وأن تكون علمية موضوعية موثقة، ولائقة بالشخصية الفذة التي تناولتها.

وقد بذلت جهداً كبيراً أثناء جمع المادة، حيث بحثت عن المعلومات والأخبار في مظانها، وحرصت على مقابلة الأشخاص الذين كانت تربطهم بسيد قطب علاقة وثيقة، وكان في مقدمة الذين قابلتهم وأفدت منهم فائدة عظيمة شقيقه الأستاذ محمد قطب جزاه الله خيراً، وقد حالت ظروف القاهرة بيني وبين مقابلة بعض الأشخاص في مصر.

كما بذلت جهداً كبيراً في الاطلاع على مقالات سيد قطب في الصحف والمجلات، التي كانت تصدر في الفترة ما بين ١٩٢٤م - ١٩٥٤م، وقد اطلعت على مقالاته في مجلات: الرسالة، والثقافة، والكتاب، والكاتب المصري، والمقتطف، والعالم العربي، والمسلمون. واطلعت على بعض مقالاته في مجلات: الأسبوع، والبلاغ الأسبوعي. وهناك العديد من المجلات لم أتمكن من الاطلاع على مقالاته فيها، حيث حالت الظروف القاهرة - ثانية - دون ذلك، مثل: الجهاد، والحياة الجديدة، والأهرام، والوادي، والسوادي، والأفق الجديد، وروز اليوسف، واللواء الجديد، والاشتراكية، والدعوة، والإخوان المسلمون.

وقد جعلت هذه الدراسة في بابين:

الباب الأول: عصر سيد قطب وبيئته وحياته، وهو ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عصر سيد قطب: انتقلت أربعة مظاهر للحياة في هذا

العصر: الحياة السياسية وأهم أحداثها، والحياة الاجتماعية وأبرز ملامحها، والحياة الإسلامية وأوضح مظاهرها، والحياة الأدبية وأشهر رجالها.

الفصل الثاني: بيئة سيد قطب: تحدثت فيه عن قريته في الصعيد، وعن أصله، وفصلت الحديث عن أسرته، ورسمت ملامح لوالده ووالدته، وعرفت بإخوته، وتحدثت عن نشأته وسط هذه الأسرة، وتربيته فيها، وختمت هذا الفصل بالحديث عن وصفه.

الفصل الثالث: مشاهد من حياة سيد قطب: عرضت فيه لمشاهد مختلفة من حياته، واخترت من المشاهد ما له دلالة واضحة على حياته وشخصيته.

والمشاهد التي عرضتها هي: دراسته في القرية، ودراسته في دار العلوم، وسيد قطب في وزارة المعارف، وسيد قطب مع عباس العقاد، وعمله في الصحف والمجلات، والمرأة في حياته، وسيد قطب في أمريكا، وسيد قطب مع جماعة الإخوان المسلمين، وختمت هذه المشاهد بذكر محنته واستعلائه، ثم صدور حكم -جائر غشوم - بإعدامه. ووصفت اللحظات الأخيرة التي سبقت استشهاده.

الباب الثاني: ثقافته ومواهبه وآثاره، وهو أربعة فصول:

الفصل الأول: تحدثت فيه عن مصادر ثقافته وأثرها على فكره، ذكرت فيه مصادر ثقافته في القرية، وفي كلية دار العلوم، ومصادر ثقافته العربية في القاهرة، كما تحدثت عن مصادر ثقافته الغربية، وأثرها السلبي على شخصيته ونفسيته وفكره، والتي أوصلته إلى «رحلة الضياع»، وصحبته قليلاً في رحلة ضياعه، وأثبت بعض أشعاره



التي قالها وهو يقطع هذه الرحلة. ثم تحدثت عن ثقافته الإسلامية التي أنهت ضياعه، ونقلته «نقلة بعيدة» إلى عالم الرضا والاطمئنان، عالم المعرفة الصحيحة والتصور السليم، عالم الدعوة والجهاد في سبيل الله.

الفصل الثاني: ملامح شخصيته وخصائص أسلوبه: رسمت فيه أهم ملامح شخصيته، وهي: الصدق، والجدية، والحركة، والعصامية، والعزة، والنزاهة، وذكرت أهم خصائص أسلوبه وهي: التصوير، والوضوح، والسلاسة، والثورية.

الفصل الثالث: مواهبه: بينت فيه أبرز مواهب سيد قطب باختصار، واخترت سبعة جوانب تجلت فيها مواهبه، وهي: الأدب، والشعر، والنقد، والقصة، والمحاضرة، والبحث، والتحليل السياسي.

الفصل الرابع: تراثه الأدبي والفكري: ذكرت فيه أهمية نشر تراثه كله، وبخاصة مقالاته الأدبية في الصحف والمجلات، ثم تحدثت عن كتبه المطبوعة، ورتبتها حسب صدور طبعاتها الأولى، وعرفت فيها بإيجاز، وختمت هذا الفصل بذكر بحوث له أعدها أو بدأ في إعدادها، ولكنها لم تنشر.

وبعد:

فها هي هذه الدراسة، أقدمها - الآن - بهذه الصورة، وإنني أرجو من القراء الكرام، أن يتكرموا بتصحيح ما قد يوجد فيها من أخطاء، وإضافة ما قد يوجد عندهم من معلومات.

وإنني أشكر الله ﷻ على نعمه الكثيرة التي أنعم بها عليّ، ومنها هذه الدراسة، فما كان فيها من حق أو صواب فمن الله، وأشكره أن



وفقني إلى ذلك، وما كان فيها من خطأ أو نقص فمن نفسي، وأعتذر
عن ذلك، وأعوذ بالله من فتنة القول، وفتنة العمل.

دعواهم فيها سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن
الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله
وصحبه وسلم.

صلاح عبد الفتاح الخالدي

١٤٠١/١/٤ هـ

١٩٨٠/١١/١١ م

* * *

الباب الأول

عصره وبيئته وحياته





الفصل الأول
عصر سيد قطب





من الضروري أن يسبق دراسة شخصية سيد قطب، الحديث عن عصره الذي عاش فيه، ورسم ملامح بارزة لمختلف مظاهر الحياة في ذلك العصر.

لأن سيد قطب أديب كبير، ومفكر عظيم، عاش في هذا العصر، وتأثر بما يجري حوله، وتفاعل معه، فلا بد من معرفة الحياة التي عاشها، والاتجاهات التي خبرها، وسبر غورها، والشخصيات التي اتصل بها، والبيئة التي تفاعل معها، والأحداث التي أثر فيها، أو أثرت فيه.

لذا لن يكون حديثنا عن عصر سيد قطب، تقليداً لدارسي الشخصيات القديمة - الذين يتحدثون عن عصر الشخصية التي يدرسونها قبل حديثهم عن الشخصية نفسها - وإنما نتحدث عن عصره لنكوّن صورة واضحة لهذا العصر، الذي عاش فيه هذا الرجل الكبير.

وسوف نرسم في هذا الفصل صورة بارزة الملامح لمظاهر الحياة السياسية، والحياة الاجتماعية، والحياة الأدبية، والحياة الإسلامية، لهذا العصر، لأنها هي التي كان لها أثر مباشر على سيد قطب، وكان له فيها دور بارز ملموس.

المبحث الأول الحياة السياسية

مصر - أرض الكنانة - مركز ثقل العالم الإسلامي، ومنطلق الريادة الفكرية والأدبية والإسلامية في العصر الحديث، وأحداثها السياسية تؤثر على العالم الإسلامي - سلباً أو إيجاباً -، لذلك يهتم المراقبون برصد ما يجري فيها بعناية، ويركز أعداء الإسلام عليها في مؤامراتهم ضد المسلمين.

فكرت فيها فرنسا كثيراً، وكانت تنافس بريطانيا في حبك المؤامرات ضدها، وتسابقها على استعمارها، وقام نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا باحتلالها في سنة (١٧٩٨م)، وبقيت فيها فرنسا بعده حوالي ثلاث سنوات، إلى أن اضطرت للرحيل عنها في سنة (١٨٠١م)^(١).

مصر تحت حكم أسرة محمد علي:

حكم مصر بعد رحيل فرنسا محمد علي، كوالٍ من قبل الخليفة العثماني في أول الأمر، ثم استقل بالحكم، بعد أن ضعفت علاقته بالخلافة، وتقرّب من دول الغرب وبخاصة فرنسا وإنجلترا^(٢).

استمر الحكم في أسرته وراثياً، ولم يكن الخديويون^(٣) يستقلون بأنفسهم في تسيير دفة الحكم، بل كانوا يعتمدون على الخبراء الأجانب، وبخاصة الفرنسيين والبريطانيين، فلم يكن عندهم الإرادة

(١) انظر تفاصيل الحملة الفرنسية في كتاب (الحملة الفرنسية) للدكتور محمد فؤاد شكري.

(٢) عصر محمد علي للرافعي ٢٤١ - ٢٤٢.

(٣) الخديوي: لقب أطلق على ملوك مصر: (إسماعيل وتوفيق وعباس).



القوية، ولا الثقة بالنفس، فكانوا يشعرون بأنهم عالة على الغرب، لقد كانوا مهزومين روحياً أمام الحضارة الغربية المادية الصاعدة، يطلقون على الغرب لقب «العالم المتنور»، ويسمون باريس «مدينة النور»!

كان الخديويون بلاء على الشعب المصري، حيث احتفظ لهم الشعب بمشاعر الكره والبغضاء، وإن لم يكن يجرؤ على إظهار هذه المشاعر.

لقد غدت مبادئهم ذائعة، وإسرافهم مشهوراً، حتى إنّ الخديوي إسماعيل كان يستدين من الدول الغربية ملايين الجنيهات للإنفاق على ملذاته وشهواته، فصارت الخزينة المصرية مثقلة بالديون الباهظة للغرب، وبعد أن عجزت عن سداد هذه الديون، شكلت الدول الغربية مجلساً من أعضائها، للوصاية على نفقات الدولة في مصر، ولتتمكن من استيفاء هذه الديون من واردات الدولة^(١).

في سنة (١٨٨١م) قام أحمد عرابي - الضابط في الجيش المصري - بثورة على الخديوي توفيق، عرفت فيما بعد بالثورة العرابية، وأيدته فئات كبيرة من الجيش والشعب، وأوشكت ثورته أن تنجح، لولا أن تدخلت بريطانيا لصالح الخديوي، وقامت بإخمادها، حيث ضرب الأسطول البريطاني الإسكندرية، ثم نزل الجيش إلى البر، واتجهوا صوب القاهرة، وفي الطريق انتصروا على جيش عرابي في معركة (التل الكبير)، فدخلوا القاهرة، وقضوا على الثورة والثوار، ونفوا زعماء الثورة كأحمد عرابي، ومحمود سامي البارودي إلى الخارج، وأعادوا الخديوي إلى الحكم.

(١) انظر «مصر والمسألة المصرية» للدكتور أحمد مصطفى ١٨ - ٨١.

مصر تحت الاستعمار الإنجليزي الشامل:

حكمت بريطانيا مصر حكماً مباشراً، وانتشر الجيش البريطاني في طول البلاد وعرضها، وقامت باعتقال الفئات الوطنية، أو نفيها وتشيدها، وحلت مجلس النواب، وأصبح لدار المندوب السامي البريطاني في مصر من النفوذ ما يقارب نفوذ قصر عابدين مقر الخديوي^(١).

لم تكتف بريطانيا بالاحتلال العسكري لمصر، فاستعمرتها استعماراً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً، وأحضرت الخبراء والمستشارين البريطانيين، وعينتهم في الوزارات والمؤسسات والمصالح، على حساب الخزينة المصرية، وحرصت على أن تكون مصر تابعة لها في كل شيء، وكان من أشهر هؤلاء المستشارين القس (زويمر)، واللورد (كرومر) المعتمد البريطاني، و(دنلوب) مستشار وزارة المعارف، وواضع الأسس العلمانية للتعليم الحديث في مصر، والذي تخرجت على يديه أفواج من قادة مصر السياسيين والفكرين فيما بعد، مثل سعد زغلول، وأحمد لطفي السيد وعبد العزيز فهمي^(٢).

وكعادة الأمم المغلوبة، وجدت فئة من الوصوليين والانتهازيين المصريين، كانت تعتبر نفسها تبعاً لبريطانيا، وقفت حياتها على خدمتها، وتفانت في تنفيذ برامجها وخططها، كانت هذه الفئة تمثل قطاعات مختلفة: فكان منها رؤساء وزارات، ووزراء، وزعماء أحزاب،

(١) انظر «الثورة العراقية والاحتلال الإنجليزي» لعبد الرحمن الرافعي.

(٢) الاعتصام العدد الثاني السنة الثانية والأربعون نوفمبر ١٩٧٨، مقال أنور الجندي عن سعد زغلول صفحة ١٨، والاتجاهات الوطنية لمحمد محمد حسين ٢: ٤٠٦ - ٤٠٧.



وحزبيون، ورجال سياسة، ورجال اقتصاد، ومؤسسو جمعيات، وقادة فكر ورأي، مثقفون كبار... إلخ، فلا غرابة في أن يطول عمر الاحتلال البريطاني، ولا عجب أن تنجح بريطانيا في تحقيق ما تريد.

ظهور أحزاب عديدة في مصر:

نشأت في مصر أحزاب كثيرة، معظمها استمد برامجها وأهدافه من الغرب، وأغلب مؤسسي هذه الأحزاب وقادتها كانوا مهزومين روحياً أمام الغرب، يرون في مبادئه وقيمه ونظمه المثل الأعلى، وتنافس رجالات الأحزاب في كسب أصوات الشعب في الانتخابات النيابية، وتهالكوا على المناصب الحكومية والوظائف الرسمية، وتسابق أكثرهم في كسب ود المندوب السامي البريطاني ورجاله، وتنفيذ ما يشير به^(١).

كان من أوائل الأحزاب ظهوراً (الحزب الوطني) الذي أنشأه مصطفى كامل سنة ١٩٠٧م، وهو زعيم شعبي محبوب، كان مخلصاً لأمته، يسعى لإخراج بريطانيا من البلاد، ولا يُخفي تعاطفه مع الخليفة العثماني، ولا اتجاهاته الإسلامية التي اصطبغ بها حزبه فترة من الوقت، ولم يعمر مصطفى كامل طويلاً، فقد مات في ريعان شبابه بعد عام من إنشائه للحزب^(٢).

وفي عام ١٩٠٧م ظهرت ثلاثة أحزاب ذات أهداف متشابهة: الحزب الوطني الحر بزعامة عبد الخالق ثروت ومحمد فريد، وحزب

(١) الاتجاهات الوطنية ٢: ٤٢٤ - ٤٢٥.

(٢) لمعرفة شخصية مصطفى كامل انظر كتاب (مصطفى كامل، لعبد الرحمن الراجحي) ٤٠٨ -

٤٣٣، والاتجاهات الوطنية: ١: ٩٢.

الأمة بزعامة الشيخ حسن عبد الخالق ومحمود سليمان، وحزب الإصلاح بزعامة الشيخ علي يوسف^(١).

ظهور الزعيم سعد زغلول:

كذلك ظهر سعد زغلول في هذه الفترة زعيماً شعبياً في مصر، وأنشأ حزب الوفد، الذي ضم كبار الملاك والباشوات بشكل خاص، وصار وزيراً أكثر من مرة، ثم شكل الوزارة المصرية عدة مرات، وقد تتلمذ سعد زغلول على الشيخ محمد عبده^(٢)، بل كان من أبرز تلاميذه.

أقام سعد زغلول علاقات مع اللورد كرومر، وترك هذا الأخير بصماته واضحة على شخصية زعيم مصر الأول، فصار سعد فرعوني الاتجاه، وصار يتفقت من الإسلام في تصوراته وأخلاقه، فنادى بفصل الدين عن الدولة، ودعا إلى تجميد اللغة العربية^(٣)، وراح يستخدم الأساليب السياسية الملتوية، التي تقوم على الدجل والخداع، في محاولة منه لاستقطاب الجماهير حوله، وكان مفتوناً بحب ذاته! كذلك اعتاد سعد لعب القمار، فذهب بثروته التي تقدر بالملايين، وقد ترك مذكراته التي اعترف فيها بالكثير، ولكنها لم تنشر حتى الآن^(٤).

- عندما قامت الحرب العالمية الأولى انضم الخديوي عباس حلمي

(١) مع سيد قطب لفضل الله: ٢٤، والاتجاهات الوطنية ١: ٩٤ - ٩٥.

(٢) الاتجاهات الوطنية: ٢: ٣٩٢ والفكر الإسلامي المعاصر ٥٩.

(٣) محمد فريد: ٨٠.

(٤) الاتجاهات الوطنية ٢: ٤٠٦ - ٤١٤ ومجلة الاعتصام: نوفمبر ١٩٧٨م ١٨ - ٢١.

الثاني إلى تركيا في حربها ضد الحلفاء - ومنهم بريطانيا - فقامت بريطانيا بخلعه ونصبت مكانه حسين كامل^(١)، ودخلت مصر الحرب إلى جانب الحلفاء، وأصبحت قاعدة ضخمة لبريطانيا، وانضم شعبها للمعركة، ووضعت مواردها في خدمتها، ومنها انطلق الجيش البريطاني بقيادة النبي، إلى فلسطين وسوريا، هذا وقد كانت مصر مركزاً للمؤامرات التي تدبر ضد الخلافة.

ولقد وقعت ثورة عارمة في مصر ضد الإنجليز سنة ١٩١٩م، اشترك فيها الشعب بكل فئاته، وكان اسم سعد زغلول زعيم الثورة يتردد على كل لسان، واستمرت الثورة مدة طويلة، وفي النهاية قضت عليها بريطانيا، ونفت زعماءها كسعد زغلول وعبد العزيز فهمي إلى خارج البلاد^(٢).

أصبح حزب الوفد الذي شكله سعد زغلول، الحزب الجماهيري الشعبي في البلاد، نظراً لما قام به في الثورة، وفاز الحزب بأغلبية مقاعد المجلس النيابي، وشكل الوزارة أكثر من مرة، وبعد وفاة سعد زغلول، أُعلن عن مصطفى النحاس زعيماً للحزب، وبقي في زعامته حتى حلته الثورة مع غيره من الأحزاب عام ١٩٥٢م.

وفي سنة ١٩٢٨م أنشأ الشيخ حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين، حيث كان يعمل مدرساً في مدينة الإسماعيلية، وأخذ يلقي الدروس العامة، يدعو فيها إلى الالتزام بالإسلام، وراح يربي الشباب، وينظمهم في الجماعة، وقد ظهر ثقل الجماعة الواضح على الحياة

(١) محمد فريد ٣٤٨.

(٢) الاتجاهات الوطنية ١٤٢ وما بعدها.

السياسية والإسلامية والفكرية في مصر والعالم العربي في الأربعينيات وأوائل الخمسينيات^(١).

حزب الوفد يحكم مصر بأمر من الإنجليز:

وفي سنة ١٩٣٦م وقع مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد اتفاقية مع بريطانيا، اعترفت فيها باستقلال مصر، ولكنه كان استقلالاً ظاهرياً، فوجود بريطانيا ظاهر ملموس، وبخاصة معسكرات جيشها على ضفاف قناة السويس، وأدى هذا الوضع إلى قلق الشعب المصري، ثم إلى قيام مظاهرات عارمة، تندد بوجود المستعمر، وتحولت المظاهرات إلى أعمال فدائية فردية وجماعية، استهدفت أفراد الجيش البريطاني ومنشآته في البلاد^(٢).

انضمت مصر في الحرب العالمية الثانية إلى بريطانيا، ضد دول المحور - ألمانيا وإيطاليا واليابان -، ودخلت بذلك في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل، اللهم إلا إرضاء سيدتها بريطانيا، ووضعت كافة الإمكانيات البشرية والمادية والمعنوية في المعركة، وقد أدى دخول الحكومة والقصر الحرب، إلى تملل في البلاد، وقامت الفئات الوطنية بإعلان معارضتها لهذا الأمر.

وفي شباط - فبراير - ١٩٤٢م قامت بريطانيا بتدخل مباشر مفضوح في سياسة مصر الداخلية، حيث حاصرت دباباتها قصر الملك، وقدم مندوبها السامي إنذاراً له، بأنه إن لم يكلف مصطفى

(١) انظر: كتاب (الإخوان المسلمون والمجتمع المصري) لمحمد شوقي زكي وكتاب (الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية) للدكتور إسحق موسى الحسيني.

(٢) مع سيد قطب في فكره السياسي والديني: ٢٨، والاتجاهات الوطنية ٢: ٤٢٨.



النحاس - زعيم حزب الوفد - بتشكيل الوزارة، فإن عليه أن يستقيل. وأحدث هذا التدخل استياءً عاماً عند الشعب وفئاته الوطنية، التي راحت تندد به بأسلوب مباشر وغير مباشر، وسقطت آخر أسهم حزب الوفد الشعبية، الذي جاء هذه المرة للحكم على أسنة وحراب الجيش البريطاني^(١).

وحتى منتصف الأربعينيات لم يكن للجهات الرسمية في مصر ولا لمعظم قادة الرأي فيها وجه عربي معروف، بل على العكس كانوا يمجدون الفرعونية، وينادون بأن مصر للمصريين، وإلى جانب هؤلاء كانت فئات إسلامية في البلاد تبرز وجه مصر الإسلامي، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، وقد أحدثت مبادئ وأهداف هذه الجماعة تياراً إسلامياً عاماً، ينادي بالإسلامية كبديل للفرعونية والوطنية، واستقطبت هذه الجماعة فئات كبيرة من مختلف قطاعات الأمة، فخشيت بريطانيا على البناء الذي أشادته في البلاد أن يتحطم تحت مطارق الإسلاميين، وعلمت أن الوطنية الضيقة لم تعد تصلح رابطة تجمع للشعب!

وبعد البحث وجدت بريطانيا ضالتها في القومية كرابطة جديدة، فعملت - من وراء ستار - على تأسيس جامعة الدول العربية. وأصبحت القاهرة - التي كانت بالأمس تنادي بالفرعونية - مقراً لهذه الجامعة، وراحت مصر حكومة وأحزاباً تنادي بالقومية، وتحولت إلى رائدة للقومية العربية، وأبرز وجهها العربي، وانطلقت

(١) مع سيد قطب ٢٩، ومقال سيد قطب (أين أنت يا مصطفى كامل) في الرسالة - السنة الثالثة عشرة - المجلد الثاني، عدد ٦٤٨ تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٤٥: ١٣٠٩ - ١٣١٠.

الحيلة على الشعوب العربية، وظنوا الجامعة العربية نتاجاً عربياً صرفاً، كما توهموا أن في القومية العربية الحل السحري لكافة مشكلاتهم^(١).

اشتراك فئات مصرية في حرب فلسطين:

وفي هذه الفترة بدأت الاشتباكات بين الشعب الفلسطيني والعصابات اليهودية المهجرة إلى فلسطين، وكانت جماعة الإخوان المسلمين - بفروعها في مصر وسوريا والأردن - هي الوحيدة من بين جميع الهيئات والجمعيات والأحزاب في مصر والعالم العربي، التي ساهمت مساهمة فعّلية جادة في الجهاد على أرض فلسطين، وقامت بواجبها الإسلامي في هذا المجال، فأقامت معسكرات للتدريب، وأرسلت أفرادها إلى ميدان الجهاد، وقادت المتطوعين من الشعب - حتى من غير الإخوان -، وأظهر متطوعو الإخوان شجاعة عجيبة في القتال، شهد بها الجميع^(٢). ورغم ضعف إمكاناتهم المادية فإنهم بثوا الرعب والهلوع في قلوب اليهود، ولو خلي بينهم وبين اليهود لتغيرت معالم خارطة المنطقة السياسية! ولكن كيف تسمح بريطانيا بهذا الأمر؟ كيف تسمح بالقضاء على إسرائيل؟ وعلي يد من؟ على يد ألد أعدائها وهم الإخوان المسلمون؟^(٣).

(١) الاتجاهات الوطنية ٢: ١٤٥ - ١٥٨ و ١٧٢ - ١٧٣ و ١٨٦ - ١٨٩.

(٢) منها شهادة اللواء فؤاد صادق قائد الجيش المصري في فلسطين في «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين»: ٢٤٠ - ٢٤٦، واللواء أحمد المواوي في (مذابح الإخوان): ١٢.

(٣) لمعرفة بعض بطولات الإخوان في حرب فلسطين انظر (الإخوان المسلمون في حرب فلسطين) لكامل الشريف.



قررت الدول العربية - أعضاء الجامعة - إدخال جيوشها إلى المعركة بهدف إنقاذ فلسطين في الظاهر! وأرسلت مصر وحدات من جيشها إلى جنوب فلسطين، وزودته بأسلحة فاسدة، ومُنِي الجيش المصري بهزيمة بشعة أمام عصابات اليهود^(١)!

أما المجاهدون الصادقون على أرض المعركة، فقد حيكّت المؤامرات للتخلص منهم، حيث اجتمع مندوبون عن كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا، في معسكرات الجيش البريطاني في فايد - في مصر - ووضَعُوا خطة عاجلة للقضاء على جماعة الإخوان المسلمين، وطلبوا من محمود فهمي النقراشي - رئيس الوزارة المصرية - التخلص من الجماعة والقضاء عليها^(٢)!، وما كان النقراشي ليتأخر في تنفيذ طلبات أسياده، فدبر للجماعة تهماً ملفقة، وحلها وأغلق شُعْبَهَا، واعتقل أفرادها في مصر، وجرد مجاهديها في فلسطين من السلاح، وأخذهم من ميدان الجهاد إلى معسكرات الاعتقال متخنين بالجراح^(٣).

وهكذا كان عند حسن ظن (موشي دايان) الذي قال في ذلك الوقت: إن إسرائيل لا تخشى الدول العربية مجتمعة، ولكنها تخشى المتعصبين من الإخوان المسلمين! أما هؤلاء فحكوماتهم كفيلة بهم!

أما مرشد الإخوان ومؤسس جماعتهم حسن البنا، فلم يعتقل مع أفراد جماعته، وإنما أبقتَه الحكومة المصرية طليقاً لتدبر له عملية

(١) انظر كتاب (الإخوان المسلمون في حرب فلسطين) للشريف.

(٢) الفكر الإسلامي المعاصر لغازي التوبة: ٣٤٥. وانظر الإخوان المسلمون والمجتمع

المصري لركي: ٢٩ - ٣١ و(مذابح الإخوان في سجون ناصر) ١٣ - ١٤.

(٣) الإخوان المسلمون في حرب فلسطين للشريف: ٢٢١ - ٢٢٣ و٢٢٨ - ٢٩١.

اغتيال نكراء، فتم اغتياله في وسط القاهرة ليلة عيد ميلاد فاروق ملك مصر، حيث اخترقت جسمه الطاهر عدة رصاصات، لقي على أثرها ربه شهيداً^(١).

وانهزمت الجيوش العربية في فلسطين، وأعلن عن قيام إسرائيل على أرض فلسطين عام ١٩٤٨.

الإخوان المسلمون يقودون المقاومة ضد الإنجليز:

وفي عام ١٩٥١م، وبعد أن أُخرج الإخوان من السجون، قادوا المقاومة الشعبية ضد قوات الاحتلال البريطاني في مصر، فقاموا ضدها بعمليات فدائية جريئة، مما عجل في رحيل هذه القوات بعد ذلك^(٢).

بعد ظهور خيانة المسؤولين في مصر لفلسطين، وعودة الجيش المصري مهزوماً إلى القاهرة، حصلت الأزمات الوزارية المتعددة، واشتركت الأحزاب في لعبة تشكيل الوزارة، ثم حجب الثقة عنها وإسقاطها، حتى لقد سُكلت أكثر من وزارة في عام واحد، وسقطت هيئة القصر، وفقد الملك سيطرته الفعلية على البلاد، وصارت أيام الملك في الحكم معدودة^(٣). وتجلي هذا في حريق القاهرة الكبير الذي حدث سنة (١٩٥٢م) حيث احترقت شوارع تجارية في وسط القاهرة.

كان للإخوان المسلمين السيطرة الفعلية على الشارع المصري، حيث ضمت الجماعة القطاعات الشعبية المختلفة، وأثبتت وجودها

(١) اغتيال الإمام الشهيد في ١٢ فبراير عام ١٩٤٩م.

(٢) انظر كتاب المقاومة السرية في قناة السويس. لكامل الشريف.

(٣) لعبة الأمم ٨٤ - ٨٦.



بفعالية في أية قضية وطنية، سواء في فلسطين ضد اليهود، أو على ضفاف قناة السويس ضد الاحتلال البريطاني، أو غير ذلك، وبهذا أصبحت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق أهدافها النهائية، وقيام المجتمع الإسلامي في البلاد.

غير أن أعداء الإسلام، الذين كانوا يرصدون ما يجري في مصر عن كثب، خافوا أن يحكم الإسلام؛ لأنه سيقضي على خططهم ومطامعهم وأهدافهم، وبما أن الملك فاروق أصبح ورقة خاسرة، فكان لا بد من البحث عن بديل له، وكان هذا البديل متمثلاً في تنظيم عسكري داخل الجيش، يسمى تنظيم «الضباط الأحرار» فأقاموا مع المسؤولين عنه اتصالات سرية، لم يكشف النقاب عنها إلا مؤخراً^(١).

قيام الانقلاب العسكري عام ١٩٥٢م:

وفي ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ قام هذا التنظيم - الضباط الأحرار - بانقلاب عسكري، وظهر اللواء محمد نجيب كقائد له، ومن ثم ألغيت الملكية في البلاد وشكل الانقلاب مجلساً لقيادة الثورة، وعين محمد نجيب أول رئيس للجمهورية.

وبدت الثورة إصلاحية، وحلت الأحزاب، وقامت خلافات بين رجال الثورة والإخوان المسلمين، ودبرت مسرحية أعلن فيها عن محاولة اغتيال رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر، من قبل أحد شباب

(١) انظر: مقالات أحمد معروف في المجتمع عدد: ١٦٥ تاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٧٣ من ١٨ - ٢١ وتاريخ ٤ سبتمبر ١٩٧٣ من ١٨ - ٢٠، ولعبة الأمم ٨٢ - ٩٣.

الإخوان^(١). وأعلنت الحرب على الجماعة، وزج بعشرات الألوف من الإخوان في السجون وتعرضوا لأسوأ أنواع التعذيب، واستشهد منهم نتيجة له من استشهد، وشكلت محاكم صورية لمحاكمة الإخوان، وحكم على العديد منهم بالسجن مدداً طويلة، وحكم على سبعة من قادة الجماعة بالإعدام، ونفذ الحكم في ستة منهم، وخفض السابغ إلى السجن المؤبد، وبذلك حيل بين مصر وبين وجهها الإسلامي، ونجح أعداء الإسلام - مؤقتاً - في ضرب هذه الحركة الإسلامية العالمية.

وفي عام ١٩٥٦م، وبعد أن أعلن رئيس الجمهورية عبد الناصر تأميم قناة السويس، وقع العدوان الثلاثي - البريطاني الفرنسي الإسرائيلي - على مصر، واحتلت إسرائيل سيناء، وأجريت المفاوضات لخروج قوات الاحتلال من مصر، وقامت أمريكا بضغط كبير في هذا المجال، وانسحبت إسرائيل من سيناء، بعد أن أخذت من مصر ثمناً لانسحابها، تمثل هذا الثمن في توقيع اتفاقية سرية بين عبد الناصر وأمريكا، تعهد فيها عبد الناصر بتجميد الوضع على حدود إسرائيل عشر سنوات مقابل انسحابها من سيناء وغزة، وجاء بقوات الطوارئ الدولية على الحدود، ومرت سفن إسرائيل في خليج العقبة، وأسقطت السيادة المصرية عن شرم الشيخ ومضائق تيران^(٢).

توجه عبد الناصر نحو الاشتراكية:

وأعلنت الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨م، وبدأت مصر تميل نحو المعسكر الاشتراكي، ولبست الثوب اليساري، وقدمت لها روسيا

(١) انظر حقيقة هذا الحادث في كتاب «مذابح الإخوان في سجون ناصر» ٢٠ - ٢٦.

(٢) انظر (الناصرية في قفص الاتهام) لعبد المتعال الجبري ١١٨ - ١٢٠.



المساعدات، وأعلن عن قيام الاتحاد الاشتراكي العربي كتنظيم سياسي وحيد في البلاد، وتغلغل الشيوعيون في أجهزة الدولة، وبخاصة وسائل الإعلام، حيث مكن لهم عبد الناصر، وفي عام ١٩٦١م أعلنت القرارات الاشتراكية، وظهر (الميثاق) الذي وضعته الدولة، وأحاطته بهالة كبرى من القداسة.

وفي أيلول عام ١٩٦١م وقع انقلاب عسكري في سوريا، وانفصلت عن مصر، وفشلت أول تجربة للوحدة العربية على أساس العروبة، وكشف قادة الانفصال عن الكثير من أخطاء نظام حكم عبد الناصر^(١).

وفي عام ١٩٦٣م وقع في اليمن انقلاب جمهوري، واستنجد رجال الانقلاب بمصر، وأرسل عبد الناصر وحدات من الجيش المصري لمساعدتهم، وتورط الجيش المصري هناك، حيث ذهب ضحية حرب اليمن آلاف الجنود المصريين، واستنفذت ملايين الجنيهات من خزينة الدولة، واستمر التورط المصري في اليمن إلى عام ١٩٦٨م.

وفي حزيران عام ١٩٦٧م وقعت النكبة العربية. حيث هزمت إسرائيل جيوش ثلاث دول عربية - مصر وسوريا والأردن - في ساعات، واحتلت فلسطين كلها وسيناء والجولان.

من هذا الاستعراض الموجز للحياة السياسية في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى ما بعد منتصف القرن العشرين، يتبين لنا أن الشعب المصري لاقى صنوفاً من الظلم السياسي والكبت طوال هذه الحقبة، سواء على يد محمد علي وأسرته، أو رجال الاحتلال البريطاني، أو رجال

(١) انظر تحليل سيد قطب لبواعث هذه الوحدة وأسباب فشلها في مبحث «سيد قطب المحلل السياسي» من هذا الكتاب.

الثورة، ونلاحظ كذلك أن هذا الشعب قدم الكثير من التضحيات، وأدى ما يطلب منه، وكثيراً ما كان يقوم بانتفاضات شعبية رافضاً للاستعمار^(١) أو يدبر اغتيالات للبريطانيين وأعوانهم من المصريين^(٢).

على أن هذه الأوضاع السياسية المتغيرة، والتدخل الاستعماري المباشر، والفساد السياسي الذي عم رجالات الأحزاب، هذا كله - رغم تضحيات الشعب ومقاومته - ولد عند الجميع حيرة وقلقاً، دفعت المصلحين إلى التفكير الجدي في العلاج.

سأم وقرف الشعب المصري:

وخير ما يصور هذه الحيرة، عبارات سجلها سيد قطب في الأيام الأخيرة للملكية في مصر، حيث نشر مقالاً في مجلة الرسالة بعنوان (سأم) بتاريخ ١٩ مايو ١٩٥٢م - قبل أكثر من شهرين من قيام الثورة! - جاء فيه:

(ذلك الذي تلمحه على وجوه الناس في هذه الأيام ، وتلمسه في أحاديثهم في كل مكان، سأم من كل شيء، ومن كل فكرة، ومن كل عمل، ومن كل أحد، ومن كل اتجاه، سأم هو مزيج ألم قد مات! ويأس من الأعمال والرجال، ومن قرف شامل، ومن استهتار، يقلب الناس صفحات الصحف، ويمرون على العنوانات الضخمة بلا اكتراث، كأن لم يعد شيء يدعو إلى الاكتراث)^(٣).

(١) كالثورة العرابية، وثورة عام ١٩١٩م، ومظاهرات عام ١٩٣٦م، والمقاومة على ضفاف القنال في الفترة ما بين ٥١ - ١٩٥٣.

(٢) كاغتيال السيرلي ستاك، وبطرس غالي، وأمين عثمان.

(٣) مجلة الرسالة السنة العشرون المجلد الأول عدد ٩٨٥ مايو، ١٩٥٢م ص ٥٤٥.



ويجيب في نفس مقاله المذكور على تساؤل عن الشعر الحر الذي فُقد في تلك الفترة، ونلمح من إجابته صورة لقلق الشعب وحيروته:

(الشعر تعبير أحرار يملكون التعبير، لا جمجمة عبيد، أو أسرى خلف القضبان، الشعر انتفاضة قلب، وتحليق روح، لا وسوسة السلاسل، ولا جرجرة الأغلال، انظر يا سيدي حولك! انظر إلى ذلك الذي تلمحه في الوجوه، وتراه في السمات. إنه مزيج من ألم قد مات، ومن يأس من الأعمال والرجال، ومن قرف شامل، ومن استهتار، إنه السأم، السأم الذي تموت منه الكلمات في الشفاه)^(١).

وكتب سيد قطب مصوراً حالة الاضطراب السياسي في مصر، وفقدان هويتها السياسية، وأن الأدب الصادق هو الذي يعكس هذه الحالة:

(ونستطيع من دراسة الأدب في مصر في العصر الحديث، أن نلمح أنها تجتاز فترة اضطراب، وبحث عن اتجاه، لم تستقر عليه الأفكار، حينما نرى عدة اتجاهات، إلى أقصى اليمين، وإلى أقصى اليسار، بعضهم يفتش عن المثل في إطواء تاريخنا القديم في عصر النهضة الإسلامية، وبعضهم يتمجد بالفرعونية، وبعضهم يتجه إلى أوروبا وأمريكا، وبعضهم يتجه إلى روسيا، كما أن بعضهم ينطوي على نفسه، عازفاً عن المجتمع وما فيه. هي حالة تَمَوُّج واضطراب، قد تتمخض عن انقلاب، وقد تتمخض عن استقرار)^(٢).

(١) المرجع السابق.

(٢) النقد الأدبي لسيد قطب ١٤٩ - ١٥٠.

وهكذا أحس سيد قطب بالثورة قادمة قبل أكثر من خمس سنوات من وقوعها.

ويرفع صوته بالشكوى عالياً في موضع آخر:

(كل ما في البلد جدير بالشكوى، كل ما فيها يلذع بالألم، وإنّ التآلم والشكاة لدليل عدم الرضا، ودليل السعي لتغيير هذه الحال). (إن الأمة التي لا تشكو من مثل هذه الحالة أمة لا تحس، فهي أمة في طريقها إلى الفناء الرهيب، وإن الذين يهزلون اليوم، أو يغنون ويمرحون هم أحد فريقين: فريق أناني مجرم، لا يعنى بهذه الأمة ولا يحفل بآلامها، لأنه في ظل نعمة، ولا علاقة له بالآخرين، وفريق ميت الوجدان، ذليل الكرامة، لا تنبض به حياة، إلا كالدواب والجراثيم)^(١).

دعوة سيد قطب إلى السخط والثورة:

هذه الحياة السياسية التي وصفناها، جعلت من سيد قطب ساخطاً! ساخطاً على جميع المظاهر والأوضاع!! معلناً سخطه بصوت صارخ، من غير يأس ولا سأم ولا تشاؤم، ويعتقد أن بإمكانه أن يغير شيئاً ولو كان وحده.

نشر مقالاً في مجلة الرسالة بعنوان (مدارس للسخط) جاء فيه قوله:

(إنه لو وكل إليّ الأمر لأنشأت ضعف هذه المدارس التي تنشئها الدولة، لأعلم الشعب فيها شيئاً واحداً، هو السخط! السخط على

(١) مهمة الشاعر في الحياة ٩٢ - ٩٣.



الأوضاع والمظاهر الشائنة، التي تسيطر على حياة هذا الجيل في كل اتجاه^(١).

وقد حدد الطوائف التي سيصب سخطه عليها، فهي تتمثل في رجال السياسة، والكتاب والصحفيين، والوزراء الحكوميين، والباشوات وغير الباشوات، والأرستقراطيين الذين ينهبون الناس، والمثقفين الذين تنكروا للشعب، ومحطة الإذاعة والصحافة الداعرة، وأخيراً الشعب الذي يرضى بالفساد، ويسكت على هذه المظاهر والأوضاع^(٢).

* * *

(١) مجلة الرسالة، السنة الرابعة عشرة، المجلد الثاني عدد ٦٩١ سبتمبر، ١٩٤٦م، ص ١٠٨١.

(٢) الرسالة - المرجع السابق - ١٨٠١ - ١٨٠٢.

المبحث الثاني الحياة الاجتماعية

قديماً قيل (مصر هبة النيل)، والأراضي المصرية الصالحة للزراعة هي التي تقع على ضفتي النهر، والمدن والقرى متناثرة حوله، ولهذا كانت الموارد محدودة.

طبقتان متميزتان في مصر:

تميزت في مصر طبقتان، واضحتا الملامح والسمات:

الأولى: طبقة كبار الملاك من الباشوات، وأصحاب الأراضي الواسعة، وأفراد الأسرة المالكة، كانت تشبه طبقة الإقطاعيين في الغرب، والإقطاع في مصر لم يكن إقطاعاً بالمعنى الصحيح للكلمة، لأن أصحاب هذه الأراضي رغم سعة أراضيهم إلا أنها لم تبلغ حجم أراضي الإقطاع الأوروبي. ورغم أنهم لم يصلوا درجة الإقطاعيين، إلا أنهم ملكوا من السلطات والصلاحيات، ما جعلهم يحكمون ويتحكمون في الأجراء والعمال والمزارعين، الذين كانوا يعملون في مزارعهم، لقد ورث هؤلاء المترفون - أصحاب الكروش - الأراضي بدون جهد بذلوه، وساموا المزارعين عندهم سوء العذاب، فقد فرضوا عليهم أن يسلموا لهم ما تنتجه الأراضي، ليصرفوه على ملاذهم وشهواتهم، وهم لا يذهبون لأراضيهم إلا من أجل المتعة والتزهر، والمزارعون الذين يبذلون قصارى جهدهم في العمل لا يكادون يحصلون على القوت الضروري اللازم لاستمرار حياتهم.

الثانية: طبقة المزارعين والعمال، الذين يعملون في أراضي الباشوات، وكانت طبقة محرومة من أبسط معاني الحياة اللائقة



بالإنسان، فهم يحيون حياة لا تفترق عن حياة بهائمهم ومواشيهم، لا يشتركون في رأي أو مشورة، أسيادهم يستغلون أصواتهم، ويبيعونها لمن يريدون، ولا يرون لهم أي حق، إلا في بذل المزيد من الجهد، في سبيل خدمة أسيادهم وأراضيهم^(١).

كانت الطبقة الأولى المترفة، تسكن القاهرة، وقد نال أولادها حظاً عالياً من المعرفة والثقافة والدراسة، في الداخل والخارج، وعادوا يتسلمون المراكز الكبيرة في أجهزة الدولة.

أما الطبقة الثانية: فكانت تسكن القرى والأرياف، وكانت نسبة الأمية عالية فيها، ولم تكن تملك الأموال، لترسل أولادها للدراسة العالية - إلا ما ندر - لذلك كان الأولاد عندما يشبون، إما يصبحون عمالاً في الأراضي مع أهاليهم، أو عمالاً يرحلون إلى مناطق أخرى، أو يأتون للعاصمة طلباً للعمل.

وقد ساعد إنشاء المصانع في العاصمة والمدن الكبيرة، على ازدياد الهجرة، حيث هاجر العمال إلى هذه المصانع للعمل فيها، وراحوا يسكنون في أحياء شعبية، وكثرت المفاصد الأخلاقية، لأن الشاب عندما يأتي إلى مدينة كبيرة لا يكاد يعرفه فيها أحد، ويجد في يديه فائضاً من المال، يريد أن يشبع شهواته، فيسعى للحصول على الملذات والمتع بأي سبيل، وينتج عن ذلك الفساد الأخلاقي!.

وبعد أن حكم مصطفى كمال تركيا، ألغى الخلافة، وحارب الإسلام، ومنع الحجاب، وفرض السفور، وخرجت المرأة المسلمة في تركيا سافرة، وكان لا بد أن تتأثر مصر بما يجري هناك، وقد

(١) مع سيد قطب لفضل الله: ٨٢.

كانت النساء قبل ذلك في مصر محجبات، لا يخرجن للعمل، ولا يزاحمن الرجال في الأسواق، وكانت الفتاة تتلقى التعليم في بيت أبيها.

دعوة قاسم أمين وهدى شعراوي لتحرير المرأة:

ثم ظهر في مصر قاسم أمين، الذي كان تلميذاً لمحمد عبده، وذهب إلى الغرب للدراسة هناك، وبعد أن عاد إلى البلاد راح ينادي بإلغاء الحجاب، وبخروج المرأة سافرة للعمل، وبتحررها من الظلم الواقع عليها! وظهر ما يسمى بقضية «تحرير المرأة»، وانقسم الشعب المصري حيال دعوته إلى فريقين: فريق يناصره، وفريق يعلن عليه الحرب، واستجاب لدعوته عدد من النساء المتفرجات^(١).

واستلمت «هدى شعراوي» الراية من قاسم أمين، وراحت تبشر بدعوته، وشيئاً فشيئاً انتشرت هذه الدعوة في مصر، وخلعت المرأة المصرية الحجاب، وخرجت للأسواق سافرة، وتخصصت مجلات بشؤون المرأة، وراحت تدعو إلى تحريرها^(٢)، وخرجت المرأة للعمل، وحصل الاختلاط بين الرجال والنساء، وكانت النتيجة الطبيعية للاختلاط هي وقوع الفواحش، وانتشار الفساد الأخلاقي!.

انتشار الفساد الأخلاقي في البلاد:

وبعد أن فتحت الجامعة المصرية، قرر اللورد «كرومر» ومن تابعه من المصريين أن ينفذوا سياستهم في الجامعة، فجعلوا التعليم فيها

(١) الاتجاهات الوطنية ١: ١١٠ - ١١١.

(٢) المرجع السابق ٢: ٢٤٨ - ٢٥١.



مختلطاً، وجلس المراهقون والمراهقات على مقاعد الدراسة، جنباً إلى جنب، وكان لا بد أن تظهر النتائج السيئة لهذا الاختلاط^(١).

أما مصايف مصر في «الإسكندرية» و«بلطيم» و«سيدي بشر» وغيرها، فقد غدت مناسبات موسمية لخروج المصريين إليها، وتعرى الرجال والنساء هناك، إلا من قطعة من اللباس! وصارت الأسرة المصرية ذات الدخل المحدود، تقتطع من دخلها فوق ما تطيق، لتذهب في الصيف إلى تلك المصايف، وتلقي بأبنائها وبناتها في أحضان الشواطئ العارية!.

وفي مواجهة ذلك كله قام العلماء ينادون الجماهير أن تعود لدينها، ولكن الجماهير كانت تساق إلى الفساد بعنف وسرعة، لأن دعاة الرذيلة كانوا يجرونها من خطام شهواتها، ويسرعون بها إلى حيث تذبج الفضيلة، وكانت هذه الجماهير تستجيب بسرعة متلذذة، بسبب ما أصابها من سعار الشهوة، وما استيقظ فيها من كامن الغريزة، وكلما اشتعلت فيها نار الشهوة، راحت تطفئها بالعَبّ من الشهوات، فتزداد طلباً لها، وأصبحت تنام على الفساد وتقوم عليه، وحققت عليها لعنة الشهوات!

الدعاية الشيوعية الخادعة في مصر:

وانتشرت الشيوعية في مصر، حيث وجدت هناك أرضاً خصبة، ممثلة في الطبقات المحرومة من المزارعين والعمال، الذين أغراهم بريق الدعاية الشيوعية، وأخذت تصور لهم أنها تملك تخليصهم مما

(١) المرجع السابق ٢: ٢٦٠ - ٢٦٣.

هم فيه من الظلم، وأنهم عن طريقها سيحصلون على حقوقهم. ومعروف أن الشيوعية لا تنجح ولا تنتشر إلا في مجتمع تكثر فيه الأمراض الاجتماعية، فهي أشبه شيء بالجراثيم، التي لا تعيش ولا تنشط إلا في الجسم الضعيف.

وقام اليهود والنصارى في البلاد بالدعاية للشيوعية، حيث أسسوا الأحزاب الشيوعية، ودعوا الجماهير الساذجة للانضمام إليهم^(١).

نشاط الجاليات والمبشرين:

وكان في مصر مجموعة من الجاليات الأجنبية تحكمت في البلاد، وراحت تصور لنفسها أنها صاحبة الحق المطلق في ثروات البلاد، وأن المصريين - أصحاب البلاد - ليسوا إلا خدماً وعبداً لها، وكان من أكبر هذه الجاليات: الجالية اليهودية، والجالية اليونانية، والجالية الإيطالية، والجالية الأرمنية، والجالية البريطانية، وقد كان لهذه الجاليات دور كبير في نشر الفساد الأخلاقي في البلاد.

أما الجنود البريطانيون، الذين جاؤوا مع الاحتلال، فقد تمتعوا بامتيازات خاصة، كانوا يحصلون على ما يريدون، والمصري المسكين يقف أمام الجندي البريطاني بذلة ومهانة، ويخدمه في مركز عمله، وفي بيته. المستشارون والخبراء الأجانب في الوزارات والمؤسسات أسياد، والمصريون الموظفون عندهم أذلاء عبيد^(٢).

(١) المجتمع العدد السابع السنة الأولى: ٢٦ - ٢٧، والناصرية في قفص الاتهام للجبري: ١٤٨ - ١٥٠.

(٢) لماذا اغتيل حسن البنا للجبري: ١٧ و٤٠ - ٤٢ و٦٦ - ٦٨.



ونشط المبشرون من النصارى في مصر، وكانت تدعمهم كنائس الغرب، ويحميهم الاحتلال البريطاني في البلاد، استغل هؤلاء فقر ومرض وحاجة الشعب المصري، فدخلوا عليه من هذا الباب، وراحوا يعالجون أفراد الشعب، ويمدوهم بالمال والغذاء، وفتحت الملاجئ والمستشفيات والمدارس التبشيرية لأفراد الشعب المسلم، وكانت مبرمجة موجهة، تهدف إلى تخريج المسلم العلماني^(١).

* * *

(١) الاتجاهات الوطنية ٢: ٣٢٣، ولماذا اغتيل حسن البنا للجبري: ٥٤ - ٥٦.

المبحث الثالث

الحياة الإسلامية

كانت مصر جزءاً من الدولة العثمانية، تدين بالولاء للخليفة العثماني، إلى أن استقل بها محمد علي، وأبناؤه من بعده، ولكن رغم انفصال محمد علي عن الخلافة، إلا أن مشاعر المصريين بقيت مرتبطة معها، ويهمهم ما يجري في إستانبول - عاصمة الخلافة - ويؤثر عليهم وضعها - خيراً كان ذلك أو شراً - وهم يرون في هذا الشعور استجابة لنداء الإسلام، الذي يجعل المسلمين جميعاً يدينون للخليفة بالولاء، يسمعون له ويطيعون.

والشعب المصري متدين بطبعه، وشعوره الإسلامي عميق، حتى إن نابليون بونابرت - إمبراطور فرنسا - عندما احتل مصر، وأراد أن يثبت سلطته، تقرب إلى الشعب بطريقة غريبة، فاحتفل بالموالد والأعياد الإسلامية العديدة، وأمر حكام المدن الفرنسيين بالاحتفال بها! بل لقد فكر في لبس عمامة، وإمساك سبحة لدغدغة عواطف الشعب!

جهود الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا في الإصلاح:

وفي عهد الخليفة العثماني، السلطان عبد الحميد، مر بمصر «جمال الدين الأفغاني»، وجلس فيها مدة من الزمن، وكان يدعو - في الظاهر - إلى نهضة إسلامية.. وقد ألقى دروسه في الجامع الأزهر، وهناك ظهر أكبر تلميذ له وهو الشيخ «محمد عبده». واستلم محمد عبده راية الإصلاح من أستاذه، وكان كذلك يلقي دروسه في الجامع الأزهر، وصار المفتي العام للبلاد، وأطلق عليه لقب (الإمام)، ويعترف له بعض



رواد النهضة الإسلامية الحديثة بالأستاذية، بينما يثير كثير منهم علامات استفهام حوله وحول جمال الدين، ويتحدثون عن علاقتهما بالماسونية^(١)، وعن علاقة محمد عبده الواضحة برجال الاحتلال البريطاني في مصر، وخاصة اللورد كرومر^(٢).

كان من أبرز تلاميذ محمد عبده في مصر ثلاثة: محمد رشيد رضا، وسعد زغلول، وقاسم أمين^(٣)، وكانوا ذوي اتجاهات متباينة، وقد تحدثنا عن اتجاهات كل من سعد زغلول وقاسم أمين، أثناء حديثنا عن الحياة السياسية^(٤) والحياة الاجتماعية^(٥).

أما رشيد رضا، فقد حمل راية الإصلاح من أستاذه، وقام بواجبه الإسلامي في هذا الإصلاح، فأصدر مجلة (المنار)، وأنشأ مطبعة (المنار)، وألف تفسير (المنار)، وألف عدة كتب إسلامية، وأرخ لشيخه محمد عبده بكتاب من عدة أجزاء أسماه (تاريخ الأستاذ الإمام).

وأد محاولات إصلاح الخلافة من الداخل:

وعندما أوشكت الخلافة العثمانية على السقوط - بعد أن سيطر عليها الاتحاديون اليهود - قامت في العالم الإسلامي الخاضع

(١) انظر الوثيقتين المصورتين: طلب جمال الدين الانضمام إلى المحفل الماسوني في مصر، وجواب المحفل بتعيينه رئيساً له في كتاب «مذكرات السلطان عبد الحميد» الطبعة المصرية: ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) الاتجاهات الوطنية ١: ٣٢٨ - ٣٢٩ و٢: ٣٠٧ - ٣٠٩، والفكر الإسلامي المعاصر للتوبة: ١٥ - ٦٥.

(٣) الاتجاهات الوطنية ١: ٣٠١ حاشية.

(٤) انظر صفحة ٣١ من هذا الكتاب.

(٥) انظر صفحة ٤٦ من هذا الكتاب.

لسلطان الخليفة العثماني، محاولات صادقة، تهدف إلى إصلاح جهاز الخلافة من الداخل، وتنطلق من منطلق إسلامي خالص، ومن هذه المحاولات تلك التي قامت في العراق، حيث أسس «محمد فاضل الداغستاني» - أحد كبار العسكريين أيام عبد الحميد، وهو معروف بالتقوى والنبل والشجاعة - في بغداد «الحزب الإسلامي» عام ١٩١٣م ومعه مجموعة من أعيان بغداد المسلمين، ونص منهاج الحزب على مناهضة حكم الاتحاديين، وإعادة الحكم إلى سمت إسلامي شرعي واضح، ولكن نشوب الحرب العالمية الأولى، واحتلال الإنجليز للعراق شغلهم عن المضي، واستشهد الداغستاني في تلك الحرب، وبموته ماتت المبادرة^(١).

كما قامت في مصر محاولة مشابهة، قام بها محمد رشيد رضا مع مجموعة من المصريين^(٢)، ولكن أعداء الإسلام خافوا أن يتم ذلك الإصلاح، وأن تتجدد في الخلافة الدماء، فتعود فتية قوية، لذلك سارعوا إلى القضاء عليها من الخارج^(٣).

كانت مصر موئل للإسلاميين، فإليها هاجر محب الدين الخطيب، قادماً من الشام، وقام بدور بارز في الإصلاح الإسلامي، حيث أنشأ مجلتي «الفتح» و«الزهراء»، كما أنشأ مكتبة الفتح، التي نشرت العديد من كتب السلف، كذلك هاجر إليها شيخ الإسلام مصطفى صبري، قادماً من تركيا بعد إلغاء الخلافة، كما هاجر إليها الشيخ محمد زاهد

(١) مقال الراشد في المجتمع عدد: ١١٥، تاريخ ١٩ رجب ٩٢هـ، أغسطس ٧٢م ص ٢٤. نقلًا عن كتاب (البغداديون أخبارهم ومجالسهم لإبراهيم الدوري).

(٢) الاتجاهات الوطنية ٢: ١٢٢ - ١٢٧.

(٣) المرجع السابق ٢: ٤٩ - ٥٤.



الكوثري من تركيا، والشيخ محمد الخضر حسين من تونس، والشيخ محمد بشير الإبراهيمي من الجزائر، والأمير عبد الكريم الخطابي بطل الريف المغربي وغيرهم.

الأزهر من الإصلاح إلى التبعية:

وقامت في الأزهر دعوة لتجديد التعليم فيه، بدأها الشيخ محمد عبده، ثم أكملها تلميذه محمد مصطفى المراغي، الذي كان شيخاً للأزهر.

كان الأزهر في أول الأمر، قائداً للشعب المصري في كفاحه ضد الفرنسيين، وقام أحد الأزهريين (سليمان الحلبي) باغتيال قائد الجيش الفرنسي في مصر الجنرال (كليبر).

كما قام الأزهر بواجبه الديني والوطني ضد قوات الاحتلال البريطاني، حيث كانت تخرج المظاهرات الصاخبة من الأزهر، يقودها العلماء، تندد بهذا الاحتلال، ولذلك كان الأزهر مركز المقاومة ضد المحتلين.

كان الأزهر يقوم بهذا كله عندما كان يوجهه علماء، أُشربت نفوسهم عزة الإسلام، فما يخافون إلا من الله، وهانت عليهم الدنيا وطلابها، فاتجهوا إلى طلب ما عند الله.

ولما جاء للأزهر جيل جديد من الشيوخ، كان همهم الدنيا، والركون إلى أصحابها، نسوا حق الله، فلم يقوموا بواجبهم تجاه الوطن والأمة، وراحوا يتسابقون - إلا من رحم الله - لكسب ود الملك، ويشاركونه في احتفالاته، ويصورونه للشعب في صورة الحاكم المسلم،

المنفذ لشرع الله، ويصورون للناس لهوه جهاداً، وتهتكه عبادة، وعربدته تسبيحاً، حتى إنهم بعد إلغاء الخلافة في تركيا دعوا إلى تنصيب الملك فؤاد خليفة للمسلمين، واخترعوا له - وهو اليوناني الأصل - نسباً يوصله إلى رسول الله ﷺ^(١)!!!

كان لا بد - بعد أن تخلص الأزهر عن دوره القيادي للأمة - من قيام جماعة إصلاحية إسلامية، لتقود الأمة وتسد الفراغ، فأنشأ نفر من المصلحين الإسلاميين جمعية الشبان المسلمين، وكان من أبرزهم محب الدين الخطيب، وعبد الحميد سعيد، ومحمد صالح حرب، ولكن هذه الجمعية كانت محدودة في أهدافها، فهي لم تزد عن كونها مؤسسة ثقافية رياضية، وبالتالي لم تعن بتهديب سلوك الأفراد وتربيتهم تربية عملية هادفة^(٢).

حسن البنا ينشئ الإخوان المسلمين:

بقيت الساحة الإسلامية شاغرة، تنتظر جماعة إصلاحية جادة، تنقذ الموقف وتملأ الفراغ، وفي عام ١٩٢٨م أنشأ الإمام حسن البنا «جماعة الإخوان المسلمين»، في مدينة الإسماعيلية، مركز قوات الاحتلال البريطاني التي كانت تنتشر على ضفاف القناة، وكان إنشاء هذه الجماعة في الإسماعيلية بالذات يمثل التحدي الإسلامي للاحتلال البريطاني.

(١) الاتجاهات الوطنية ٢: ٥١.

(٢) الاتجاهات الوطنية ٢: ٣٢٣ - ٣٢٤ والإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية، للحسيني: ٣ - ٤.



كانت الجماعة تهدف إلى إقامة المجتمع الإسلامي، وتفهم الإسلام بشموله، وتهتم بتربية الأفراد تربية إسلامية متوازنة، ونشط الشيخ لدعوته، وأقبل الشباب الظامئ إلى الإسلام على الجماعة، ووجدوا فيها آمالهم. فكان من أفرادها الأمي والمتعلم، العامل والموظف، الشيخ والشاب، الأزهري وخريج الجامعة، الطبيب والمهندس، وأثبتت الجماعة وجودها في المجتمع، فأنشأت المدارس والمستشفيات والمساجد، والمكتبات والمصانع والشركات، وأثبتت - بسلوك أفرادها ونجاح أعمالها - إمكانية قيام المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي في هذا القرن، وكانت الرد الإسلامي على إلغاء الخلافة. وبذلك اعتبر الإمام حسن البنا - بحق - المجدد الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري، واعتبرت الحركة التي قام بها، الحركة الإسلامية الأصيلة الجادة في هذا العصر^(١).

جهاد الإخوان في فلسطين وعلى ضفاف القناة:

وفي حرب فلسطين، لبي رجال الجماعة نداء الإسلام، وانطلقت كتائبهم إلى فلسطين للجهاد ما بين عام ١٩٤٨م - ١٩٤٩م^(٢) وأثبتوا وجودهم وجدارتهم، فشهد لهم الصديق، وحقد عليهم العدو، وراح يخطط لحربهم، بعد أن فتح عينيه على قوتهم. فقامت الحكومة المصرية التي كان يرأسها النقراشي - استجابة لطلب أمريكا وبريطانيا وفرنسا^(٣) - بحل الجماعة ومصادرة ممتلكاتها، ووضع الألوف من

(١) الإخوان المسلمون والمجتمع المصري: ١٢٧ - ٢٠٤.

(٢) انظر كتاب (الإخوان المسلمون في حرب فلسطين) لكامل الشريف.

(٣) انظر ص ٣٦ من هذا الكتاب.

أفرادها في السجون ومعسكرات الاعتقال، كما قامت الحكومة بعملية دنيئة، حيث دبّرت اغتيال حسن البنا، الرجل الذي أسس الحركة وقادها في مسيرتها، وقدمت رأسه هدية لفاروق ليلة عيد ميلاده.

واجتاز الإخوان المحنة، وخرجوا أقوى مما كانوا، ولبوا نداء الإسلام على ضفاف القناة ما بين عام ١٩٥٠م وعام ١٩٥٢م، وقاموا بعمليات فدائية جريئة، ضد قوات بريطانيا هناك، وقدموا عدداً من الشهداء^(١). وسيطر الإخوان على الشارع المصري، وكان الكل يتقرب إليهم - ولو تزلفاً - وقد اقتربوا من خطوتهم التنفيذية، بقيام الحكم الإسلامي المنشود.

محنة الإخوان المسلمين على يد عبد الناصر:

غير أن عيون أعداء الإسلام الساهرة، كانت تخطط أمراً آخر، فقام ضباط من الجيش المصري في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م - ثبت أخيراً أن ولاءهم كان لأمریکا^(٢) - بانقلاب عسكري، وأعلنوا الجمهورية، وعين اللواء محمد نجيب أول رئيس لها، ولم يلبث في هذا المنصب إلا قليلاً، إذ سرعان ما أقصاه جمال عبد الناصر، وسيطر على الحكم، بدكتاتورية بغیضة!!

وكان لا بد من أن ينفذ هؤلاء الضباط ما أوكل إليهم، فشن عبد الناصر حرباً شرسة على جماعة الإخوان المسلمين، فأعدم قادتها، وصادر ممتلكاتها، ووضع عشرات الألوف من أفرادها في السجون،

(١) انظر كتاب «المقاومة السرية في قناة السويس» لكامل الشريف و«كفاح الشباب الجامعي

على ضفتي القناة» لحسن دوح.

(٢) انظر ص ٣٨ - ٣٩ من هذا الكتاب.



ولاقوا تعذيباً لم يعرف التاريخ مثله، وأصبحت آلاف الأسرى في مصر بلا معيل ولا قيم، وقدمت الجماعة العديد من الشهداء^(١).

وطالت المحنة، واستمرت حوالي ربع قرن، وثبت رجال الجماعة على الحق، وأعادوا الصورة المشرقة لرجال الإسلام الصادقين الصابرين إلى الأذهان!

هذا وقد أحدثت جماعة الإخوان المسلمين تياراً ثقافياً عاماً، فقد وضع رجالها العديد من المؤلفات الإسلامية، التي تعالج مختلف شؤون الفكر الإسلامي والحياة الإسلامية، كما قادوا الفكر الإسلامي المعاصر من مرحلة الدفاع على استحياء إلى مرحلة الهجوم والبلاغ والإنذار! وقلما تجد كاتباً أو مفكراً إسلامياً معاصراً في العالم الإسلامي لم يكن من أفراد الإخوان المسلمين، أو لم يتأثر بمبادئهم ومدرستهم الفكرية.

* * *

(١) راجع كتب «أقسمت أن أروي» لروكس معكرون، و«المذبحة» لمحمد المصليحي، و«مذبحة الإخوان في سجون ناصر» لجابر رزق، و«يوميات سجين في السجن الحربي» لكمال فرماوي.. وغيرها.

المبحث الرابع الحياة الأدبية

عندما قام نابليون بغزو مصر، كان مما أحضره إلى البلاد مطبعة عربية^(١)، وانتشرت بذلك طباعة الكتب والصحف والمجلات، وكانت مصر أسبق من البلاد العربية في هذا المجال، ومما ساعد على انتشار الأدب فيها، ظهور الصحف والمجلات الأدبية المختلفة.

وباتصال مصر بدول الغرب، اطلع أدباؤها على الأدب الغربي شعراً ونقداً، وقصصاً وبحوثاً، ووفدت على البلاد الآراء والاتجاهات الأدبية الغربية.

وقامت في مصر نهضة أدبية حديثة، على أسس جديدة، حيث ألقت وراء ظهرها المحسنات البديعية، التي سيطرت على نتاج الأدباء في السابق، كالسجع والجناس والطباق وغيرها، وانقسم الأدباء إلى مدارس أدبية مختلفة، وظهرت مذاهب أدبية متباينة، وقامت معارك أدبية طاحنة: بين القديم والجديد تارة، وبين المدارس الأدبية تارة أخرى، وبين تلاميذ كبار الأدباء ثلاثة^(٢)!!

(١) في الأدب الحديث لعمر الدسوقي ١: ٥٢ - ٥٣.

(٢) دارت هذه المعارك على صفحات المجلات الأدبية مثل: البلاغ، الرسالة، الأسبوع، الثقافة، أبوللو، الجهاد وغيرها.

أوائل الشعراء ظهوراً:

وكان أسبق الأدباء ظهوراً، محمود سامي البارودي - أحد زعماء الثورة العرابية - والذي اعتبر شاعراً مجدداً، حيث خرج على الموضوعات الشعرية التقليدية^(١).

وظهر بعده أحمد شوقي، شاعر القصر، الذي أطلق عليه لقب «أمير الشعراء»، ولشوقي نتاج شعري غزير في مناسبات عديدة، وقد كتب عدة مسرحيات شعرية مثل كليوباترا، ومجنون ليلى، وقمبيز.

وعاصر شوقي، الشاعر حافظ إبراهيم، الضابط في الجيش المصري، وقد أطلق عليه لقب «شاعر النيل». وكما كان شوقي شاعر القصر، كان حافظ شاعر الشعب.

وقد شغل هذان الشاعران النقاد في حياتهما وبعد وفاتهما، وانقسموا في شأنهما إلى فريقين: فريق يرى فيهما شاعرية فياضة، وأن شعرهما يصدر عن إحساس صادق ومعاناة حقيقية، وفريق آخر يراهما - وبخاصة شوقي - من شعراء مناسبات، لم ينبع شعرهما من إحساس صادق، وإنما يقولان ما يرضي الجماهير^(٢)!

أوائل الأدباء ظهوراً:

وكان من أوائل الأدباء ظهوراً في مصر مصطفى لطفى المنفلوطي، الذي نشر العديد من المقالات الأدبية، ثم جمعها في كتاب سماه

(١) في الأدب الحديث ١: ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) انظر مقال سيد قطب في صحيفة دار العلوم السنة السابعة العدد الرابع أبريل ١٩٤١: ٥٥ -

٥٦ وانظر «مهمة الشاعر في الحياة» لسيد قطب: ١١.

(النظرات)، كما ترجم إلى العربية عدداً من القصص الأجنبية مثل: ماجدولين، والفضيلة، وفي سبيل التاج.

وظهر بعده طائفة من الأدباء، منهم الأدباء الثلاثة: عباس محمود العقاد^(١) وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري، وكان الثلاثة شعراء جمعهم مذهب واحد. ورأوا أن حالة الأدب في البلاد - وبخاصة النقد الأدبي - غير مرضية، فأصدروا كتاباً في النقد، أسموه (الديوان) وسموا بعد ذلك بجماعة الديوان، وأصدروا العديد من الدراسات والقصص، ونظموا دواوين شعرية عديدة، كما كتبوا المقالات المتتابعة في الصحف والمجلات الأدبية، وكوّنوا مدرسة أدبية، تتلمذ عليهم فيها كثير من الأدباء والشعراء. وقادوا حركة النقد في مصر فترة من الزمن^(٢).

وكان على رأسهم العقاد، الأديب الكبير، الذي قرأ وطالع الكثير، وأصدر عدة دواوين شعرية، منها (عابر سبيل) و(وحي الأربعين) و(أعاصير مغرب)، كما نشر دراسات كثيرة في شتى نواحي المعرفة الإنسانية، منها العبقريات الإسلامية، وقد زادت كتبه التي نشرها عن مائة كتاب، وكان العقاد معتداً بنفسه، لا يرى أحداً يدانيه من الأدباء، وقد أطلق عليه طه حسين لقب (أمير الشعراء) بعد وفاة شوقي، ولكنه لم يقبل به، لأنه لم يفه حقه في رأيه!

(١) انظر تحليلاً لحياة العقاد السياسية والفكرية في كتاب الفكر الإسلامي المعاصر ١٩٩ - ٢٨٢.

(٢) في الأدب الحديث ٢: ٢٤٤ - ٢٧٢.



العقاد والرافعي وطه حسين:

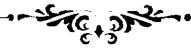
واستمر الأدباء الثلاثة - العقاد والمازني وشكري - يعملون معاً فترة من الزمن، إلى أن فرق بينهم الوشاة، فهجر شكري الشعر، وانصرف المازني عن العقاد، وبقي العقاد وحده في الميدان^(١).

وكان معاصراً للعقاد، الأديب مصطفى صادق الرافعي، الذي اختط لنفسه أسلوباً خاصاً في الكتابة والشعر، واعتبر من كبار أدباء العربية المعاصرين، بل كان يعتبر نفسه أديب العربية في مصر، وكان الرافعي معتداً بنفسه كالعقاد، لذلك دارت بينهما معارك أدبية حادة، وشهدت صفحات المجلات والجرائد الأدبية جولات عدة بين الأديبين، كذلك دارت معارك أدبية بين تلاميذ الرافعي وتلاميذ العقاد^(٢). وقد نشر الرافعي عدداً من الدراسات الأدبية والنقدية، منها تاريخ آداب اللغة العربية، وإعجاز القرآن، ورسائل الأحرار، وكتاب المساكين، وحديث القمر، وأوراق الورد، والسحاب الأحمر، وجمع عدداً من مقالاته في المجلات في كتاب (وحي القلم).

وعاصر العقاد والرافعي الأديب الدكتور طه حسين، الذي درس في الأزهر، ثم التحق بجامعة السوربون في فرنسا، وتثقف الثقافة الأجنبية، وعاد إلى مصر، وتبوأ فيها عدداً من المراكز، منها تدريسه في الجامعة المصرية عند إنشائها، ثم عين مديراً للجامعة، ثم صار وزيراً للمعارف، وقد أطلق عليه لقب (عميد الأدب العربي). وقد

(١) جماعة أبوللو وأثرها لعبد العزيز الدسوقي: ٤٨٤ - ٤٨٥،

(٢) منها المعركة التي دارت بين سيد قطب من جهة، وبين تلاميذ الرافعي من جهة أخرى، على صفحات مجلة الرسالة.



أصدر طه حسين عدداً من الدراسات الأدبية والنقدية، كما ساهم في الكتابة في الصحف والمجلات الأدبية، وقد أثار طه حسين عدداً من المعارك الأدبية، حيث تبني آراء بعض المستشرقين الفرنسيين، التي يطعنون فيها في الإسلام والعربية، وكان من أهم تلك الآراء التي جلبت له السخط، موقفه من الشعر الجاهلي، حيث اعتبره منحولاً، مقلداً في ذلك رأي المستشرق الإنجليزي (مرجليوث) وأثبت هذا في كتابه (في الشعر الجاهلي)، وكان يدعو إلى أن تكون مصر نسخة طبق الأصل عن الغرب، ونجد هذا في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر)^(١).

وقامت في مصر جماعة (أبوللو) الأدبية، التي أسسها الدكتور أحمد زكي أبو شادي، ودعا إلى مذهب تجديدي في الشعر، وأصدر مجلتي (أبوللو) و(الأمام) اللتين نشرتا بحثاً ومقالات وقصائد لبعض الأدباء الشبان^(٢).

بين الأدباء الشيوخ والأدباء الشبان:

وانقسم الأدباء في مصر إلى فريقين:

شيوخ الأدب: الذين أسهموا في النهضة الأدبية الحديثة ببحوثهم، وقصائدهم، ومقالاتهم ودراساتهم وندواتهم، وتتملذ عليهم كثير من الشبان الناشئين، ومن هؤلاء الشيوخ، عباس العقاد، والرافعي، وطه حسين، وإبراهيم المازني، وعبد الرحمن شكري، والدكتور محمد

(١) الفكر الإسلامي المعاصر للتوبة: ١٢٧ - ١٧٤.

(٢) جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث للدسوقي: ٢٧٧ - ٢٩٤.



حسين هيكل الذي عرف بدراساته في السيرة، والدكتور أحمد أمين صاحب فجر الإسلام، الذي أنشأ مجلة الثقافة في الثلاثينيات، واستمرت حتى أوائل الخمسينيات، وكانت مجلة أدبية مستقلة، أسهمت في النهضة الأدبية ونشرت للعديد من الأدباء، ومنهم أحمد حسن الزيات، الذي أنشأ مجلة (الرسالة)، وقامت بدور كبير في أداء رسالتها، وكانت كذلك مجلة أدبية مستقلة، وكتب فيها كثير من الأدباء الشيوخ والأدباء الشبان، واستمرت في أداء رسالتها حتى توقفت بعد الثورة. ومنهم توفيق الحكيم صاحب المسرحيات والدراسات الأدبية، مثل «أهل الكهف» و«عودة الروح» و«يوميات نائب في الأرياف» ومنهم الدكتور زكي مبارك، والدكتور عبد الوهاب عزام، والدكتور محمد أحمد الغمراوي، وغيرهم.

والفريق الثاني: الأدباء الشبان، الذين تتلمذوا على الجيل السابق وأبدعوا في الشعر والنثر، والبحوث والدراسات، ونشرت لهم المجلات الأدبية في النصف الأول من هذا القرن - العشرين - المقالات والبحوث والقصص والقصائد، كما نشروا كتباً مختلفة الموضوعات. كان بعضهم تلاميذ للعقاد مثل: سيد قطب، وعبد الرحمن صدقي، ومحمد خليفة التونسي، وبعضهم تلاميذ للرافعي مثل: محمد سعيد العريان، وعلي الطنطاوي. ومن هؤلاء الأدباء الشبان: الدكتور عبد العزيز عتيق، وفايد العمروسي، صديقا سيد قطب الحميمان، ومنهم: محمود محمد شاكر، والعوضي الوكيل، وصالح جودت، وعلي محمود طه، وإبراهيم ناجي، وعلي أدهم، وإسماعيل أدهم، ومحمود حسن إسماعيل، ونجيب محفوظ، وأنور المعداوي، وعز الدين إسماعيل، وغيرهم.

ظهور نقاد أدبيون كبار:

وقد تقدم النقد الأدبي في مصر خطوات إلى الأمام، وحتى الأربعينيات كان يقود النقد جماعة الديوان بصورة خاصة، بالإضافة إلى الراجعي وطه حسين وأحمد أمين وزكي مبارك.

وفي الأربعينيات، كان سيد قطب يتبوأ مركز الصدارة في النقد الأدبي بخاصة، حيث نشر مقالاته النقدية المتعددة في الصحف والمجلات، كما أصدر كتابيه (كتب وشخصيات) و(النقد الأدبي أصوله ومناهجه) واستمر سيد قطب الناقد الأول في مصر إلى أن انصرف إلى دراساته الإسلامية.

واستلم راية النقد من بعده الناقد الشيوعي الدكتور محمد مندور، وعاصره من النقاد أنور المعداوي وعز الدين إسماعيل، وغيرهم. كما ظهر من بعده النقاد الدكتور محمد غنيمي هلال، والدكتور أحمد كمال زكي ورجاء النقاش وغيرهم.

دور الصحف والمجلات في النهضة الأدبية:

كانت مصر أسبق البلاد العربية في إصدار الصحف والمجلات التي كان لها دور بارز في النهضة الحديثة، والتعريف بنتاج الأدباء من قصائد ومقالات، وقصص وبحوث ومسرحيات. وكانت من أوائل المجلات ظهوراً (المقتطف) للدكتور يعقوب صروف، ثم الأهرام ليوسف تكلا، ثم الهلال لأميل زيدان، وكان من هذه المجلات: أبوللو للدكتور أحمد زكي أبو شادي، والأسبوع لإدوار عبده، والبلاغ اليومي والأسبوعي لعبد القادر حمزة، والسياسة الأسبوعية لمحمد حسين هيكل، والرسالة للزيات، والثقافة لأحمد أمين، والكاتب لعادل



الغضبان، والكاتب المصري لطفه حسين، والفتح والزهاء لمحِب الدين الخطيب، والعالم العربي والفكر الجديد لسيد قطب، وغيرها من المجلات الأسبوعية والشهرية.

كما كانت بعض الجرائد اليومية تصدر ملاحق أدبية، وتخصص صفحات منها للأدب مثل: الأهرام، والبلاغ، والجهاد، وغيرها.

* * *



الفصل الثاني
بيئة سيد قطب



المبحث الأول طبيعة قريته

لماذا الحديث عن قريته؟:

ولد سيد قطب في قرية من قرى الصعيد، تتبع محافظة أسيوط، تسمى قرية (موشة)، كما تسمى بلد (الشيخ عبد الفتاح) وهو أحد أوليائها، وله مقام فيها^(١).

وقد شب وترعرع في قريته تلك، ولم يغادرها إلا في شبابه، ولذلك لا بد من التعرف على طبيعة هذه القرية، لأنها تركت أثراً واضحاً على الرجل، وساهمت في تكوين شخصيته. ولا نهدف من هذا المبحث إلى وصف قريته وصفاً جغرافياً - لذات الوصف - إنما نهدف إلى أمر آخر: فقد تفتحت عينا سيد قطب على الحياة في قريته، وقضى فيها حوالي ثلاثة عشر عاماً، مما جعل لها أثراً عظيماً على نفسه وعقله وتفكيره، فهي البيئة الأولى التي عاش فيها، وإذا كان الطفل يكتسب الكثير من بيئته، فمن الضروري أن نعرف ماذا اكتسب سيد قطب من تلك البيئة، كما أنه من المسلم به أن المناظر الطبيعية التي تفتحت عليها حواس سيد قطب الشاعرة، والتي تأثرت بها نفسه، كونت ذلك الرصيد الضخم من الصور المذخورة في مخيلته.

وإذا كانت دراسة حياة أي زعيم أو مفكر، لا بد من أن تستوعب كل مراحل حياته، وتبين مؤثرات كل مرحلة، فمن الضروري معرفة مؤثرات قرية سيد قطب على المرحلة الأولى من حياته، وعلى المراحل اللاحقة لها، والتي قد تأثر بها تأثراً واضحاً.

(١) طفل من القرية: ٨٦.

لكل هذه الأمور، سنعنى هنا بتصوير قريته، وبيان أثرها على تكوين شخصيته.

تقع قريته على الشريط الأخضر من الأراضي الطيبة، الذي يقع على جانبي نهر النيل، ونظراً لمرور النيل من أراضيها، فقد امتازت بالعديد من البساتين، التي تزرع فيها مختلف أنواع الخضروات والفواكه، بل إن تلك البساتين كانت أكبر من عدد الأيدي العاملة فيها^(١).

موسم «اللق» في القرية:

يحدثنا سيد عن ثلاثة مواسم زراعية، كان وجه القرية يتغير فيها كل عام، وكانت هذه المواسم تؤثر على نفسية وأحاسيس الجميع، والأطفال بصفة خاصة، حيث ينتظرونها من العام إلى العام، وهي موسم اللوق، وموسم الحصاد، وموسم جني القطن.

ونترك الحديث لسيد قطب، ليحدثنا عن موسم اللوق، ومنظر الأراضي والبلدة خلاله، وشعور وأحاسيس الكبار والصغار تجاهه:

«موسم اللوق لا يعرفه إلا سكان الأراضي التي تروى بالحياض، تلك الأراضي التي تظل مكشوفة طوال العام، حتى يحين موعد الفيضان في سبتمبر وأكتوبر (أيلول وتشرين أول) من كل عام، فتنتطق مياه الفيضان التي تعم الأرض الزراعية جميعاً، وتصبح لجة يرتفع فيها الماء إلى متر، ويصل في بعض المواضع إلى مترين أو أكثر... عندئذ تصبح القرى جزائر في وسط اللجة، لا يصل بعضها إلى بعض إلا في

(١) المرجع السابق: ١٨٢.

(صغار المراكب وخفاف القوارب) كما يقول عمرو بن العاص في رسالته التي كان الصبي^(١) يحفظها في المدرسة الأولية، ويجد مصداقها فيما تقع عليه عينه كل عام.

والحق أن منظر اللجة من الجبل إلى الجبل منظر فريد ساحر، فالوادي كله وعلى جانبيه التلان اللذان يسميهما الأهالي جبليين، يستحيل إلى لجة متصلة، ينفلت فيها النيل من عقاله، ويتخطى حواجز جسوره، ليعانق الأرض الحبيبة، التي يزورها مرة واحدة في العام، ونظر الناس إلى النيل نظرة المودع الأسف للوداع، حتى لقد سمع الطفل أحد القرويين السذج يتأمل النيل الهابط في حسرة، وقد خمد الموج العالي في اللجة، وانساب انسياباً حسيراً، ثم يقول: «مسكين. خلاص همد»، وكان الرجل يقولها وكأنما يتحدث عن إنسان حي، تربطه به آصرة القربى وصلة العائلة ومودة الأصدقاء»^(٢).

وعندما كبر سيد وذهب إلى المدرسة، كان أكثر ما يكون فرحاً حين تستحيل مدرسته إلى شبه جزيرة في وقت الفيضان، يحيط بها الماء من ثلاث جهات، وتبقى الجهة الرابعة تصلها بالقرية عن طريق البر، وقد كانت المدرسة تقع في طرف القرية، على حدود الحقول الزراعية.

وكان المدرسون يأتون إلى المدرسة من القرى القريبة بالمراكب والقوارب الشراعية، وكان سيد يلقي بنظراته - من المدرسة - على تلك المشاهد الفاتنة.

(١) الصبي: هو سيد قطب.

(٢) طفل من القرية: ١٨١ - ١٨٢.



ولا شك أن طول مدة بقاء الفيضان - يستمر شهرين - ومنظر القوارب والمراكب تنتقل جيئة وذهاباً وسط اللجة، والقرى تتناثر وسط الفيضان كالجزر، والأشجار الباسقة تتمايل يمنة ويسرة وسط الماء، لا شك أن هذا كله ترك أثراً عظيماً على نفسية سيد قطب، وإحساسه بالجمال، وشعوره بالأنس نحو الطبيعة، وحقاً كم لمنظر الماء من أنس وسحر، على أخيلة وأحاسيس الصغار والكبار!

وبعد أن ينحسر الماء عن أراضي القرية، يخرج المزارعون من الأهالي ومن العمال الغرباء إلى الحقول، ليذروا الحب. ويخرج سيد إلى مزارع والده لا يعمل مع المزارعين، بل ليستمتع برؤية تلك المناظر الخلابة، وليداعب العمال وهم يزرعون، ولينظر إلى الماشية ترعى في الحقول، وليجري في البساتين بخفة ورشاقة الأطفال، وليشرف سمعه بتغريد الطيور والبلايل، يخرج إلى الطبيعة الحية لتتفتح أحاسيسه وأخيلته، ولتستمتع نفسه بجمال الكون الذي خلقه الله.

لقد كان عالم الحقل الذي درج فيه سيد، عالماً ساحراً حقاً، فسيحاً ممتداً...

وأما بيوت القرية وممراتها وأزقتها، فلم تكن تخلو من الأشجار الباسقة الجميلة، مثمرة كانت أو غير مثمرة.

وبيته الذي عاش فيه، فيه أشجار متنوعة، فيه نخلتان شاهقتان، تهزهما الريح فتأتيان بحركة عجيبة متناسقة^(١)، تؤثر في نفسية سيد

(١) الأطياف الأربعة: ١١٥.

وإحساسه، وتهز فؤاده كله. وكذلك المدرسة التي درس فيها، فيها شجرتان ظليلتان، وفيها أزهار جميلة، منها زهرة (دقن الباشا التي تفوح منها رائحة عطرة. والتي لا نظير لها في القرية كلها^(١).

موقع القرية ووضعها:

تقع قريته بين جبيلن، يحيطان بها وبأراضيها الزراعية، ويسكن قريته عدد من النصارى، لهم كنيسة في القرية، ودير يقع في حضن الجبل، على بعد خمسة كيلومترات منها^(٢).

كانت قريته - التي وصفنا حقولها - ثرية، معروفة بالثراء والرفي والنظافة، بالقياس إلى القرى الأخرى المجاورة.

ورغم سعة أراضي القرية الزراعية «فلم تكن الملكيات الكبيرة، التي تشبه الإقطاع معهودة فيها، فأكبر ملكية زراعية لم تكن تتجاوز المائتي فدان... وَقَلَّ أن يكون في القرية فرد أو بيت لا يملك قطعة أرض صغيرة أو كبيرة»^(٣).

كانت الفوارق بين أهالي القرية شبه معدومة، وكانت العلاقة بين الجميع تقوم على الود والمساعدة، ولا مجال فيها للحقد الطبقي، أو استبعاد الآخرين.

«توزيع الأراضي الزراعية على هذا النحو كان يقرب الفوارق بين الطبقات، ويخلق حالة من الأنفة الشخصية في صلات الناس بعضهم

(١) طفل من القرية: ٤١.

(٢) المرجع السابق: ١٤٤ و ١٨٤، والأطراف الأربعة ٨٥، وقد تحدث عن هذا الدير (المقريزي) في خطته ٣: ٤١٧، وسماء دير (موشة).

(٣) المرجع السابق: ١٨٢.

ببعض، فلم يكن هناك خدم بالمعنى المعروف في المدينة، أو بعض الضياع والتفاتيش، حيث يهبط الخادم إلى مرتبة الرقيق...

الوضع الاجتماعي للقرية:

كان الخادم في القرية إنساناً فقيراً محتاجاً إلى العمل، ولكنه لا ينطق كلمة (سيدي) المقيمة، بل يستعيز عنها بكلمة (عمي) لصاحب البيت، وامرأة عمي لسيدته... ثم هو يعمل في الدار أو في الحقل، وفي تربية المواشي طوال اليوم، فإذا جن الليل عاد إلى بيته وأهله، كما يعود أي سيد^(١).

أما مستوى المعيشة في القرية فهو مستوى معقول - بالقياس إلى القرى الأخرى - فأفقر بيت يأكل اللحم كل أسبوعين مرة، وغالباً ما يأكلونها كل أسبوع، والسمن البلدي معروف في البيوت جميعاً. والفاكهة والبطيخ والشمام والبلح والرمان والنبق والقشء والخيار والجوافة والتفاح البلدي والقصب... تدخل البيوت جميعاً مع اختلاف المقادير^(٢)...

كان لكل أسرة في القرية بيت مملوك، صغيراً كان أو كبيراً، والأكوخ الطينية لم تكن معروفة في القرية.. كان أكثر بيوتها مبنياً بالطوب الأحمر وسائرهما من اللبن، ومعظم البيوت يتكون من طابقين أو ثلاثة، وبعضها يصل إلى أربعة، ونادر أن يتألف المنزل من طابق واحد حتى بيوت الفقراء^(٣).

(١) المرجع السابق: ١٨٣.

(٢) المرجع السابق: ١٨٣ - ١٨٤.

(٣) المرجع السابق: ١٨٣.



البيت الذي عاش فيه سيد، كان بيتاً فسيحاً جميلاً، وصفه سيد كما وصفه إخوته^(١) ولكن هذا البيت لم يستمر ملكاً للعائلة، فقد باعه والده إلى أحد أقباط القرية، وقد تهدم جزء كبير منه بعد أن مات المشتري، وأهمله ورثته من بعده^(٢).

ورغم أنه قد بيع لظروف قاهرة، إلا أن وَقَعَ البيع كان شديداً على نفوس جميع أفراد العائلة، إذ كان بيت العائلة، الذي نشأ فيه الجد والأب والأم والأولاد، وللجميع فيه ذكريات وأحلام.

* * *

(١) انظر: وصف سيد في طفل من القرية ٢٠٤ - ٢٠٥، ووصف محمد في الأطياف: ١١٥ -

١١٦ ووصف أمينة في الأطياف: ٨٩ - ٩٠.

(٢) الأطياف الأربعة: ٨٥.

المبحث الثاني تعريف بوالديه

هل أصله هندي؟:

هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد في قرية (موشة) إحدى قرى محافظة أسيوط في الصعيد، وكانت ولادته في ١٩٠٦/١٠/٩ م^(١).

وقد اختلف الذين كتبوا عنه في أصله، أهو مصري أو هندي؟ فذهب معظمهم إلى أن أصله هندي، وأن أحد أجداده قدم من الهند إلى مكة للحج، ثم استوطن قرية «موشة» في صعيد مصر.

بل إن أبا الحسن الندوي نقل في كتابه (مذكرات سائح في الشرق العربي) كلاماً لسيد قطب نفسه، يؤكد هذا، حيث قال له مبيناً الباعث الطبعي عنده لزيارة الهند:

«وأما الباعث الطبعي، فلأن جدنا السادس كان هندياً، وهو (الفقير عبد الله)، ولا تزال السحنة الهندية موروثة في أسرنا»^(٢).

وكان يكفينا كلام سيد هذا، دليلاً على ما ذهبوا إليه، حيث حدد أن جده السادس (الفقير عبد الله)، قدم من الهند. أقول كان يكفينا هذا لولا أن شقيقه الأستاذ محمد قطب، نفى هذه الحكاية - عندما قابلته - وقال: إنها مجرد ظن، مبعثه أن تقاطيع وجوه العائلة قريبة الشبه بتقاطيع وجوه

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي: ١٥٣، وقد ورد الاسم في كتاب الندوي «عبيد الله» وهو تصحيف، والصحيح أن اسمه عبد الله، كما أخبرني الأستاذ محمد قطب.

أهل الهند، فقالوا: لعل أحد أجدادهم قد هاجر من الهند.. وحمل كلام سيد قطب السابق على أنه قاله للندوي، على سبيل المجاملة والدعابة فقط!!

وأنا أميل إلى الرأي القائل بأن سيد قطب هندي الأصل، اعتماداً على كلام سيد قطب إلى أبي الحسن الندوي، حيث حدد له اسم الجد القادم من الهند، وبهذا يكون قد أقام الدليل على صحة دعواه، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن نسبه الحقيقي هو الإسلام، لأن جنسية المسلم عقيدته!

وضع أسرته الاجتماعي:

حدثنا سيد عن أسرته، ومركزها المرموق في القرية فقال: «نشأ في أسرة ليست عظيمة الثراء، ولكنها ظاهرة الامتياز، كانت في وقت من الأوقات عظيمة الثروة، ولكنها توزعت وتضاءلت بالميراث، وبقي لوالده قدر لا بأس به منها، ولكنه كان يتناقص دائماً... كان والده قد صار عميد الأسرة، المكلف حفظ اسمها ومركزها، في الوقت الذي لم ينله من الميراث إلا نصيب محدود، لا ينهض بما كانت تنهض به ثروة الأسرة مجتمعة، على حين لا يستطيع أن ينقص شيئاً من تكاليف المظهر في الريف...»^(١).

كما حدثنا عن أسرة والدته قائلاً:

«وكانت والدته من أسرة مماثلة أو أعرق، وقد وقع لها ما وقع لأسرة الوالد حرفاً بحرف... ولكنه زاد عليها أن اثنين من أخواله كانا

(١) طفل من القرية: ٢١.



قد أوفدا إلى الأزهر في القاهرة، شأن غالبية الأسر الريفية الثرية، فأنشأ هذا في الأسرة شيئاً من الرقي العلمي، بجانب الواجهة الريفية، يضاف إلى هذا كله أن جده لوالدته كان قد قضى شطراً كبيراً من حياته في القاهرة هو وزوجته، حتى إذا عاد إلى القرية أنشأ فيها بيتاً يقرب من بيوت العاصمة على قدر الإمكان، في نظامه وتنسيقه، وتقاليده ومستواه، وساعده المال على تحقيق ما أراد.

في هذه البيئة نشأ، وكل ما حوله يشعر أنه من وسط آخر غير وسط القرية»^(١).

هذه أسرة سيد قطب التي عرف الحياة في جوها، وشبَّ في أحضانها، جمعت بين الواجهة الريفية والرقي العلمي، وكان كل أهل القرية ينظرون لوالده - عميد الأسرة - بعين الإكبار والإجلال، حيث احتل مركزاً مرموقاً، وبعض أهل القرية يأتون إلى العائلة، يحيطون بها كخدم وأعوان، والأغراب القادمون من القرى البعيدة للعمل في مزارع القرية، يفضلون العمل في مزارع الأسرة، وموظفو الدولة الذين يعملون في القرية يترددون على الأسرة باستمرار، والحفلات التي تحييها الأسرة دائماً يحضرها أهل القرية، والولائم الكبيرة التي تقام في المواسم ويتلى فيها القرآن، تتكرر عند الأسرة أكثر من مرة في السنة.

لا غرابة إذن في أن يشعر سيد، أن أسرته ليست كباقي الأسر، وأنها تمتاز عن غيرها بذلك المركز المرموق، الذي يغطيها عليه الكثيرون، ولقد غرست هذه المشاعر في نفسه معاني العزة والكرامة، وهي المعاني التي صاحبته طيلة حياته، رحمه الله!.

(١) المرجع السابق: ٢١ - ٢٢.

والده عميد الأسرة:

إذا ما ألقينا نظرة على ما كتبه سيد قطب في (طفل من القرية) عن والده، وعلى إهدائه كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) له، وعلى الكتاب المشترك الذي ألفه مع إخوته (الأطياف الأربعة)، استطعنا أن نتعرف على والده، وأن نرسم له في مخيلتنا صورة واضحة الملامح بارزة السمات.

لقد ورث والده - الحاج قطب إبراهيم -^(١) من الأسرة قدراً محدوداً من الثروة الزراعية، وورث مع ذلك عمادة الأسرة، وكان هذا يتطلب منه أن ينفق الكثير الكثير، من أجل المحافظة على مركز الأسرة المرموق، ولا يستطيع - حتى لو أراد - أن ينقص شيئاً من تكاليف المظهر في القرية، فلا بد أن يدفع ثمن هذا كله. ومع أن ما بين يديه من المال لا يكفي للاستمرار في دفع هذا الثمن، والقيام بتلك النفقات الكثيرة، لذا بات من الضروري أن يبيع بعض أراضيه. فراح يبيع بين الحين والآخر - كلما وقع في ضائقة مالية - قطعة من أراضيه، فباع ما يملك قطعة قطعة، واضطر في النهاية إلى بيع بيت العائلة الكبير!

لم يكن البيع نصيب أراضيه والده فقط، بل كان كذلك نصيب أراضيه أسرته لأمه، حيث قام أخواله، بعد وفاة أبيهم، ببعثرة ثروته الواسعة التي ورثوها عنه، يميناً وشمالاً، حتى انتهت عن آخرها.

كان وقع هذا البيع شديداً على والدته، وقد صور لنا سيد حالته، بعدما قام والده ببيع قطعة من أراضيه، كما صور لنا وقع هذا البيع على نفسه الصغيرة، حيث سيفقد الحقل والبيت والبهاائم، وكانت أمه

(١) المرجع السابق: ٢٠٧.

تعدّه ليعيد للأسرة ما فقدّه أبوه بالبيع، وذلك بإرساله إلى القاهرة، ليتعلم ثم يحصل على وظيفة، ويدخر المال اللازم، ويعود إلى قريته ليشتري ما باعه أبوه^(١).

ولكن بعدما تخرج وسكن القاهرة، صار عنده ما يشغله، وجدّ عليه من الواجبات ما حال بينه وبين تحقيق أمنية أمه!.

والده كريم مضياف:

كان والده كريماً، متلاًفاً مضيافاً^(٢)، ينفق الكثير على أولاده وأهل بيته، ولا يبخل عليهم بشيء، فما كانوا يحتاجون إلى شيء مما يوجد في السوق؛ لأنه كان أسبق الجميع في إحضار أجود أصنافه إليهم^(٣).

وكان عند والده عدد من الخدم، لم يكونوا خدماً بالمعنى المعروف، بل كانوا خدماً من نوع خاص، وهم فقراء من أهل القرية، بعضهم أقارب بعيدون للعائلة، وبعضهم جيران لها، كانوا يقومون ببعض شؤون المنزل من الليل أو النهار، أو يساعدون في أعمال الحقل، في مقابل «أكلة»، أو شيء من الوقود الذي يلزم لهم من روث الدواب، وفي مقابل بعض الملابس التي يخلعها أهل البيت، ويستطيع هؤلاء الفقراء أن يجدوا فيها من الصلاحية ما لم يجده أهل الدار، ثم في مقابل «كيلات» من الحبوب في المواسم، وكميات من التبن وأعواد الذرة الجافة للوقود^(٤).

(١) المرجع السابق: ٢٠١ - ٢٠٨.

(٢) المرجع السابق: ٢١.

(٣) المرجع السابق: ١٢٩.

(٤) المرجع السابق: ١٩٢ - ١٩٦.

ويرفض والده أن يكون هؤلاء الخدم أذلاء أمامه، فما يقبل أن يخاطبوه بكلمة (سيدي)، التي تنضح بالذل، ويرضى أن يناديه الصغار بلقب (عمي الحاج) والكبار بلقب (الحاج)^(١).

شمل كرم والده العمال الأغراب، الذين يأتون للعمل في أرضه كل موسم، ولم يكن الطعام الذي يقدمه لهم في مستواه أقل من طعام العائلة، وهو يخالف في ذلك عرف أهل القرية، الذين يميزون طعامهم عن طعام عمالهم، وعندما طالب هؤلاء العمال مرة أن يأكلوا على حسابهم مقابل زيادة في أجرتهم اليومية، وافق على منحهم الزيادة على أن يستمر في تقديم الطعام لهم^(٢).

وكان من كرم والده أيضاً، تلك الولائم التي تتكرر في بيته سنوياً، وقد حدثنا عنها سيد قائلًا: «والختمة كانت عادة موسمية في منزلهم، تتكرر أربع مرات أو خمساً في العام.... وفحواها أن يُدعى بعض (الخطباء) أي قراء القرآن إلى المنزل لتلاوته، تبركاً وتيمناً على أرواح الأموات في مواسم معينة: في يوم عاشوراء، وفي العيدين الصغير والكبير، وفي اليوم السابع والعشرين من رجب، وفي نصف شعبان»^(٣).

وكان يقدم للقراء والخطباء والحضور، بعد انتهاء الختمة، أجود أصناف الطعام في الإفطار والغداء والعشاء^(٤).

(١) المرجع السابق: ٨٠.

(٢) المرجع السابق: ١٩٢ - ١٩٦.

(٣) المرجع السابق: ٧٥.

(٤) انظر وصف الختمة موما يجري فيها في: طفل من القرية: ٧٥ - ٧٩.

والده عضو عامل في الحزب الوطني:

وقد كان والده متنوراً، عنده إلمام بنواحي المعرفة والثقافة، وعنده وعي وطني وسياسي! فقد كان من قراء الصحف، مشتركاً في صحيفة الحزب الوطني اليومية (اللواء)^(١). وقام بواجبه الوطني خير قيام، إذ انضم إلى الحزب الوطني، وكان عضواً في لجنة الحزب بالقرية^(٢).

والحزب الوطني الذي انضم إليه، من أوائل الأحزاب المصرية نشوءاً، حيث أنشأه مصطفى كامل سنة ١٩٠٧م، وكانت ميوله الوطنية والإسلامية واضحة، كما كان من أعنف الأحزاب هجوماً على بريطانيا، وقد ضم الحزب عدداً من خيرة المصلحين المصريين ذوي الميول الإسلامية، مثل الشيخ عبد العزيز جاويش، واستمرت هذه الميول واضحة لدى الحزب إلى فترة طويلة، حيث تخلى عنها فيما بعد^(٣).

لقد كان والد سيد حزبياً نشيطاً، حيث جعل من بيته مركزاً سياسياً هاماً، تعقد فيه الاجتماعات السياسية الوطنية، العلنية العادية منها، والسرية الخطيرة التي لا يحضرها إلا المختصون!.

وعلاوة على ذلك، كانت الدار مركز تثقيف جماهيري، حيث تأتيها الجموع لتستمع للأحاديث السياسية والوطنية، ولتقرأ جريدة الحزب الوطني اليومية، حيث تطلع على آخر الأخبار المحلية والعالمية، وتستفيد من التحليلات السياسية^(٤).

(١) الاتجاهات الوطنية ١: ٩٣٠.

(٢) طفل من القرية: ٣٧ و١٤٥.

(٣) الاتجاهات الوطنية: ٢: ٤١٤ - ٤١٦.

(٤) طفل من القرية: ١٤٦ - ١٤٧.

والده يقود ثورة ١٩١٩م في القرية:

وقد حدثنا سيد عن دور والده في التحضير لثورة سنة ١٩١٩م في القرية، وعن الاجتماعات التي كانت تعقد في دارهم تمهيداً لها:

«كان ذلك في نهاية الحرب العظمى الماضية، وكان بالمدرسة ناظر شاب يتقد وطنية، ولما كان والد الطفل عضواً في لجنة الحزب الوطني، ومشاركاً في صحيفته اليومية، فقد كان منزلهم مثابة للوطنيين من رجال القرية، ولهذا كان الناظر الشاب كذلك، الذي انعقدت صداقة حميمة بينه وبين والده، وفي هذه الاجتماعات كانت تدور أحاديث يحضر بعضها الصبي (سيد قطب)، وبعضها كان سرياً لا يعلم عنه أحد شيئاً^(١).

ويحدثنا سيد عن أثر هذه الاجتماعات على نفسه، وما تلقى فيه في حسه وروعه:

«وكان يبدو أن هناك شعوراً معيناً يختمر، يذكر الآن ذلك كله، ويدرك أنه وهو طفل، كان يتوقع في حسه - مع هؤلاء الرجال - شيئاً غامضاً، لا يدري ما هو، ولا كيف يقع، ولكن شيئاً ما سيحدث، والسلام، وكانت الاجتماعات السرية التي تعقد في منزله، والأبواب مغلقة، والأصوات تجري همساً. كانت هذه الاجتماعات تلقي في روعه هذا الشيء الغامض الذي لا يدريه»^(٢).

(١) المرجع السابق: ١٤٥ - ١٤٦.

(٢) المرجع السابق: ١٤٦.

والده متدين محب للقرآن:

كانت علاقة والده بربه قوية متينة، فقد كان متديناً، يقيم الصلاة في كل وقت، ويصليها في المسجد الجامع، وكثيراً ما كان يصطحب طفله - سيد - معه. وعندما كبر سيد، ووصل العاشرة من عمره صار يذهب إلى المسجد وحده، ويحرص على أداء الصلاة جماعة فيه^(١).

وقد أدى والده فريضة الحج، وكان الصغار يلقبونه بـ(عمي الحاج)، والكبار بلقب (الحاج). وهذا دليل قوة العقيدة في نفسه، ومسارعته إلى مرضاة ربه، فما كان يؤدي فريضة الحج في زمنه إلا القليل من الأثرياء، الذين عمر قلوبهم بالإيمان بالله.

وقد كان كثير الصدقة في سبيل الله، على الفقراء والمساكين في القرية، ومنهم من كانوا يجلسون معه في البيت، يأخذون نصيبهم من الطعام، أو الحبوب في المواسم.

كما كان يتصدق على العمال، الذين يعملون في أراضيه. فيعطيهم أجراً يزيد عن أجور زملائهم الذين يعملون عند الآخرين، ويقدم لهم طعاماً أجود من طعام الآخرين كذلك.

كان يقيم حفلات (الختمة) في البيت عدة مرات في العام، حيث يجتمع قراء القرية، يقرؤون القرآن مقابل أجره مادية يدفعها لهم، ووليمة فخمة يضعها أمامهم، وكان يجمع القراء في المنزل، طوال شهر رمضان، يقرؤون القرآن، وينفق عليهم من الأموال الكثير، ويقدم لهم أطيب الطعام، ويتغني بهذا كله وجه الله.

(١) المرجع السابق: ١٢٠.

كلام سيد عن تدين والده:

كان يعيش كل يوم والآخره في حسابه، هي المسيطرة على حركاته وسكناته، ومواقفه وأعماله، وخير من يصور لنا هذا سيد، فقد أهدى له كتابه «مشاهد القيامة في القرآن» ومما جاء في إهدائه قوله:

«لقد طبعت في حسي - وأنا طفل صغير - مخافة اليوم الآخر، لم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر في حسابك، وذكره في ضميرك وعلى لسانك... كنت تعلل تشددك في الحق الذي عليك، وتسامحك في الحق الذي لك، بأنك تخشى اليوم الآخر، وكنت تعفو عن الإساءة وأنت قادر على ردها، لتكون كفارة لك في اليوم الآخر، وكنت تجود أحياناً بما هو ضرورة لك، لتجده ذخراً في اليوم الآخر....

وإن صورتك المطبوعة في مخيلتي، ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء فتقرأ الفاتحة، وتتوجه بها إلى روح أبويك في الدار الآخرة. ونحن أطفالك الصغار، نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات، قبل أن نجيد حفظها كاملات»^(١).

ولا شك أن هذه السمات البارزة في شخصية والده، والتي ذكرها سيد هنا، قد أثرت فيه كثيراً، ورسخت في نفسه وشعوره، ورسمت ملامح شخصيته، وكان لها صلة مباشرة بالمواقف التي وقفها في حياته مواقف العزة والثبات، والاستعلاء والكرامة.

(١) مشاهد القيامة في القرآن: ٥ (باختصار).



شخصية والدته:

لقد كانت أم سيد قطب من أسرة رفيعة من أسر القرية، ذات مكانة مرموقة فيها، نظراً لثروتها الواسعة التي جمعها والدها، ونظراً لدراسة اثنين من إخوانها في الأزهر الشريف، حيث جمعت بهذا بين الواجهة العلمية والواجهة الاجتماعية.

كان لها إخوة أربعة، اثنان منهم نالا قسطاً من العلم، وكان لأحدهما - أحمد حسين عثمان - أثر كبير على سيد، عندما سكن معه في القاهرة^(١).

ورغم أن ثروة الأسرة في القرية قد بيعت عن آخرها، إلا أن أمه لم تجزع، فقد اتصفت بالإيمان والثقة والعزة والكرامة، وكان لأسرتها فضل كبير في غرس هذه الصفات في نفسها، فوالدها رجل أزهري ثري تقي، وأخوها تعلموا في الأزهر كذلك.

تدوين والدته:

كانت تحب سماع القرآن، وتخشع عند تلاوته، وتحث ولدها سيد على أن يقرأ لها القرآن، وتتسمّع من وراء «الشيش» للقراء، يرتلون القرآن في المنزل. وقد صور لنا سيد هذه السمة فيها، عندما أهدى إليها كتابه (التصوير الفني في القرآن) قائلاً:

«لطالما تسمّعت من وراء (الشيش) في القرية، للقراء يرتلون في دارنا القرآن، طوال شهر رمضان. وأنا معك - أحاول أن ألغو كالأطفال - فتردني منك إشارة حازمة، وهمسة حاسمة، فأنصت معك

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.



إلى الترتيل، وتشرب نفسي موسيقاه، وإن لم أفهم بعد معناه، وحينما نشأت بين يديك، بعثت بي إلى المدرسة الأولية في القرية، وأولى أمانيك أن يفتح الله عليّ فأحفظ القرآن، وأن يرزقني الصوت الرخيم، فأرتله لك كل آن.

ولقد رحلت عنا - يا أماء - وآخر صورك الشاخصة في خيالي جلستك في الدار أمام المذيع، تستمعين للترتيل الجميل، ويبدو في قسّمات وجهك النبيل، إنك تدركين - بقلبك الكبير وحسك البصير - مراميه وخفائاه^(١).

إذا كانت هذه حالتها عند سماع القرآن، فلا بد أنها كانت صوّامة قوّامة، تقيةً بارّة!!

كانت كريمة تكثر من الصدقة في سبيل الله، وتقوم بإعداد الطعام بنفسها، للقراء الذين يقرؤون القرآن في المنزل، كما كانت تعدّه أيضاً للعمال الأغراب، الذين يعملون في حقول الأسرة، وتجهّد نفسها في هذا كله، وهي راضية النفس، لأنها تتقرب إلى الله بهذا العمل، وترجو ما عنده^(٢).

ما أوصت به إلى سيد:

كانت حريصة على أن تغرس في نفوس أبنائها الصفات الإيمانية التي اتصفت بها، وأن تربّهم عليها، كي يتمثلوها في تصرفاتهم وسلوكهم ومواقفهم، وكانت عنايتها بسيد فائقة، فهو الابن البكر،

(١) التصوير الفني في القرآن: ٥.

(٢) طفل من القرية: ١٩٢.



وهو محطُّ آمالها ومعقْدُ رجائها، لذلك حرصت على أن تبني شخصيته على الإيمان، والعزة والكرامة والمروءة، وتحمل المسؤولية!!

كانت تريد منه أن يكون رجلاً حتى قبل أوانه^(١)، لذلك راح يهرب من كل مظاهر الطفولة في طفولته، ويعزو السبب إلى (الكبرياء التي أودَعَتْنيها منذ الطفولة، فَجَعَلَتْني أَهْرَبُ من كل مظاهر الطفولة)^(٢).

وعندما توفيت أمه سنة ١٩٤٠م^(٣)، كان مما رثاها به قوله: «أماه... من ذا الذي يقصّ عليّ أقاصيص طفولتي، كأنها حادث الأمس القريب، ويصور لي أيامي الأولى، فيعيد إليها الحياة، ويبعثها مرة أخرى في الوجود.

لقد كنتِ تصوريني لنفسِي كأنما أنا نسيج فريد، منذ ما كنت في المهد صبيًا، وكنتِ تحدثيني عن آمالك، التي شهد مولدها مولدي، فينسرب في خاطري أنني عظيم، وأنني مطالب بتكاليف هذه العظمة، التي هي من نسج خيالك، ووحى جنانك، فمن ذا يوسوس إليّ بعد اليوم بهذه الخيالات الساحرة؟ ومن ذا يوحى إليّ بعد اليوم بتلك الحوافز القاهرة؟»^(٤).

(١) انظر حديثها له في «طفل من القرية»: ٢٠١ - ٢٠٨.

(٢) الأطياف الأربعة: ١٦٦ وقد وردت في الأطياف «أودعيتها» ويبدو أنه تصحيف.

(٣) المرجع السابق: ١٦٨.

(٤) المرجع السابق: ١٦٧.



إذا كان هذا ما أُوحِتْ به إليه، وإذا كان هذا ما أملتَه فيه، فلا
غربة إذن في المواقف العظيمة التي وقفها، والتكاليف الباهظة التي
دفعها، حتى هانت عليه حياته، فبذلها في سبيل ما يعتقد، وإن لأمه
أثراً عظيماً ملموساً على هذه المواقف، ولقد صدق ظنُّ أمه فيه، فقد
عاش سيد قطب عظيماً، ومات عظيماً، وما زال تلاميذه يتحسسون
مواطن العظمة فيه، ويسرون على خطاه!!

* * *

المبحث الثالث تعريف بإخوته

تزوج والده زوجتين، الأولى أنجبت أولاداً، أشار سيد إلى أحدهم في كتابه (طفل من القرية)^(١).

والثانية - أم سيد - أنجبت أولاداً، عرفنا منهم خمسة: ابنان وثلاث بنات، وهم: نفيسة وسيد وأمينة ومحمد وحميده.

أخته الكبرى «نفيسة»:

وهي المولودة الأولى، تكبر سيد بثلاثة أعوام^(٢)، ولا نعرف عنها الكثير، وقد أشار لها سيد في كتابه (طفل من القرية) دون ذكر اسمها^(٣). ولم يكن لها اشتراك في الأعمال الأدبية كباقي إخوتها. وقد قدمت أعلى ما تملك في سبيل الله، حيث استشهد ابنها (رفعت بكر شافع) الطالب في كلية الهندسة بجامعة القاهرة، وذلك عندما زج جمال عبد الناصر بالألوف من أفراد جماعة الإخوان المسلمين في السجون عام ١٩٦٥م، وجرت لهم مذابح رهيبة فيها. وقد لقي هذا الشهيد ربه، عندما كان الزبانية يعذبونه في مكتب شمس بدران - وزير الحرية يومئذ - وكان سيد يحب هذا الشاب كثيراً، بل كان أحب أولاد أخته إليه، للشبه الكبير بينهما، كما سُجن شقيقه عزمي، وعُذب تعذيباً شديداً، أو شك أن يموت منه، وقد نالت نفيسة نصيبها من السجن والتعذيب، ولم يرحم الطغاة

(١) طفل من القرية: ٣٣، ١٥٦، ٢٠٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٠٢.

(٣) المرجع السابق: ٢٠٤.

ضعفها وشيخوختها، حيث كان عمرها يزيد على الخامسة والستين، ولم يخرجوها من السجن إلا بعد استشهاد ولدها رفعت^(١).

أخته الوسطى «أمينة»:

كانت تصغر سيد^(٢)، وعاشت في القرية لفترة من الزمن، ثم انتقلت إلى القاهرة، وكانت لها ثقافة أدبية واسعة، ولها مشاركة في الأعمال الأدبية، وكان فن القصة هو أكثر فنون الأدب إجادة لها، حيث نشرت في المجلات الأدبية عدداً من القصص الهادفة، وتنوع قصصها من التصور الإسلامي للأدب والحياة، كما شاركت أمينة إخوتها في كتابهم المشترك (الأطياف الأربعة) بقصص منها، وقد عرّف بها سيد في مقدمة (الأطياف) قائلاً: «تلك الفتاة الهادئة (أمينة)، إنها ساربة في الماضي، ولا تكاد منه تعود، إنها شاعرة، ثروتها من التصورات أجزل من ثروتها في التعبير، إنها مستغرقة في حلم: بالمستقبل الذي لا تملك، وبالماضي الذي لن يعود»^(٣).

ونعرف لها مجموعتين من القصص المطبوعة:

«في تيار الحياة»: مجموعة أقاصيص، ضمت اثنتي عشرة أقصوصة، وقد أهدت هذه المجموعة إلى أخويها سيد ومحمد، ومما جاء في الإهداء قولها:

«يا شقيقيّ الحبيبين! إليكما أهدي هذه الأقاصيص، إن في بعضها صرخات في التيه... قبل أن تبدو لعينيّ معالم الطريق

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر، لجابر رزق: ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) طفل من القرية: ٢٠٢.

(٣) الأطياف الأربعة: ٨.



المأمون.. وفي بعضها الآخر خطوات متعثرة في منحنيات الطريق الطويل، فتقبلاها مني.. ريثما أتحمس المعالم والسمات، وأدرب قدميَّ على مشاق الصعود^(١).

ومن إهدائها هذا يتجلى لنا أنها وإن لم تَبْدُ لعينيها معالم الطريق المأمون في ذلك الوقت، فقد سارت خطوات متعثرة في منحنيات الطريق الطويل، وأنها بهذا السير وهذا التعثر سوف تتحمس المعالم والسمات للطريق اللاحب الطويل، والذي دربت قدميها على مشاق صعوده، وقد صعدت هذا الطريق فيما بعد، وتحملت مشاقه وأهواله، وأخذت نصيبها من المحنة والابتلاء، فأدخلت السجن، وعُذبت وصبرت، وخرجت منه أقوى إيماناً من قبل.

المجموعة الثانية من أقاصيصها (في الطريق) وهو يشابه اسم كتاب شقيقها سيد (معالم في الطريق).

أخوه الشقيق «محمد»:

لقد بقي سيد هو الولد الوحيد عند والديه، ما يزيد على ثلاثة عشر عاماً، إلى أن ولد شقيقه محمد في أبريل (نيسان) سنة ١٩١٩م^(٢). وقد قضى محمد طفولته في القرية، وانطبع في مخيلته صورها ومشاهدها، وتأثرت نفسه بمناظرها، وتفتحت مشاعره وأحاسيسه على جمالها وبهائها، وكثيراً ما كان يذهب إلى الحقول والبساتين الخضراء، يجري فيها ويتفياً ظلال أشجارها، ويرهف سمعه لشدو بلابلها، وزقزقة عصافيرها، ويقتطف لنفسه من زهورها، ويستروح نسيم عبيرها!.

(١) في تيار الحياة لأمانة قطب: ٣.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

ولما استقر شقيقه سيد في القاهرة، ارتحل إليها مع أمه وأخته، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية، التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة. وقد كان يرغب في أن يدخل قسم اللغة العربية وآدابها، ولكن شقيقه أراد له أن يلتحق بقسم اللغة الإنجليزية^(١).

وقد حصل محمد على الليسانس في اللغة الإنجليزية، كما حصل على دبلوم التربية وعلم النفس، وبعد التخرج التحق محمد بوظيفة في وزارة التربية والتعليم.

وقد سار محمد في طريق الدعوة إلى الله، وتحمل تكاليفها بصبر وثبات، حيث أدخل سجون الطغاة في مصر، مرتين، الأولى في عام ١٩٥٤م، والثانية في مذبحة الإخوان عام ١٩٦٥م، حيث كان أول المعتقلين، وقد لاقى من التعذيب صنوفاً عديدة، حتى أشيع أنه قد قُتل، وزادته المحنة إيماناً وثباتاً، وفُجع في السجن بشقيقه، وصُنِّو روحه سيد، وقد ترك استشهاد جرحاً عميقاً في نفسه، ولكنه صبر واحتسب، وطالت محنته في السجن، ثم أُفرج عنه، وتعاقدت معه جامعة أم القرى في مكة، حيث يعمل الآن مدرساً فيها.

محمد قطب «كاتب أديب»:

غرس سيد في نفس شقيقه محبة الأدب وفنونه، فمارس محمد كتابة المقالة، وعرفته المجلات الأدبية التي كانت تصدر في الثلاثينيات والأربعينيات، مثل الأسبوع والرسالة والثقافة، وغيرها، ونشر فيها كثيراً من مقالاته، كما نظم محمد الشعر، ويغلب على شعره النبوة العاطفية،

(١) مقدمة سخریات صغيرة، لمحمد قطب.



ويتجه به إلى نفسه، يحللها ويستنطقها، ويستفهم منها عن سر الوجود والحياة، ونشر كثيراً من قصائده في مجلات الرسالة والثقافة وغيرها^(١).

وبينما تتلمذ سيد على الكاتب الكبير عباس العقاد، كان محمد - على شدة إعجابه بالعقاد - يرى أن الكاتب الساخر إبراهيم عبد القادر المازني أحب إليه من باقي الأدباء المعاصرين^(٢).

والأستاذ الحقيقي لمحمد هو شقيقه سيد، الذي ترك لمساته واضحة على شخصيته وحياته، وقد أهدى محمد أول مؤلف مطبوع له - سخریات صغيرة - إلى شقيقه سيد، وجاء في الإهداء قوله:

(إلى أخي الذي علمني كيف أقرأ وكيف أكتب، وحباني برعايته، منذ طفولتي، فكان لي والداً وأخاً وصديقاً... إليه أهدي هذا الكتاب، لعلني أستطيع أن أفي بشيء من الدين العظيم)^(٣).

وبعدما اتجه سيد الاتجاه الإسلامي، وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين انضم شقيقه محمد إلى الإخوان بعده بشهور في سنة ١٩٥١م^(٤).

محمد قطب مفكر إسلامي:

وبدأ محمد بتأليف مجموعة من الكتب الإسلامية هي:

١ - الإنسان بين المادية والإسلام: وهو أول مؤلف إسلامي له، نشره في سنة ١٩٥١، واعتبره الأصل لبعض كتبه الإسلامية التي تلتها.

(١) لمعرفة بواعثه على قول الشعر، والصارف له عن إنشاده بعد ذلك، انظر كتابه (منهج الفن الإسلامي): ٩ - ١١.

(٢) مقدمة سيد لسخریات صغيرة: ٥.

(٣) سخریات صغيرة: ٣.

(٤) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.



- ٢ - شبهات حول الإسلام.
- ٣ - في النفس والمجتمع.
- ٤ - قبسات من الرسول.
- ٥ - معركة التقاليد.
- ٦ - منهج التربية الإسلامية.
- ٧ - منهج الفن الإسلامي.
- ٨ - التطور والثبات في حياة البشرية.
- ٩ - دراسات في النفس الإنسانية.
- ١٠ - جاهلية القرن العشرين.

والكتب الثلاثة الأخيرة، هي أنضج كتبه.

وبعد محنته عام ١٩٦٥م، انقطع عن التأليف فترة تزيد على عشر سنوات، وقد أعد الآن عدداً من البحوث الإسلامية وهي:

- ١ - دراسات قرآنية^(١).
- ٢ - منهج التربية الإسلامية / الجزء الثاني.
- ٣ - كيف نكتب التاريخ الإسلامي.
- ٤ - مفاهيم ينبغي أن تصحح.
- ٥ - المستشرقون والإسلام.

وأسلوب محمد سلس مشرق، يخاطب الفطرة، ونغماته وإيقاعاته هادئة، ويجيد التحليل ومناقشة الخصوم، حيث يبسط فكرة الخصم ثم يفندھا ويدحضها من وجهة نظر الإسلام.

(١) وقد ظهر حديثاً، حيث طبع سنة ١٩٧٨م.



وهو متأثر بشقيقه سيد في كل شيء، «ولا يعني هذا أن نبخس محمداً حقه، فنزعم أنه لم يقل جديداً، بل كان شارحاً ذكياً فحسب، لا، لقد قال الكثير من الجديد المفيد، وهذا ظاهر لا يحتاج إلى إيضاح، ولكن نهجه الفكري وتصوراته التي شكلت خلفيات مباحثه، ما هي إلا الثمرة الناضجة التي أنبتتها شجرة أخيه الشهيد رَحِمَهُ اللهُ»^(١).

فراصة لسيد في خلافة أخيه له:

ولو لم يكن لسيد إلا أنه خرَّج أخاه هذا، وسلمه الراية من بعده لكفاه، إن سيد كان يُعَدُّ أخاه ليخلفه من بعده، وكان يأمل أن يكون مكماً له، فعندما أصدر أول ديوان له، وهو «الشاطيء المجهول»، أهده إلى محمد، ومما جاء في إهدائه قوله:

أخي أنتَ نفسي حينما أنتَ صورةٌ لآمالي القُصوى التي لم تُشارِفِ
تَمْنيتُ ما أعيا المقادير، إنما وجدْتُك رمزاً للأمانى الصوادفِ
فأنتَ عزائي في حياةٍ قصيرةٍ وأنتَ امتدادي في الحياةِ وخالفي^(٢)

وكأنى بسيد قطب عندما قال هذه الأبيات، كان يحاول أن يستشف الغيب ببصيرته النافذة، وإنها لكرامة لسيد، جاءت في صورة أمنية له.

وقد حقق محمد أمنية أخيه، وقد مد الله في عمره، فخلفه، واعتبر امتداداً له في حياته!.

(١) سيد قطب. لبركات: ٢٠ - ٢١.

(٢) مقدمة سيد لسخریات صغيرة: ٤ - ٥.

ويُعتبر الأستاذ محمد قطب الآن في طليعة الدعاة الإسلاميين، والمفكرين الملتزمين، والمرّيين الحركيين. وقد شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية داخل البلاد الإسلامية وخارجها، وقدم البحوث الهادفة الجادة، وألقى المحاضرات الإسلامية الكثيرة التي استمع لها الآلاف من الشباب الإسلامي.

أخته الصغرى «حميدة»:

هي صغرى الأطياف الأربعة، عَرَفَ بها سيد في مقدمة الأطياف قائلاً: «تلك الصبية الناشئة - حميدة - إنها موفورة الحس أبداً، متفرعة من شبح مجهول، إنها تعبد الحياة وتخشاها، إنها تتلفت في ذعر كلما تفرست في المجهول»^(١).

عاشت في القرية فترة من حياتها، ثم التحقت بشقيقها سيد في القاهرة، عندما استقرت العائلة كلها عنده، وأتمت دراستها في القاهرة، ولها اهتمامات أدبية، عرفنا منها الحيز الذي كتبه في (الأطياف الأربعة)، وكتبت المقالات في المجلات التي كانت تصدر في مطلع الخمسينيات، مثل مجلة (المسلمون) و(الإخوان المسلمون).

وبعد محنة الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤م، قامت حميدة مع مجموعة من الأخوات المسلمات المجاهدات، بمهام عظيمة، في رعاية أسر المجاهدين المعتقلين، وكانت الساعد الأيمن للمجاهدة «زينب الغزالي»، كما كانت حلقة الوصل في التنظيم الإخواني بينه وبين شقيقها سيد، الذي كان داخل السجن، تحمل تعليماته وتوصياته

(١) الأطياف الأربعة: ٧.



للتنظيم. وكان نصيبها من الابتلاء والتعذيب في محنة الإخوان عام ١٩٦٥ م كبيراً. وهي الوحيدة من آل قطب التي حكم عليها بعقوبة محددة - باستثناء شقيقها الشهيد - حيث حكم عليها بالسجن عشر سنوات مع الأشغال الشاقة، قضت منها ست سنوات وأربعة أشهر بين السجن الحربي وسجن القناطر^(١).

* * *

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر: ١٣٤.

المبحث الرابع نشأته وتربيته ووصفه

في هذا العصر الذي وصفنا عاش سيد قطب، وفي هذه القرية الجميلة الهادئة نشأ ودرج، وفي أحضان تلك الأسرة المستقرة المطمئنة المهتدية تربي، وبين هؤلاء الإخوة الأبرار قضى فترة من العمر لا تُنسى. لقد كان أثر القرية وما فيها من جمال واضحاً على نفسيته، ويظهر ذلك من كثرة ذكره لها، وإشادته بمحاسنها وجمالها، بل إنه أَلَفَ أحد كتبه وهو (طفل من القرية) ليبين كثيراً من مزاياها، حيث رسم فيه صوراً رائعة لها.

أثر مناظر القرية الجميلة عليه:

هذه القرية الجميلة الهادئة الحالمة، ذات المناظر الطبيعية الفاتنة، التي طالما أجال سيد قطب طرفه في ربوعها، ينقل ناظريه من سحر إلى فتنة، ومن فتنة إلى سحر، فمن منظر الفيضان والمياه تغمر وجه الأرض، وترتفع إلى أكثر من متر، والخيالات والرؤى التي كان يسبح بها سيد حينما ينظر إلى الماء، إلى مشهد الأرض السمراء التي تتكشف عن مياه الفيضان، إلى حركة العمال يذرون فيها الحب، بسواعدهم المفتولة، وبشرتهم السمراء التي لوحتها أشعة الشمس، إلى لوحة النبات والزهور المختلفة الألوان، إلى الأشجار المختلفة الأحجام والألوان والثمار... تلك المناظر الجميلة الخلافة الممتعة، تركت أثراً في نفس سيد قطب، حيث كانت نفسه تتأثر بكل واحدة منها، فتضيف بذلك المزيد إلى رصيدها من الجمال، فإذا كانت عيناه تقع كل يوم



على ما لا يُعد من هذه المشاهد الفاتنة، لأنه كثيراً ما كان يقوم بنزهات ممتعة إلى حقول أسرته، فيجري ويقفز ويمرح، ويلطف من يشتغلون فيها، وكثيراً ما كان يرافق لداته وخلاته في نزهاتهم الخلوية إلى أحضان الطبيعة، سواء في النهار الضاحي، أو الليل المعتم الساجي، إذا تصورنا مشاهداته هذه، تصورنا رصيذاً ضخماً من المشاهد والمناظر مذكوراً في مخيلته، وعرفنا سر أحلامه ورؤاه.

تأثره بما كان يسمع في القرية:

هذا عن المشاهد الساحرة التي كانت تقع عيناه عليها كل يوم، فماذا عن الأصوات الموسيقية التي كانت تطرق سمعه؟

لا شك أنه كان في نزهاته التي وصفنا، يسمع تغريد الطيور، وزقزقة العصافير، وشدو البلابل، التي كانت ترف من غصن إلى غصن فتصفق الغصون لشدوها طرباً، فكان سيد يطرب لألحانها الموسيقية، وتتخدر مشاعره وأحاسيسه لإيقاعها الساحر.

ومن الأصوات التي طرقت سمعه، وأثرت في نفسه، وساعدت على بناء شخصيته القوية القويمة، مواويل العمال الغرباء، الذين كانوا ينشدونها في عز وإباء، فيسمعها سيد مسحوراً مخدراً، وكلما تعبوا وكفّوا طالبهم بالمزيد، فاستجابوا له: «كانت أغاني هؤلاء الناس الشجية، التي تقطر بالمرارة والأسى، في رجولة وتجمل، تستجيش نفس الصبي الصغير وأحاسيسه، فيستمع إليها شبه مسحور، وتجيش في نفسه الصغيرة إنفعالات لا يديرها، ولا يحاول التعبير عنها... ولكنه أبداً يحن إليها، وينتظرها من العام للعام، ويستكثر من إنشادها، ويستزيد، إن صمت القوم من التعب

والإعياء... وهم في كل مرة يجيئون إلى ما يطلب: فهو الابن الصغير لسيد البيت، ثم هو صديقهم فرداً فرداً^(١).

وطرق سمعه، أصوات النساء في القرية وهي (تُعَدُّ: أي تتحزن بصوت مسموع)^(٢) وتردد منظومات حزينة، والدموع تسح من عيونها بغزارة، فتؤثر في نفسه، وتسكب الحزن في قلبه، وطرق سمعه صراخ النساء، وهي تبكي وتردد كلمات الفجيعة، إذا فجعت واحدة منهن بزوجه أو ابنها أو أحد أقاربها، أو بُقِرَت بطونُ بهائمها، من قبل لصوص القرية، كذلك طرق سمعه أغاني المحبين من الشباب، ومواويلهم التي ينشدونها في انفعال ولهفة.

هذه المناظر الجميلة التي رآها سيد، وهذه الأصوات المختلفة البواعث والإيقاعات والتأثيرات، التي سمعها سيد في كل آن، أحدثت في نفسه مختلف المشاعر، هذا كله أخذه سيد من قريته، وكان له أثر واضح على نفسه وحسه ومشاعره ووجدانه ومخيلته، وقد ساعدت هذه الأمور كلها على نمو فكرة التصوير والتشخيص في نفسه وكتاباتة على السواء. هذا عن أثر قريته بمناظرها وإيقاعاتها وإيحاءاتها على سيد قطب.

ماذا غرس والداه في نفسه؟:

أما والداه فقد كان أثرهما واضحاً في مختلف نواحي شخصيته: وإننا نحس لمساتهما التربوية واضحة فيه، لقد غرسا في نفسه الكثير: غرسا في نفسه الإيمان والطهر والعفاف: والده الذي كان يرتاد

(١) طفل من القرية: ١٨٥ - ١٨٦.

(٢) المرجع السابق: ٢٠١.



المساجد للصلاة، ويدفع الحقوق لأصحابها، ويسير ومخافة اليوم الآخر نصب عينيه، ويختتم نهاره بالفاتحة، ووالدته التي كانت تؤدي حق الله عليها، وتنصت إلى القرآن بخشوع، والولائم المتعددة التي تقام في بيتهم كل عام، ويُتلى فيها القرآن، هذا كله ساعد على غرس المعاني والحقائق الإيمانية في قلبه، فدفعته - وهو طفل صغير - إلى المحافظة على الصلاة في المسجد، وإلى حفظ القرآن وهو لما يكمل المرحلة الابتدائية.

وغرسا في نفسه محبة المساكين ونصرة الضعفاء، ودفعَ الظلم عن المظلومين: والده الطيب الكريم، الذي كان يستقدم العمال الأغراب للعمل في حقوله، ويعاملهم كما يعامل أفراد العائلة في الطعام والشراب، ويعطيهم من الأجر أكثر ما يعطي أصحاب الأراضي الآخرون... ووالدته التي كانت تتقرب إلى الله بقيامها على طعامهم بنفسها، والتي كانت تتصدق على فقراء القرية، هذا كله أثر في نفسه، فوقف نفسه لمناصرة المظلومين، فالعمال الذين يكرمهم والده كان هو (المحامي) لهم، يأخذ لهم من بيته زيادة على استحقاقهم.

وكان يصادقهم ويجالسهم، ويستفيد الكثير منهم، اطلع على أحوالهم وأسرارهم، وعرف الكثير عنهم، عرف خصائص حياتهم، وطبيعة أكلهم، ومورد دخلهم، وحياتهم الاقتصادية، عرف كل هذا وهو طفل صغير، ولكنه ترك في نفسه أثراً واضحاً، يحدثنا عنه قائلاً:

«وعلم أشياء وأشياء، لم يتبين عمق آثارها في نفسه، وقسوة وقعها على حسه، إلاّ وهو يسترجعها الآن، في الحين بعد الحين، فيشعر في قرارة نفسه بالخجل، ويحس لنفسه ولشعبه بالازدراء، إنه سارق... سارق لهؤلاء الغُرب وأمثالهم من الملايين الكثيرة، التي تنبت الذهب

في الوادي، وتجوع... سارق...! ولو كان في الوادي قانون عادل لقاده إلى السجن، قبل أولئك الكثيرين الذين يحسبهم القانون لصوصاً ومجرمين^(١)! هذا هو الشعور الذي ظل يعاوده أبداً، كلما جلس يتناول طعاماً دسماً، أو فاكهة لذيدة أو حلوى أنيقة، أو يتمتع بأيسر مباحج الحياة بين ملايين المحرومين^(٢)!

وغرسا في نفسه الإباء والعزة، والمروءة والشمم: كان يرى العزة التي يقفها والده فتؤثر في نفسه، ولقد طبعته والدته على هذه المعاني منذ صغره، وأعدته إعداداً خاصاً ليكون رجلاً، غرست في نفسه الكبرياء التي يقول عنها: «الكبرياء التي أودعَنيها منذ الطفولة، فجعلتني أهرب من كل مظاهر الطفولة»^(٣)، ويقول في رثائه لها: «لقد كنت تُصوريني لنفسي كأنما أنا نسيج فريد، منذ ما كنت في المهد صبيّاً، وكنت تحدثيني عن آمالك، التي شهد مولدها مولدي، فينسرب في خاطري أنني عظيم، وأنني مطالب بتكاليف هذه العظمة»^(٤).

اعتداده بنفسه في طفولته:

ولذلك كان يأبى على نفسه أن تقف موقف ذل أو هوان، أو يأتي بفعل ينقص من قدره في أعين الناس، فعندما اضطره الخوف إلى الهرب من المدرسة في أول يوم ذهب إليها.. «أدرك ما في فعلته من

(١) اعتبر نفسه سارقاً؛ لأن أكله أطيب وأزفّ من أكلهم! فما هي نظرته إلى اللصوص من

الكبراء والزعماء يا ترى!!

(٢) طفل من القرية: ١٩٦ - ١٩٧.

(٣) المرجع السابق: ١٦٦.

(٤) المرجع السابق: ١٦٧.

عضاضة - وكان على صغر سنه يدرك هذه العضاضة - فلم يستطع أن يواجه أهل البيت بفعلته - لا خوفاً فقد كان آمناً من الضرب - ولكن حياء من الفعلة التي لم تكن تليق^(١)!

وعندما تحذره أمه من السير في طريق مظلم خطر ليلاً خوفاً عليه، يكون هذا التحذير كافياً لأن يقتحم هذا الطريق الخطير في الليل البهيم، وهو طفل صغير! وذلك لأن تحذيرها أثار كبرياءه، وجرح عزته واعتداده بنفسه، وعندما سار في الطريق الخطر أحس بالرهبة، وسيطر الخوف عليه، ولما مر عليه رجل من أهل القرية، تصنع الشجاعة، وأنكر الخوف، واصطنع عذراً يتفق واعتداده بنفسه، لأنه رأى في اعترافه بالخوف أمام الرجل، مهانة وعضاضة، وهو لا يريد لكبريائه أن تُجرح أو تُخدش^(٢).

هذه الحادثة تدلنا على ما تمتع به من العزة والكرامة والشهامة، منذ صغره، وقد لازمته هذه الصفات في مختلف مراحل حياته، فلم يُعهد عليه موقف ذل أو هوان، في مدرسة أو كلية، أو عمل قام به، أو وظيفة التحق بها، أو صراع أدبي أو سياسي أو اجتماعي قاده، رغم الضغط الذي تعرض له، والمساومات التي أُجريت معه.

وغرسا في نفسه الحيوية والحركة، والعمل الجاد لإصلاح الوطن، وكان للندوات السياسية التي تعقد في بيته وهو صغير، والتي قرأ للحضور فيها الجريدة اليومية، أثرها على نفسه، كما كان للاجتماعات السياسية السرية المغلقة التي تعقد في بيته كذلك، أثرها الواضح أيضاً.

(١) المرجع السابق: ٢٩.

(٢) انظر تفصيل الحادثة في (طفل من القرية): ١٢١ - ١٢٣.

نشاطه السياسي في طفولته:

وقد ورث عن والده السياسي - عضو لجنة الحزب الوطني في القرية - الاهتمام بالسياسة، ومتابعتها والانغماس فيها، فهي هو يقرأ الجريدة السياسية كل يوم، ويثقف نفسه بما جاء فيها، وتتفتح مواهبه السياسية بالاطلاع على تحليلاتها، وقد خاض غمار السياسة وهو ما زال في القرية. فعندما قامت الثورة الشعبية سنة ١٩١٩م واشتركت بها فئات الشعب المصري، واشتركت قريته بها، وكان لوالده دور بارز فيها، لم يقبل سيد أن يبقى ساكناً والناس يتحركون، وإنما حدثنا عن دوره فيها قائلاً:

«وقعت المعجزة على يده هو، فانطلق في حماسة الثورة وفورتها، يكتب هو الخطب (!!) ويضمنها أبياتاً من الشعر (!!) - يحسبها موزونة وهي متهالكة - ويلقيها في المساجد (!!!) حيث نفخت الثورة المقدسة في الجميع، فصاروا يستمعون لكل هاتف بالثورة، ولو كان طفلاً صغيراً مثله لم يكذب يتجاوز العاشرة»^(١).

ولم يتخل عن هذا الاهتمام طيلة حياته، فانضم إلى حزب الوفد، وكان عضواً مؤثراً فيه، ثم انفصل عنه وانضم إلى حزب السعديين، ثم يئس من الأحزاب القائمة وعمل بمفرده، وأخيراً وجد ضالته في جماعة الإخوان المسلمين، التي بقي يعمل من خلالها إلى أن لقي ربه^(٢).

حسن تربيته في طفولته:

حرص والده سيد قطب، على أن يربياه التربية القويمة، ليكون إنساناً صالحاً، وليحقق الآمال التي يرجونها منه.

(١) المرجع السابق: ١٥١.

(٢) انظر فصل (مشاهد من حياة سيد قطب) من هذا الكتاب.



عاش سيد بين أفراد أسرة متماسكة، يرفرف الحب في سمائها، ويتمتع أفرادها بالهدوء والأمن والسكينة، فما كانت تثور المنازعات بين الأب والأم، ولا يقع الشقاق والخصام بينهما، والأولاد يمرحون ويلعبون، ولا مجال لحقد أو حسد بينهم.

لم يكن والده يستخدم الضرب كوسيلة للتربية، فقد كان متنوراً بعض الشيء، وعندما اضطر سيد للهرب من المدرسة في أول يوم، عاتبه أهل الدار، وتهكم عليه البعض، إلا والده، فإنه (لم يوجه إليه كلمة واحدة. وكان هذا أمرً عليه)^(١).

كذلك لم يكن مسموحاً له أن يلعب في شوارع القرية وطرقاتها مع الأولاد الآخرين «حفظاً لملابسه النظيفة من القذارة، وحماية لأخلاقه من التلوث بأخلاق أولاد القرية (السيئة) وألفاظهم البذيئة»^(٢).

ولا منافاة بين منعه من اللعب في طرق القرية مع باقي الأولاد، وبين خروجه في نزعات خلوية وحيداً أو مع أهله، أو مع لداته من الأولاد، لأن أسرته كانت تراقب نشاطاته وتوجهها نحو بناء شخصيته القوية المستقيمة!.

نتيجة لهذه التربية، نشأ سيد نشأة صالحة مستقيمة، فرأيناه يحرص على أداء الصلاة في المسجد، ويحرص على حفظ القرآن، ليكون قدوة لباقي شباب القرية.

(١) طفل من القرية: ٣٣.

(٢) المرجع السابق: ٢٨.

صلته في طفولته بنساء القرية:

وعندما اهتم سيد بالكتب في القرية، وعُرف باقتنائه كتابين لهما رواج عند أهل القرية - كتاب أبي معشر الفلكي وكتاب شمهورش - أقبل الجميع عليه طمعاً في معرفة الحظوظ، أو عمل الرقى والتعاويز والتمايم، وكانت نساء القرية تفضل التعامل معه على التعامل مع الرجال الآخرين، الذين يملكون أمثال الكتابين لأسباب منها: (أنه لا يتناول أجراً على الخدمات التي يقوم بها لهؤلاء، ومنها أنه صبي يدخل البيوت وتقبله النسوة والفتيات بلا تحرج، ودون أن يثير وجوده بينهن تساؤلاً، كالذي يثيره وجود من يتعاطون هذه الأعمال من الكبار، ومنها أن السيدة أو الفتاة لا تتحرج أن تفضي برغباتها وأسرارها ومخاوفها لصبي لم يبلغ الحلم، ولا تدعو سنه إلى الخجل منه»^(١).

ورغم اتصال سيد المستمر - نتيجة لأعماله تلك - بنساء القرية ورغم طبيعة الأعمال التي يقوم بها، إلا أن تربيته المنزلية أبعدت نوازع الجنس والفساد عن خياله: (ولقد كان صغيراً لم تثر في نفسه نوازع الجنس بعد، وتربيته المنزلية تجعل في نفسه كثيراً من الحشمة والحياء، حتى لو ثارت بعض هذه النوازع)^(٢).

ولما انضم لمدرسته سبع طالبات صغيرات - لم يتجاوزن العاشرة - راح بعض التلاميذ الكبار في المدرسة يعاكسونهن بالكلمات والحركات والأصوات. (أما هو فإن حيائه الشديد، وتقاليده العائلية، قد أمسكت به بعيداً عن هذه الحركات، ولكن هذا لم يكن معناه أنه أقل رغبة من

(١) المرجع السابق: ١٤١.

(٢) المرجع السابق: ١٤١.



الآخرين في لفت النظر إليه... إنما كانت وسيلته إلى ذلك مما يتفق مع نشأته. فأخذ جانب المدافع عن كرامة البنات حيثما وجه إليهن اعتداء^(١). وكان سيد حياً منذ صغره، ويشمئز لأي منظر مناف للأخلاق، وقد كان في القرية «مجنون» يقضي معظم أوقاته عارياً بشكل مؤذ، وكان سيد يستحي من منظره، ويستنكره أمام أهالي القرية^(٢).

استقامته وهو شاب في القاهرة:

وكان لتربيته العائلية الطاهرة، أثر في استقامته بعدما كبر وذهب إلى القاهرة، فعندما خطب سيد فتاته، وفوجئ مرة برؤيتها في بيتها في حالة لا تليق، حدثنا عن نفسه أثناء ذلك الموقف قائلاً: (كانت تربيته الأولى في بيئة محافظة متطهرة، وكان قد انصرف في حياته إلى نوع من الجد، لا يسمح له بالعبث، وكان الشعر والفن قد صانا خياله من التلوث... وكان هذا كله يبعده عن المرأة، ويصبيه بلون من الربكة والاضطراب حين يلقاها وجهاً لوجه، أيا كانت طبقتها وسنها، فلما وجّه مفاجأة بالفتاة التي يحبها شبه عارية، كان ذلك مضاعفاً لخجله وارتباك^(٣)).

وعندما اتصلت خطيبته به تلفونياً في مكتبه وحوله زملاؤه، ارتبك وأخذته الحيرة، وفي نهاية المكالمة قال لها: (سأكون عندكم في الخامسة، وفي هذه اللحظة تنبه إلى أنه بين زملائه، فأراد في محاولة ساذجة أن يبعد عن نفسه الريب وعنها هي أولاً، وإن لم يعلم أحد من تكون! قال: أخبري بابا أنني سأحضر في هذه الساعة)^(٤)!

(١) المرجع السابق: ٥٤.

(٢) المرجع السابق: ١٥.

(٣) أشواك: ٦٣ - ٦٤.

(٤) المرجع السابق: ١٧.

ما هو وصفه؟

كثيراً ما يرسم الشخص في مخيلته صورة شاخصة، للشخص من العظماء، وبخاصة الأدباء، من كتاب وشعراء، ويظن أن هذه الصورة المتخيلة تنطبق على صاحبها تماماً، وهو لم يرسمها إلا بعد أن يسمع عن هذا العظيم، أو يقرأ له ويتمعن في أسلوبه.

وكثيراً ما يفاجأ هذا الشخص، بعدم انطباق الصورة المتخيلة على شخصية صاحبها، وذلك عندما يشاهده في الواقع، وعندها يمحو من مخيلته صورته الأولى ويحتفظ مكانها بصورته الجديدة...

وهذا ما حصل للمعجبين بسيد قطب، الذين لم يسبق لهم أن شاهدوه، بل قرؤوا مقالاته النقدية في الصحف والمجلات، وتابعوا معاركه الأدبية على صفحاتها، واطلعوا على قصائده الشعرية العاطفية فيها، أو قرؤوا بحوثه الأدبية والفكرية الإسلامية المتنوعة، ورسموا نتيجة لهذا الاطلاع صورة متخيلة له.

من هؤلاء علي الطنطاوي، الذي شُدَّه وبُهِتَ عندما قابل سيد قطب للمرة الأولى، في دار مجلة الرسالة في مصر (وأحلفُ أنني شُدِّهْتُ، وكنت أرتقب أن يكون هذا الشاب أي إنسان إلا سيد قطب، وكنت أستطيع أن أتخيل سيد قطب على ألف صورة إلا هذه الصورة، وازددت يقيناً أن من الخطأ البين أن تحكم على شخص الكاتب بكتابه، أو تعرف الشاعر من شعره)^(١). كما فوجئ مرة أخرى عندما أهدى إليه مؤلفه الجديد (التصوير الفني في القرآن) لأنه على حد قوله: (لم أتخيل

(١) الرسالة السنة الثالثة عشرة المجلد الثاني - عدد ٦٤٨ ديسمبر ١٩٤٥م، صفحة: ١٣١٣.

سيد قطب، إلا مقارعاً محارباً، ولم أعرفه إلا كاتباً مجادلاً مناضلاً، يهاجم مهاجماً ومدافعاً ومحايداً...^(١).

ومنهم أبو الحسن الندوي، الذي رسم له في مخيلته صورة خيالية يقول عنها: (كنت أتخيله أديباً في العقد الرابع من عمره، فارع القامة، عريض ما بين المنكبين، قوي البنية)^(٢).

ومنهم محمد علي قطب، الذي يحدثنا عن صورة سيد المتخيلة في ذهنه، والتي زالت عندما قابله (والحقيقة التي أريد أن أثبتها هنا هي أن شيئاً واحداً قد خاب رجائي معه، ذلك أن مطالعتي لسيد من مؤلفاته، أوحى لي أن صاحبها من ناحية الشكل ضخيم الجسم، عملاق البدن، قوي النبرة، حاد الصوت، إذا تحدث سمعه كل الناس، أبيض البشرة كبياض السريرة)^(٣).

فما هي صورة سيد قطب يا ترى؟ وما هو وصفه؟

كان سيد قطب رجلاً أسمر اللون، لَوَّحَ بشرته شمسُ الصعيد الحارقة.

كما كان متوسط الطول، معتدل الجسم، لا هو بالسمين ولا بال نحيف، وقد كان ضعيف البنية، ناحل البدن^(٤) حيث أنهكت جسمه الأمراض التي صاحبته منذ صغره، وما كانت تفارقه إلا ليقع في براثنها من جديد، وقد تركت آثارها واضحة على بدنه، وكان لمحتته التي

(١) المرجع السابق.

(٢) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي: ٩٧.

(٣) سيد قطب، لمحمد علي قطب: ١٧.

(٤) انظر: وصفه في مذكرات سائح: ٩٧، وسيد قطب: ١٧ والرسالة السنة الثالثة عشرة المجلد الثاني: ١٣١٣.

طالت! حيث غيب في السجون، وقضى الوقت الطويل على أرضية الزنازين الباردة، وحرَم من الاستمتاع بأشعة الشمس الدافئة، وللسياط ووسائل التعذيب المختلفة التي تعرض لها، كان لهذا كله أثره الواضح على بدنه الناحل، يقول محمد علي قطب عندما رآه بعد اعتقاله الأول: «وجدته يشكو كثيراً من الأمراض، ولا طاقة للبدن أبداً مهما كان قوياً أن يحتمل النفس الكبيرة:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام
لقد وجدته وقد نالت منه الأيام، فبدت آثارها على وجهه تَغَضُّناً، وفي جبهته أخاديد عميقة، وفي عينيه حمرة، وفي شعره الأسود القاتم شيباً^(١).

أسلوبه الهجومي لا يدل على مظهره:

هذا وأسلوب سيد قطب في الكتابة لا يدل على مظهره، فهو في الكتابة كما يقول علي الطنطاوي - بحق - مقارع محارب، وكاتب مجادل مناضل، يهاجم مهاجماً ومدافعاً محايداً، ويتجلى هذا الأسلوب في مقالاته الأدبية التي خاض من خلالها معاركه الأدبية والنقدية، كما يتجلى في مؤلفاته التي أعدها بعد هذه المرحلة من حياته، فهو في كتبه هذه ثائر مناضل مجادل، عنيف مهاجم، وفي كتبه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية) و(في ظلال القرآن) و(معالم في الطريق) مصداق ما نقول. بل إن صفة الهجوم ملازمة له، حتى اعتبر أنه أول من قاد الفكر الإسلامي من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم.

(١) سيد قطب، لمحمد علي قطب: ٢١ - ٢٢.



أقول رغم أن هذا هو طابع أسلوبه، إلا أن مظهره العام - عند اللقاء به - يدل على العكس من هذا تماماً، فهو كما يقول علي الطنطاوي - عندما قابله، حيث وجده - «لطيفاً هادئاً، وتبدو عليه سيما المسالمة والموادعة والإيناس»^(١). ولذلك يفاجأ من يراه، ولا يكاد يصدق أن هذا الشخص الهادئ المسالم هو نفسه الذي تصدر عنه هذه المقالات والكتب.. (ولا يظهر بادئ ذي بدئ أنه هو صاحب الأسلوب القوي في الموضوعات الدينية)^(٢) كما قال عنه الندوي بحق.

وتزول الغرابة والمفاجأة عندما نعلم أن العبرة ليس بضالة الجسم أو ضخامته، إذ لا أثر لهذا على أسلوب الكاتب، وإنما العبرة بالروح التي يحملها الكاتب بين جنبيه، ولا شك بأن جسم سيد الناحل الصغير قد ضم بين جوانحه روحاً ثائرة، هي التي صدرت عنها تلك المؤلفات، التي زلزلت عروش الطغاة، ورسمت معالم الطريق للمجاهدين السائرين إلى الله!!

* * *

(١) الرسالة: عدد ٦٤٨ صفحة ١٣١٣ والأسبوع المجلد الثالث عدد ٣٥ صفحة ٨.

(٢) مذكرات سائح للندوي: ٩٧.



الفصل الثالث
مشاهد من حياة سيد قطب



المبحث الأول دراسته في القرية

كان في قريته منهجان للتعليم: منهج التعليم الحكومي، الذي تشرف عليه وزارة المعارف، والمتمثل في المدرسة، ومنهج التعليم الديني الأزهري. الذي يُدرّس فيه عادة رجال، إما تخرجوا من الأزهر، أو تعلموا القراءة والكتابة وحفظوا القرآن، ويسمى الرجل منهم (خطيباً)، وتسمى مدارسهم (كتاتيب)، ويعتمدون في أجورهم على آباء الأولاد الذين يدرسون عندهم.

دخل المدرسة وهو في السادسة من عمره:

وعندما كبر سيد وناhez السادسة من عمره، فكر أهله في أن يبدأ حياة التعليم، ولكن أين يدرس؟ انقسموا إلى فريقين: (فريق يؤيد ذهابه، إلى الكُتّاب ليحفظ القرآن ويفوز بالبركة، وفريق يرى إرساله إلى المدرسة، لأنها أرقى وأنظف، والقرآن يُعلّم فيها إلى جانب العلوم الأخرى)، وأخيراً انتصر فريق المدرسة، وأخبروه بالقرار، فتلقاه بالقبول، ولكن بغير حماسة ظاهرة، فقد كان أروح لنفسه أن يظل في الدار يلعب مع أخته، التي كانت تكبره قليلاً^(١).

وتمت تهيئته للمدرسة، وجيء له بملايس جديدة جميلة، مميزة عن باقي ملايس الطلاب، وذهب به أبوه في اليوم الأول إليها^(٢).

(١) طفل من القرية: ٢٢.

(٢) المرجع السابق: ٢٢.



وبما أن المدرسة كانت في حاجة إلى تأليف قلوب الأهالي، فإنها لم تتبع النظام المعروف في تقسيم التلاميذ، حيث يقسمون تبعاً لدرجة العلم والمعرفة، فتم تقسيمهم حسب السن^(١).

وكانت مدة الدراسة في المدرسة خمس سنوات: السنة التحضيرية التي تحضر الطالب للسنة الأولى، ثم السنوات من الأولى حتى الرابعة، وبعد السنة الرابعة يتخرج الطالب من المدرسة، ليتابع دراسته في مدرسة المعلمين^(٢).

وطلب والده من ناظر المدرسة أن يوضع - وهو لم يتعلم الكتابة - في السنة الرابعة، ولا سيما أن ابن خالته فيها، ويحسن أن يجلس معه ليستأنس به، ولكن الناظر وقد أنس به شيئاً من التنور والمعرفة، صارحه في الأمر، وبين له أن مصلحة الطفل تقتضي أن يوضع في السنة التمهيدية، ليستفيد ويسير مع الدراسة سيراً طبيعياً، فاقنع والده برأي الناظر!

هروبه من المدرسة لأكثر من شهر:

وصادف في اليوم الأول لذهابه إلى المدرسة مجيء مدرس الرياضة - وهو أحد الجنود القدامى - ليعطي الطلاب التمارين الرياضية، وقد سمع سيد من ابن خالته ومن غيره من الطلاب أخباراً عن قسوة هذا المدرس على الطلاب، وضربه لهم. «وقد كان ما يسمعه عنه من قبل كافياً لإثارة الرعب في قلبه الصغير، ولكن التلاميذ استغلوا حديثه

(١) المرجع السابق: ٤٤.

(٢) المرجع السابق: ٤٤.

وعدم معرفته بهذا الشأن، وراحوا يخوفونه بما لا تحتمله أعصابه من المبالغات..»^(١) ولذلك - وبعد انتهاء الحصّة الثّانية - هرب سيد قطب من المدرسة، خوفاً من ذلك المدرس.

عودته إلى المدرسة:

مضى على هروبه من المدرسة شهر وبعض شهر، وحزنت والدته كثيراً عليه، لأنّه بهروبه قد ضيع الآمال التي تُعلّقها على نجاحه في الدراسة. وراح أخوه الأكبر - وهو ليس بشقيقه - يتهم عليه، وسكت أبوه اكتفاء بتأنيب ضميره، وأمام هذه العوامل كلّها، قرر سيد بنفسه العودة إلى المدرسة، بدون مراسيم ولا مظاهر، وبكرّ إلى بيت ابن خالته ذاهباً معه، وفرح المدرسون لمقدمه، كما شاع الفرح في كيان أمه^(٢).

كان يشرف على ثقافته وتربيته في السنة التحضيرية فرّاش المدرسة الوحيد (العم إبراهيم) نظراً لعدم وجود العدد الكافي من المدرسين، ولم يستفد سيد منه شيئاً، ولما كان المدرسون يحبونه لأن والده دائم الضيافة لهم، ولأنّه كان يُحضر لهم في جيبه كميات من السكر والشاي كل صباح، فقد طلب من الناظر أن يلحق بالفصل الذي يضم السنة الأولى والثانية، فوافقه على طلبه، كما وافقه على أن يذهب في بعض الأحيان إلى السنة الرابعة عند ابن خالته، أما إذا جاء المفتش فلا بد أن يجلس في السنة التحضيرية مدة وجوده.

(١) المرجع السابق: ٢٧.

(٢) المرجع السابق: ٣٣ - ٣٤.

وكان الناظر والمدرس - وهما الهيئة التدريسية في المدرسة! - يعينان بالتدريس له على حدة داخل الفصل، ويكتبان له الحروف الأبجدية ثم الكلمات ثم الجمل على لوحه الذي يحمله، ويتركانه لمحاكاتها، وكان يتقدم يوماً بعد يوم، وهو يتلقى العلم في شبه درس خصوصي^(١).

وهكذا نرى أن سيد قطب قد أحيط بجو خاص في المدرسة، ولقي عناية واهتماماً كبيرين من المدرسين، وقد ساعد هذا كله على استيعابه السريع، وعلى تفتح ملكاته العلمية، وعلى نبوغه المبكر في هذا المجال.

وحينما كان سيد في السنة الثانية، جاء للمدرسة مدرس جديد مؤهل علمياً، فكان لا بد من أن يستغنوا عن شيخ الكتاب، الذي لم يحمل شهادة علمية، ولم يستطع تدريس الحساب والمواد الثقافية الأخرى.

وعندما تم الاستغناء عنه، أشاع في القرية أن الحكومة تريد محو القرآن، بعدم تحفيظه في مدارسها، ولذلك فصلوه من التدريس وهو حامل القرآن!

سيد في «كتاب» تحفيظ لمدة يوم:

وتأثر الناس بالإشاعة، وأخرج عدد كبير منهم أولادهم من المدرسة وأدخلوهم (كتاب الشيخ) ليحفظوا القرآن. وراح الشيخ يُقنع باقي الآباء بضرورة التحاق أولادهم (بكتاب)، وكان ممن مر عليهم والد سيد قطب، وقد حدثه بالأمر، ولم يتأثر بكلامه كثيراً... «ولكنه كان خجولاً

(١) طفل من القرية: ٣٥ - ٣٦.

ومجاملأ، فلم يود أن يجرح شعور (سيدنا) - ابن سيده - ووعد به بأن يكون الطفل منذ الصباح الباكر في (الكتاب)»^(١).

ورغم معارضة والدته في هذا القرار الجديد، لأنها تعلق الآمال على بقاءه في المدرسة، إلا أن والده وَعَدَ، وما يجوز أن يعود الرجال في وعودهم بحال!

واضطر سيد إلى الذهاب إلى كُتّاب الشيخ... «ولا يذكر أن قلبه الصغير قد عرف من قبل مثل الهمّ الذي عرفه في ذلك اليوم، ولا أن صدره قد ضاق وخرج واكتأب كالיום أيضاً...»^(٢).

ورغم أن الشيخ استقبله استقبالاً خاصاً، بالحفاوة والبشر والبشاشة، وأجلسه بجواره على فروته، إلا أن نفسه لم تنفتح لشيء، لأنه لم يجد في الكُتّاب ما يشرح صدره، وراح يقارن بين مدرسته الجميلة الأنيقة في كل شيء، وبين هذا الكُتّاب الذي يتصف بالوساخة في كل شيء^(٣)!

عودته إلى المدرسة:

«على أية حال قد امتلأت نفسه اشمئزازاً من كل ما حوله، وأحس هناك بغربة مريرة ذليلة.. وحينما عاد إلى المنزل كان قد صمم على ألا يعود أبداً إلى هذا المكان القدر، مهما أصابه من التهديد والتبكي، وأسّر بهذه الرغبة الملحة إلى أمه فاغرورقت عيناها بالدموع»^(٤).

(١) طفل من القرية: ٣٧ - ٣٨.

(٢) طفل من القرية: ٣٨.

(٣) انظر وصفه للكُتّاب وما فيه في (طفل من القرية): ٣٨ - ٣٩.

(٤) المرجع السابق: ٣٩.



وذهب في اليوم التالي إلى المدرسة مبكراً، وراح يقص على التلاميذ فيها ما شاهده في الكتاب، وأخبر ناظر المدرسة بقصته، ورجاه أن يقنع والده ببقائه فيها، وهكذا كان!

وقد أثرت هذه الحادثة في نفسه كثيراً، وارتفعت المدرسة (بما فيها ومن فيها في عينه درجات، وآلى على نفسه أن يكون داعية المدرسة المكافح دونها ضد الكتاب)^(١).

وقد تزعم سيد قطب جبهة من تلاميذ المدرسة ضد أولاد الكتاتيب. جبهة للمفاخرة بكل شيء، يفاخر ببناء المدرسة وفنائها وأشجارها، وأواني الشرب فيها، ومقاعدھا، والأدوات الكتابية التي تصرف للتلاميذ فيها، يفاخر أولاد الكتاتيب بهذا كله، ويقارن بينه وبين وضع كتاتيبهم السيء في هذا المجال^(٢).

سيد يتم حفظ القرآن في ثلاث سنوات:

والميزة التي تميز الكتاب على المدرسة، هي أنه يهتم بتحفيظ القرآن، حيث يتخرج التلاميذ منه يحفظونه.. ولم تكن المدرسة تعنى بتحفيظ القرآن كله. وفكر سيد قطب - زعيم فريق المدرسة - في الطريقة التي تنتصر فيها المدرسة على الكتاب في هذا الأمر. وقاده تفكيره إلى أن يحفظ هو القرآن!! وراح سيد قطب - بعصامية نادرة - يحفظ القرآن بنفسه، وجمع بين دروس المدرسة وواجباتها وبين حفظ القرآن ومراجعته: «وإنه ليرهق نفسه وصحته المرهقة،

(١) المرجع السابق: ٤١، وهذا رد على من زعم أنه تلقى تعليمه في الكتاب، وأنه أثر كثيراً في حياته!

(٢) انظر: مقارنته بين المدرسة والكتاب في (طفل من القرية): ٤١ - ٤٣.

ويسهر إلى منتصف الليل، ليعيد في كل ليلة جميع ما سبق له حفظه من القرآن، وذلك بجانب الدروس الأخرى، فما يكتمل العام حتى يكون قد حفظ ثلث القرآن حفظاً جيداً، يباهي به من يتحداه»^(١).

وأتم سيد قطب - بهمة عجيبة - حفظ القرآن كاملاً في ثلاث سنوات، ابتداءً حفظه وهو في السنة الثانية الابتدائية، وأتمه في نهاية السنة الرابعة الابتدائية، وراح يباهي به، ويتحدى طلاب الكتاتيب في إجراء المباريات بينه وبينهم، وكثيراً ما فاز عليهم، وأحس بنشوة جارفة بهذا الانتصار.

وزاد حب مدرسيه له - لحفظه القرآن - وارتفع في أعينهم درجات، كما ازداد حب أهله له، وبخاصة والدته التي كانت هذه هي أغلى أمانيتها.

أنهى سيد قطب دراسته في المدرسة بعد أن أنهى السنة الرابعة، ولكنه ما يزال صبيّاً لم يكمل الحادية عشرة من عمره، وسنه هذا لا يؤهله لدخول مدرسة المعلمين، كباقي زملائه كبار السن، وكان يتمنى لو يكون في مثل سنهم ليتم قبوله!!

أمضى ست سنوات في المدرسة:

ولكن سيد لم يغادر المدرسة بعد أن أنهى السنة الرابعة، إذ «كم كان شاقاً على نفسه أن يغادر وطنه هذا الصغير، وأن يبتعد عن رفاقه ولداته الذين يحبهم ويحبونه.. وكم كان عزيزاً على المدرسين أن

(١) طفل من القرية: ٤٣ وهذا رد آخر على من زعم أنه حفظ القرآن في الكتاب.



يفرطوا فيه، وهو حجتهم الأولى على نجاح المدرسة في تحفيظ القرآن... وما كان أسرع ما احتالوا لذلك فقيدوا اسمه في السنة الرابعة بعد مضي شهر من العام التالي على أنه مستجد! وهكذا عاد إلى المدرسة الحبيبة ليقضي بين جدرانها عاماً آخر^(١).

دخل سيد المدرسة عام ١٩١٢م - لأنه كان في السادسة من عمره -، وتخرج منها عام ١٩١٧م، إذ بقي فيها خمس سنوات، وقد كان عمره أحد عشر عاماً، وكان الأصل أن يغادر القرية إلى القاهرة لإكمال دراسته، ولكنه لم يتمكن من ذلك، لأن ثورة الشعب عام ١٩١٩م قد اشتعلت نيرانها، وانقطعت بسببها المواصلات، وكان عليه أن يبقى في القرية حتى تهدأ الثورة، وتعود الأمور إلى حالتها الطبيعية.

بقي سيد في القرية ثلاثة أعوام، وغادرها إلى القاهرة عام ١٩٢١م وكان عمره آنذاك أربعة عشر عاماً^(٢).

هذا عن دراسته النظامية في مدرسة القرية.

ولكن سيد قطب لم يكتف بهذه الدراسة النظامية، بل زاد عليها، حيث راح يثقف نفسه بنفسه، فها هو قد أتم حفظ القرآن في ثلاث سنوات، وعمره لم يتجاوز العاشرة، وقد أفاده حفظ القرآن كثيراً - وبخاصة وهو في هذه السن المبكرة - إذ اتسعت آفاقه، وازدادت ثقافته، وقُوِّمَ لسانه، وقوي بيانه، وحسن أسلوبه، وشَفَّتْ روحه، وتفتحت مداركه، وقد ترك ذلك أثراً واضحاً على شخصيته ونفسيته وأسلوبه فيما بعد.

(١) طفل من القرية: ٤٥.

(٢) طفل من القرية: ٢١٧.

سيد يقرأ الكتب في القرية:

وأضاف سيد قطب إلى ثقافته المدرسية وحفظ القرآن، ثقافته الخاصة، والتي دفعه إليها حبه للقراءة، واهتمامه بشراء الكتب، إذ كان يأتي إلى قريته (عم صالح) حاملاً معه كتباً متنوعة الموضوعات والاتجاهات، ففيها قصص العرب كأبي زيد والوزير سالم، ومنها كتب التراجم والسيرة، ومنها كتب البطولة، والكتب الدينية، والكتب البوليسية، وكتب الثقافة العامة، وكتب السحر والتنجيم والتمائم والتعاويذ^(١). وكان سيد قطب (زبوناً) ممتازاً عند (عم صالح)، وكان هذا الأخير يحتفظ له بأجود الكتب وأغلاها قيمة، فإذا عجزت ميزانيته عن شراء كتاب استعاره منه مقابل أجر، أو طلب منه أن يحتفظ له به، إلى أن يوفر ثمنه!!

فإذا غادر (عم صالح) القرية، حدثت فيها حركة ثقافية، حيث يتبادل سيد مع زملائه التلاميذ المثقفين الكتب التي اشتروها، فما ينتهي الموسم إلا ويكون سيد قد قرأ جميع الكتب الموجودة في القرية.

وبعد أن كثرت عنده الكتب، صنع لها مكتبة ضخمة!! حيث ملأت صفيحة كاملة!! وقد حوت مكتبته كتباً عديدة، ذات مواضيع مختلفة، ومن بين الكتب التي ضمتها، كتاب أبي معشر الفلكي في التنجيم، وكتاب شهورش في السحر!

سيد يعمل في قراءة الطالع ومعرفة الحظوظ:

وقد ضمن له هذا الكتابان (شهرة ذائعة وصيتاً كبيراً - على صغره - في بيوت القرية، وعند كثير من نساؤها خاصة، وكذلك عند فريق من

(١) المرجع السابق: ١٢٧ - ١٢٩.



الشبان^(١). و«كان يحضر من المدرسة فيجد كثيراً من التوصيات لطلبه من عدة بيوت، وبعضها كان يرسل رسولاً يترقبه ليحضر به، وبخاصة بعد أن عرف الجميع أنه (مشغول) بالكثير من هذه الدعوات، والحق أنه كان يحس بنشوة عجيبة والطلبات تتوالى عليه، والأبواب جميعها تفتح له»^(٢). وكان عمله في البيوت هو قراءة الطالع، ومعرفة الحظوظ، وعمل الرقي للمحبة بين الأزواج.

وبهذا اشتهر سيد قطب (بالكتب وبالقراءة في أوساط المثقفين بالقرية، فارتفع في أعينهم درجات، وأخذ الجميع يتنبئون له بالمستقبل الزاهر!)^(٣).

سيد ينسخ الكتب المهمة:

وقد تمتع سيد قطب بهمة قوية، وجلد عجيب على القراءة والاطلاع، سواء كتب المدرسة ودروسها، أم الكتب الثقافية الخارجية التي كان يستعيرها أو يشتريها، وقد أكسبه هذا محبة مدرسيه وتقديرهم له، فتوقعوا نبوغه... وكان من هؤلاء ناظر المدرسة الذي أعجب بذكائه، ولفت نظره معلوماته وثقافته، فأعاره كتابين أحدهما كتاب تاريخ لمحمد الخضري، والثاني ديوان لشاعر وطني يسمى ثابت الجرجاوي، وكانا جديدين عليه، إذ لم يوجد في مكتبته مثلهما، ولم يسبق له أن قرأ كتاباً بموضوعهما، وقد قرأهما في وقت، كانت الروح الوطنية قد استيقظت في نفوس أبناء الأمة، وفي نفسه هو كذلك، فأعجب بهما، إذ وجد فيهما كلاماً يغذي هذه الروح، التي استيقظت على الجو العائلي

(١) المرجع السابق: ١٣٩.

(٢) المرجع السابق: ١٤١.

(٣) المرجع السابق: ١٣١.

الذي يعيش فيه - حيث تعقد في بيته الاجتماعات السياسية - وعلى الجو العام الذي كان مليئاً بتيارات وطنية خفية تستعد للانفجار، تلك التي سبقت ثورة عام ١٩١٩م.

وبما أنه وجد فيهما هذه المادة، فقد تصور أنه لا يوجد لهما نظير، وأن صاحبهما - الناظر - لن يمنحهما له، لذلك احتفظ بهما في صورة أخرى عجيبة (جمع من جميع كراسات في السنوات الماضية الأوراق البيضاء منها، فصارت له كراسة ضخمة من الورق الأبيض، أما المداد والأقلام فموجودان... وأخذ في صبر ودأب عجيبين ينقل الديوان بيتاً بيتاً إلى هذه الكراسة، وينقل مقدمة كتاب التاريخ الأثرية... وإنه ليعجب اليوم لنفسه كيف استطاع أن ينهض بهذا العمل، ولكن الأعجب منه أنه حفظ هذا الديوان حفظاً جيداً، وظل يذكره بعدها سنوات وسنوات)^(٤).

تدلنا هذه الحادثة على همته واجتهاده، وجدده ومثابرته، وذاكرته العجيبة، كما تدلنا على اهتماماته الوطنية التي رافقته منذ الطفولة.

ولن ننسى مشاركة سيد قطب والده ببعض أعماله السياسية، حيث كان يقرأ الجريدة اليومية للذين يحضرون إلى منزله، ويشارك في بعض الاجتماعات السياسية التي تعقد في بيته، كما لن ننسى مشاركته في الثورة التي قامت في طول البلاد وعرضها بخطب من إنشائه، وشعر من نظمه، وهو لم يكد يتجاوز العاشرة^(٥)!

* * *

(٤) طفل من القرية: ١٤٩.

(٥) المرجع السابق: ١٥١.

المبحث الثاني دراسته في دار العلوم

بعد أن تخرج سيد قطب في مدرسة القرية في السنة الحادية عشرة من عمره - وكان ذلك عام ١٩١٧م - وجهته والدته للدراسة في القاهرة. وكان عليه أن يسافر إليها، ولكن الظروف اضطرتة أن يبقى في القرية ثلاثة أعوام أخرى. وذلك بسبب الثورة التي عمت البلاد، وانقطعت بسببها المواصلات، واضطربت الأحوال، تلك هي ثورة الشعب المصري ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٩م، والتي اشترك فيها سيد قطب بجهد المتواضع في القرية^(١).

وبعد أن أخمدت الثورة، وفي عام ١٩٢١م، غادر سيد قطب القرية إلى القاهرة وكان عمره إذ ذاك يزيد على أربعة عشر عاماً.

وقد أحيطت رحلته إلى القاهرة بهالة فخمة: «وكان كل شيء حول رحلة الفتى يوحى بأن له مهمة عظيمة: حتى لكأنه ذاهب إلى فتح عكا...!»^(٢) وغادر القرية بصحبة أحد أقربائه الذي يدرس في كلية الحقوق. غادرها وسط دموع والديه، وحزنهم الشديد على فراقه.

نزل سيد قطب في القاهرة، في بيت خاله (أحمد حسين عثمان) وكان قد تخرج من الأزهر، واشتغل بالصحافة والتدريس، وكان يكتب في الصحف بتوقيع (أحمد الموشي) نسبة إلى قريته (موشة) وكان يسكن في ضاحية الزيتون، إحدى ضواحي مدينة القاهرة^(٣).

(١) المرجع السابق: ٢١٧.

(٢) المرجع السابق: ٢١٨.

(٣) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

سيد طالب في مدرسة المعلمين:

التحق بمدرسة المعلمين الأولية في القاهرة عام ١٩٢٢م، وكان لا يلتحق بهذه المدرسة إلا من تجاوز الخامسة عشرة من عمره^(١). وكانت الدراسة فيها ثلاث سنوات، يتخرج الطالب بعدها، ليعمل مدرساً في المدارس الحكومية، وكانت شهادتها تسمى (الكفاءة) وهي تعادل الدراسة الإعدادية أو المتوسطة في الوقت الحاضر.

لم يكتف سيد قطب بهذه الشهادة التي حصل عليها، ولو أراد أن يعمل بعدها مدرساً في المدارس، وأن يحصل على راتب حكومي دائم - وبهذا يحقق أمنية أمه التي أعدته لهذه المهمة - لثم له ذلك، ولكنه وجد في نفسه رغبة في الاستزادة من العلم والدراسة، وطموحاً إلى ما هو أعلى وأسمى، وكان لا بد أن يستكمل دراسته.

سيد طالب في تجهيزية دار العلوم:

التحق في عام ١٩٢٥ في (تجهيزية دار العلوم، وهي مدرسة خاصة بكلية دار العلوم، تؤهل الطالب فيها للدخول في الكلية، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، ويتلقى الطالب فيها منهجاً دراسياً، يعتبر مقدمات للموضوعات التي تدرس في الكلية، من أدب وجغرافيا وعلوم وتربية وغيرها.

درس فيها سيد قطب أربع سنوات، وتخرج منها عام ١٩٢٩م^(٢).

(١) طفل من القرية: ٤٤.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.



سيد طالب في كلية دار العلوم:

التحق في عام ١٩٢٩م في كلية دار العلوم، وبقي فيها أربع سنوات، حيث تخرج منها عام ١٩٣٣م، وكان عمره سبعاً وعشرين سنة، وقد حصل منها على شهادة الليسانس في الآداب، مع دبلوم في التربية.

درس فيها علوم العربية، من نحو وصرف وعروض وبلاغة وأدب ونقد، وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه، كما درس التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع وعلم التربية، والرياضيات والفيزياء والفلسفة^(١).

ورغم هذه الدراسات المتنوعة التي تلقاها سيد في الكلية، إلا أنها لم تشبع نهمه إلى العلم والثقافة، ولم تلبي حاجاته وأشواقه، وكان حانقاً على هذا المنهج، ويرى أن كلية الآداب التابعة لجامعة القاهرة أفضل منها، وتقدم زاداً خيراً منها، يحدثنا عن هذا قائلاً: «لقد كنت وأنا طالب شديد الحقن على دار العلوم، شديد النقمة على تقصيرها في حق الثقافات الأدبية، وكنت أتخيل أن هناك على الضفة الأخرى للنيل^(٢) وفي مدرجات الجامعات عالماً آخر من الثقافة الواسعة، وكان هذا التخيل يزيد نقمتي على المدرسة التي لا تلبي حاجة نفسي... ومضت أيام واختلطتُ بأبناء الضفة الأخرى، وقرأتُ ما يكتبون، فالحق أقول لك يا دكتور^(٣) لقد علمت أنني ظالم لنفسي ولمعهدي، وقد هدأت ثورتي وزالت حدتها^(٤).

(١) مع سيد قطب لفضل الله: ٤٦.

(٢) تقع كلية الآداب في الجزيرة على الضفة النيل الغربية، وتقع دار العلوم على ضفته الشرقية.

(٣) الدكتور طه حسين.

(٤) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٦٥.

كان من أسباب عدم رضاه عن ثقافة دار العلوم تقصيرها في تدريس اللغات الأجنبية (لا يحسب أحد أننا راضون كل الرضا عن ثقافة دار العلوم، فلا ريب أن جهل المدرس باللغة الأجنبية يقص أجنته عن التحليق، وعن متابعة آخر البحوث العلمية والنفسية لتجديد نفسه ومعلوماته). (ولا ريب كذلك أن دراسة الأدب ناقصة في هذه المدرسة، ومثلها دراسة التربية وعلم النفس)^(١).

سيد يقدم مقترحات للمناهج الدراسي في الكلية:

ولم يكتف سيد قطب بإعلان عدم رضاه عن مناهج الدراسة في الكلية، وإظهار حنقه عليها، وإنما خطا خطوة إيجابية عملية، وكانت خطوة عجيبة حقاً، أن تصدر منه وهو الطالب في الكلية، الخاضع لهذه المناهج، تمثلت هذه الخطوة في ما حدثنا هو عنها قائلاً: «ولقد سبق لي أن صرحت بها وأنا طالب في المدرسة منذ ست سنوات، وقد قدمت بها اقتراحات، ضمنيتها برامج كاملة للدراسة بالمدرسة إلى صاحب العزة ناظرها، واقتربت أن تكون المدرسة تجهيزية خاصة، تدرس بها اللغة الإنجليزية منذ أول سنة، وتتوسع في دراسة العربية وعلوم الدين، فتتهيء بذلك للقسم العالي، على أن تستمر دراسة الإنجليزية في هذا القسم، ويتوسع في دراسة اللغة العربية وفي علوم التربية، ويخلق درس النقد الفني بجانب تاريخ أدب اللغة الذي يدرس الآن، وتزداد سنوات الدراسة بالقسم العالي إلى ست سنوات، تنتهي بتقديم رسالة، ويستقل مجلس إدارتها بتسيير نظامها»^(٢).

(١) المرجع السابق: ٦٣.

(٢) المرجع السابق: ٦٤.



ولقد كانت مقترحات جريئة جداً، وإن لم يؤخذ بها، إلا أنها زادت من اعتباره في نفوس مدرسيه.

لم يكن سيد قطب في دار العلوم مجرد طالب عادي كباقي زملائه الطلاب، وإنما كان قوة وحيوية ونشاطاً، وتفكيراً وتخطيطاً، وانكباً على البحث والمطالعة، وجرأة وشجاعة نادرتين.

نشاطه الأدبي والنقدي وهو طالب في الكلية:

كان سيد قطب معروفاً أثناء دراسته في الكلية بآرائه النقدية، حيث كان يتزعم الجماعات الأدبية التي ترى رأيه، من ذلك رأيه في أدب وأسلوب مصطفى صادق الرافعي، الذي يذكره لنا زميله في الكلية محمد وفيق اللبابيدي قائلاً: (أنا أعرف رأي الأخ قطب في الرافعي من قبل، وأعرف أنه رأي غير تقليدي، فلقد كنت في دار العلوم، وكانت حلقة الإخوان تضم قطباً، وكنا دائماً على طرفي نقيض، فجماعة منا مع الرافعي وأخرى عليه، وكان على ما أذكر الأخ قطب لسانها)^(١).

كما عُرف بإنتاجه المتعدد الجوانب، كالشعر، وكتابة المقالات الأدبية، أو النقدية، أو التربوية، أو الاجتماعية، والتي كان ينشرها في الصحف والمجلات، وعُرف بمحاضراته التي كان يلقيها في المجمام الأدبية، وبيحوثه التي أعدها، أو في طريقه إلى إعدادها.

وكان محبوباً من قبل الطلاب والمدرسين في الكلية، حيث نال إعجاب الجميع.

(١) الرسالة السنة السادسة - المجلد الثاني - عدد ٢٦١ صفحة ١١٠٥.

سيد مع صديقيه عتيق والعمروسي:

ومن أعز أصدقائه الذين درسوا معه في الكلية الدكتور عبد العزيز عتيق وفايد العمروسي، وجمعت بين الثلاثة صداقة متينة، وعاشوا معاً حياة أدبية متصلة، وهم بعد طلاب في الكلية، وبعد أن تخرجوا منها^(١).

وكان الثلاثة شعراء مبدعين، ويشعرون أنهم متميزون فنياً عن باقي زملائهم، وأن عندهم من المواهب ما ليس عند غيرهم، فكانوا لا يفارقون بعضهم، يجلسون معاً يستمع بعضهم قصائد بعض ويتندرون على غيرهم^(٢).

وعندما نشر عبد العزيز عتيق أول ديوان له عام ١٩٣٣م وكان لا يزال طالباً في الكلية وهو (ديوان عتيق) قدم له سيد قطب مقدمة جيدة، بين فيها أنه أعرف الناس بشخصية صاحب الديوان، وبتصرفاته في الحياة، وبأفكاره وخواطره ودراسته^(٣). وعندما نشر سيد قطب أول ديوان له (الشاطئ المجهول) عرّف به صديقه فايد العمروسي، وحلله تحليلاً جيداً في مجلة دار العلوم^(٤).

نعرف من أبحاث سيد قطب وهو طالب في الكلية، بحثه الذي أعده وألقاه محاضرة فيها، وهو في السنة الثالثة، ثم نشره تحت عنوان (مهمة الشاعر في الحياة وشعراء الجيل الحاضر) وهو أول مؤلف طبع له، وقد اعتبره مقدمة لبحث كامل في موضوعه (مهمة الشاعر في الحياة)^(٥).

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) انظر: المقتطف، المجلد الثمانون - الجزء الخامس ٢١ مايو ١٩٣٢م صفحة: ٦٢٦.

(٣) الرسالة: السنة الثانية عشرة - المجلد الثاني - عدد ٥٩٧ - ص ١٠٨٦.

(٤) دار العلوم - السنة الأولى - العدد الرابع: ٢٢٠ - ٢٢٥.

(٥) مهمة الشاعر في الحياة: ٧.

سيد يعد البحوث وهو طالب في الكلية:

وقد كان عنده وهو ما زال طالباً في السنة الثالثة في الكلية عدد من البحوث جاهزة للطبع، (وإذا كانت الظروف لا تهيء اليوم إلا طبع هذا المبحث الصغير دون غيره مما بين يدي، فأنا أطمع في فرصة قريبة أكثر توفيقاً)^(١). وهذه البحوث الجاهزة للنشر، والتي أعدها وهو ما زال على مقاعد الدراسة، تدلنا على ما تمتع به سيد قطب من همة عالية، ودأب متواصل، وصبر على معاناة البحث، كما تدلنا على نتاجه الغزير المختلف الموضوعات، وقد وعد بإخراج بحث جديد عن شوقي بعد أن اختلف مع أستاذه محمد مهدي علام، حول شاعريته: (وإن كان رأيي في شوقي كله، بعد دراسة كاملة شاملة لكل ما أنتجه!!)^(٢) لا يختلف كثيراً عن تعليقي على الأمثلة المختارة. وبهذه المناسبة أعدُّ بأن أكتب نتيجة دراستي لشوقي في محاضرة أو كتاب آخر، يتسع للبحث والدراسة والاستقصاء، ويكون رأيي إذ ذاك مؤيداً بكل ما أنتجه شوقي بلا استثناء)^(٣). وهذا يدلنا على قدرة سيد قطب العجيبة على التفكير في البحوث واختيارها، وأخذ نفسه بالشدة والعزيمة، حتى ينتهي من إعدادها.

ثناء أستاذه مهدي علام عليه:

كان سيد قطب موضع إعجاب وتقدير أساتذته وزملائه الطلاب في الكلية، ومن أساتذته الذين عرفناهم الدكتور مهدي علام، أستاذ التربية

(١) المرجع السابق: ٧.

(٢) درس شوقي دراسة شاملة، واطلع على كل نتاجه، ونقده وقوّمه وهو ما زال طالباً في السنة الثالثة في الكلية.

(٣) مهمة الشاعر في الحياة: ١١. ولكنه عدل عن نشره، وكم من البحوث أعدها للنشر ثم عدل عنها في آخر لحظة!



في الكلية، وكان معجباً بتلميذه إلى حد كبير، فقد قال في تقديمه لكتاب (مهمة الشاعر في الحياة): «ولئن كنت قد قدمت المحاضر (سيد قطب) بأنه طالب، يسرني أن يكون أحد تلاميذي، فإنني أقول اليوم - وقد سمعت محاضراته - أنه لو لم يكن لي تلميذ سواه لكفاني ذلك سروراً وقناعة، واطمئناناً إلى أنني سأحمل أمانة العلم والأدب من لا أشك في حسن قيامه عليها»^(١).

وقد ذكر الدكتور علّام في تقديمه أن من أسباب محبتهم لسيد وتقديرهم له: قوة شخصيته، وجرأته في قول ما يعتقد، حتى لو خالف فيه أساتذته، قال: «يعجبني في كاتب هذه المحاضرة جراته الحازمة التي لم تَسْفَه فتصبح تهوراً، ولم تذل فتغدو جبناً، وإن هذه الجرأة الرشيدة التي دعت إلى الاستقلال بالرأي في بحثه - حتى ولو خالفنا في بعض ما نعتقده من الآراء الأدبية - لهي التي تجعله أحب إلى قلوبنا»^(٢).

وبعد أن أشار إلى تواضع سيد قطب، ختم الدكتور علّام تقديمه بقوله: «وقصارى القراء أن أقول لهم: إنني أعُدُّ سيد قطب مفخرة من مفاخر دار العلوم، وإذا قلت دار العلوم فقد عانيت دار الحكمة والأدب»^(٣).

نشاطه السياسي والاجتماعي وهو طالب في الكلية:

لم تكن اهتمامات سيد في دار العلوم اهتمامات أدبية أو ثقافية فقط، فقد كان له نشاط بارز في المجالين السياسي والاجتماعي! ونشير

(١) المرجع السابق: ٩.

(٢) المرجع السابق: ٩ - ١٠.

(٣) المرجع السابق: ١٠.



إلى واحد مما قام به في هذه الفترة. فعندما افتتحت الحكومة المغربية سفارة لها في مصر عام ١٩٣٨م، وعينت المكي الناصري سفيراً لها. قال سيد قطب «ولقد كان لي من قبل حظ معرفة الرجل الوطني العامل، الذي يشرف اليوم على بيت المغرب بأقسامه الثلاثة، إذ كان يدرس بمصر عام ١٩٢٩م، وكانت وجهتنا إذ ذاك مع نخبة من أكرم الإخوان المصريين والشرقيين أن نؤلف جمعية للطلبة من هؤلاء وهؤلاء، تُمكن من الروابط بين الجميع، وتعمل للمستقبل في توثيق العلاقات، وتسهل للطلبة الشرقيين وسائل العلوم والراحة في مصر.

وكان الأستاذ المكي الناصري أشدَّ المتحمسين للفكرة، وكنا نجتمع - غالباً - في داره للمباحثات في تحقيق هذا الأمل الكريم»^(١).

* * *



المبحث الثالث

سيد قطب في وزارة المعارف

عمل سيد قطب فور تخرجه من دار العلوم في وزارة المعارف، مدرساً في مدارسها، واستمر في التدريس ست سنوات: سنة في بني سويف، وأخرى في دمياط، وستين في مدارس القاهرة، واستقر في السنتين الأخيرتين في مدرسة حلوان الابتدائية، في ضاحية حلوان إحدى ضواحي القاهرة، وهي الضاحية التي استقر فيها مع إخوته فيما بعد.

ولم ينقطع وهو في التدريس في بني سويف ودمياط والقاهرة، عن مراسلة المجلات الأدبية، ونشر مقالاته وقصائده فيها.

انتقل بعد التدريس موظفاً في الوزارة، حيث عمل في التفتيش فترة قصيرة، ثم في مراقبة الثقافة العامة، وبقي في عمله فيها مدة ثماني سنوات، من عام ١٩٤٠م إلى عام ١٩٤٨م، حيث أوفدته الوزارة إلى أمريكا^(١).

أثناء عمله في مراقبة الثقافة، أسندت إليه الوزارة أعمالاً أخرى، عرفنا منها انتدابها له للتفتيش في الصعيد لمدة شهرين^(٢)، وانتدابه سكرتيراً فنياً للجنة الاستشارية للكتب والمجلات في الوزارة^(٣).

بعد عودته من أمريكا عمل مع المستشار الفني للوزارة، وكان بالإضافة إلى عمله في الوزارة، يلقي محاضرات في كلية دار العلوم، ثم انتدب للتدريس في الكلية^(٤).

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) الرسالة - السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٦٨١ : ٧٩٦.

(٣) مجلة الكتاب. المجلد الثالث: ٣٣٤.

(٤) أثبت هذا الأستاذ يوسف العظم في دراسته عن سيد قطب.



وبعد قيام الثورة بقليل استقال سيد قطب من وزارة المعارف نهائياً، لأنه لم يتمكن من العمل فيها وسط جوها الكئيب، ولأنه ووجه بحرب شرسة من قبل أعوان أمريكا في الوزارة، حيث خيب ظنهم في بعثته لأمريكا.

تقديمه المقترحات ووضعه الخطط للوزارة:

لم يكن سيد قطب في الوزارة مجرد موظف عادي، يقوم بوظيفته بطريقة روتينية، وإنما كان المفكر الجريء، يفكر بعمل الوزارة ومناهجها ووسائلها، ويضع الخطط التي يراها لمسيرتها، ويقوم بالدراسات، ويعدُّ التقارير، ويقدم المقترحات، يقوم بهذا كله في جرأة وشجاعة، ولو أدى إلى غضب رؤسائه، إذ لم يكن همه كسب رضاهم والتزلف إليهم، والحرص على الترقية والزيادات، وإنما كان همه قول ما يرى أنه الحق، والاهتمام الجدي بعمله، والتفكير المضي في رفع مستوى الأجهزة في الوزارة، وتحسين خدماتها.

من تلك المقترحات التي قدمها، المقترحات التي أشرنا إليها عند حديثنا عن دراسته في دار العلوم، والتي قدمها إلى إدارة الكلية، حيث بقي مصرأ عليها حتى بعد أن عمل في الوزارة^(١).

ومنها معارضته لفكرة طه حسين في تكثيف اللغات الأجنبية للطلاب في المرحلة الابتدائية والإعدادية، والتي يعزوها إلى (الثقافة الفرنسية التي ثقفها الدكتور واكتظاظ البرنامج الفرنسي بالمواد) وقدم البرنامج الذي يراه بقوله: «وأنا شخصياً أنكر كل برنامج يكلف التلميذ

(١) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٦٤ و صفحة ١٢٠ من هذا الكتاب.

من السابعة إلى سن العاشرة أن يشتغل بالدراسة النظرية أكثر من أربع ساعات في اليوم بحال من الأحوال، وأنكر كل برنامج يكلفه من سن الحادية عشرة إلى السادسة عشرة أكثر من ست ساعات. أما ما عدا ذلك، فللرياضة البدنية وللفنون الحرة وللقراءة الشخصية»^(١).

ومنها اقتراحاته التي قدمها لإصلاح دروس البلاغة والصرف والإملاء^(٢).

ومنها مشروع الترجمة الذي أعده وقدمه للوزارة، حيث وضع فيه خطة عامة للترجمة، وقد اهتمت به فترة من الوقت، ثم أغفلته^(٣).

ومنها اقتراحه الذي قدمه للوزارة بخصوص مكاتب المدارس: (لقد اقترحتُ مرة على وزارة المعارف أن تزيل الغبار عن سمعتها في أسواق الوراقين، وهي سمعة لا يسر الوزارة أن تعرفها، ورائحة لا يريحها أن تشمها، لقد اقترحتُ عليها أن تنشئ ألفَ مكتبة فرعية صغيرة في المدن والقرى الكبيرة، ولا يكلف إنشاء الواحدة منها أكثر من مائة جنيه). وقد فصل اقتراحه بشكل يضمن للكتاب الجيد الرواج، وذكر أسباب عدم الأخذ به: «لأنه يحرم بعض دور النشر المحظوظة من الاستيلاء على أكبر مبلغ من ميزانية الكتب في وزارة المعارف، ويحرم بعض ذوي النفوذ من الاتجار بنفوذهم في سوق الوراقين، ويحرم بعض ذوي الشفاعات من المؤلفين أن يستمتعوا بالربح الحرام»^(٤).

(١) نقد مستقبل الثقافة في مصر: ٥٠.

(٢) المرجع السابق: ٥٥ - ٥٦.

(٣) الرسالة - السنة الثالثة عشرة - المجلد الأول: عدد ٦١٨: ٤٦٦.

(٤) الرسالة - السنة التاسعة عشرة - المجلد الأول: عدد ٩٤١: ١٦ يوليو ١٩٥١م: ٧٩٩.



وفي عام ١٩٤٣م أرسلته الوزارة إلى الصعيد في مهمة تفتيشية، وطلب منه رئيسه - المستشار الفني للوزارة - الدكتور طه حسين أن يقدّم عند عودته «تقريراً شاملاً عن دراسة اللغة العربية في المدارس على اختلافها» وأن يفصل اقتراحاته «في إصلاح هذه الدراسة بصفة عامة»^(١). وعندما عاد قدّم تقريره الشامل، ورسم فيه خطة لتغيير دراسة اللغة العربية، ووضع أسساً سليمة لتقوم عليها من جديد، ولكن تقريره رُفض، وفشلت الخطة^(٢).

وفي عام ١٩٤٧م قدّم إلى وزير المعارف الدكتور عبد الرزاق السنهوري خطة شاملة لتغيير نظام دراسة التاريخ كي يقام على أساس سليم، وفشلت الخطة^(٣).

وعندما أوفدته الوزارة إلى أمريكا عام ١٩٤٨م ليدرس نظام التعليم هناك، في مختلف الجامعات والمعاهد، وبعد أن عاد للوزارة قام بمحاولات لإصلاح جهازها، أشار إلى بعضها قائلاً: «ألم أحاول عشرين مرة - بعد عودتي من البعثة إلى أمريكا - أن أنشئ لوزارة المعارف إدارة فنية صحيحة، تقيم نظم التعليم ومناهجه على أساس سليم، ففشلت في هذه المرات فشلاً ذريعاً، لأن المراد في هذه المرة كان إصلاحاً في الصميم»^(٤).

-
- (١) الرسالة - السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني: عدد ٦٨١: ٢٢ يوليو ١٩٤٦م: ٧٩٦.
 (٢) الرسالة - السنة العشرون - المجلد الأول: عدد ٩٩٥ تاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٢م. صفحة ٨٣٧.
 (٣) الرسالة - السنة العشرون - المجلد الأول: عدد ٩٩٥ تاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٢م. صفحة ٨٣٧.
 (٤) الرسالة - السنة العشرون - المجلد الأول: عدد ٩٩٥ تاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٢م. صفحة ٨٣٧.

استقالته من الوزارة:

ويبدو أن لفشله في هذه المقترحات التي قدمها، ارتباطاً مباشراً في استقالته من الوزارة في آخر الأمر، حيث وجه اتهامه إلى كبار الموظفين في الوزارة، ومما جاء فيه: «إن التعليم لكي يؤدي مهمته هذه يحتاج إلى تعديله من أساسه... ومما يؤلم النفس أن هذا التعديل لا يحتاج إلى مال غير الذي ننفقه، وقد لا يحتاج إلى رجال غير الذين يزاولون اليوم مهمة التعليم، ولكنه يحتاج فقط إلى إيمان بهذا التعديل الشامل، وإلى عقليات قليلة ناضجة، تشرف على التنفيذ، أم لعلي أمام عقدة العقد؟ وأنا أحسبها من الهين اليسير؟» ثم يحدد تهمته قائلاً: «لقد أفلح الاستعمار في تطعيم عقلية وزارة المعارف بالميكروب الثابت... إنه يبدو دائماً في صورة كبار الموظفين!!»^(١).

حتى المعاهد الثقافية التابعة للوزارة في الخارج فشلت في أداء مهمتها، وقد ضرب سيد قطب مثلاً عليها «المعهد الثقافي المصري في لندن، فإنه ما يزيد على أن يعلم اللغة العربية لبضعة عشر يهودياً، معظمهم قد اشتغلوا فيما بعد جواسيس على العرب في حرب فلسطين، وبضعة عشر إنجليزياً ممن يعدون أنفسهم لخدمة الاستعمار الإنجليزي في الشرق العربي! وهذه المهمة تستغرق جهود رجل مصري مثقف كالدكتور عبد العزيز عتيق، كم كانت إحدى كليات الجامعات المصرية في حاجة إليه هنا لاستكمال أساتذتها!!»^(٢).

(١) الرسالة - السنة العشرون - المجلد الأول: ٩٩٥: ٢٨ يوليو ١٩٥٢م. صفحة ٨٣٧.

(٢) الرسالة - السنة التاسعة عشرة - المجلد الثاني: عدد ٩٦٥ تاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٥١م. صفحة ١٤٧٠.

لم يرض عن سياسات الوزارة:

لم يكن سيد قطب وهذه شخصيته، وهذه مواقفه، وهذه مقترحاته ودراساته وتقاريره، وهذه محاولاته ومشاريعه، لم يكن بهذا كله ليُرضي رؤساءه في الوزارة، كباقي زملائه الموظفين، وبخاصة إذا علمنا أنه كثيراً ما يتغير وزراء المعارف بتغيير الوزارات، حيث يأتي وزير من حزب آخر غير الوزير السابق، فيتنافس كبار الموظفين إلى كسب ود الوزير الجديد باعتناق مبادئه، أو التزلف إليه.

وهكذا يُجهدون أنفسهم في علاقاتهم مع هؤلاء الوزراء المتشاكسين!!، وقل مثل هذا في علاقة كبار موظفي الوزارة بصغار الموظفين.

ولكن سيد قطب الذي تأنف نفسه مواقف الذلة والهوان، أو التزلف والتذبذب، أو تغيير الآراء بتغير الظروف، والذي تميزت شخصيته بالقوة والشجاعة والجرأة والالتزام، سيد قطب بهذه الصفات أسخط عليه رؤساءه، وتميزت علاقته معهم بالمشاكسات، وجرت عليه - هذه الصفات - كثيراً من المضايقات!! وكان يتقبلها بارتياح، لأنها ضريبة العزة والشجاعة!!

كما كان للمقالات السياسية التي يكتبها في الصحف والمجلات أثر على صلته برؤسائه، حيث إنه موظف رسمي، والموظف يُحظر عليه الكتابة السياسية، وإبداء رأيه في القضايا الوطنية، ولذلك وجهوا إليه إنذارات لكتابته تلك، وأثبتوها في إضرابه^(١).

(١) الرسالة - السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني: عدد ٦٨١ تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٦م. صفحة

نفيه إلى الصعيد باسم التفتيش:

ففي إبان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣م، جَرَّتْ عليه صفاته التي ذكرناها ومقالاته السياسية التي كتبها، غضب وزير المعارف آنئذ، وقال: «لا بد أن يُفصل هذا الموظف، أو ينفى من الأرض، أو يشرّد فيها، وحدد التهمة بأنه يعمل لحساب المعارضة، وأنه يتحدث لأصدقائه عن بعض الوزراء منتقداً لهم، وأنه أداة لخطّة حزبية ضد الحزب الحاكم، كما أخبرته بذلك إدارة الأمن العام» بالإضافة إلى كتابته السياسية في المجلات، وأمام تهمة الوزير وقراره، قرر سيد قطب أن يستقيل من الوزارة، لأنه لن يخضع لأهواء الوزراء، ولم يقطع عن الاستقالة إلا بعد إلحاح من رئيسه المباشر الدكتور طه حسين، الذي تمكن من إقناع الوزير بالعدول عن قراره، والاكتفاء بنفي سيد قطب إلى الصعيد لمدة شهرين، تحت شعار التفتيش، فهو يقوم بجولة تفتيشية في الظاهر، بينما هو منفي في الحقيقة^(١).

هذه الحادثة التي كشف سيد قطب النقاب عنها، واحدة من حوادث عديدة مشابهة، لم نطلع عليها، تبين علاقته بالوزراء من ناحية، وبرؤسائه المباشرين من ناحية أخرى، كما تبين أي موظف كان!!

كذلك إيفاده في بعثة إلى أميركا، لم يكن في الحقيقة إلا عملية سياسية للتخلص منه^(٢).

* * *

(١) انظر تفصيل هذه الحادثة في (الرسالة) السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني: عدد ٦٨١

تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٦م: ٧٩٦ - ٧٩٧.

(٢) انظر مبحث (سيد قطب في أمريكا) من هذا الكتاب.

المبحث الرابع سيد قطب مع العقاد

كان عباس محمود العقاد أشهر حامل لراية التجديد الأدبي في مصر، وقد بدأ يظهر نتاجه الأدبي منذ صغره، وراح يكتب في الصحف والمجلات منذ أوائل هذا القرن - العشرين - وَكَوْنَ مع زميله عبد الرحمن شكري وإبراهيم المازني، جماعة (الديوان)، ويُعتبر العقاد رائد النقد الأدبي في مصر، حيث ظهرت مقالاته النقدية في وقت مبكر، جمعها بعد ذلك في كتب، أشهرها:

(ساعات بين الكتب) و(مطالعات) و(مراجعات في الآداب والفنون) كما نشر عدة دواوين شعرية مثل (وحي الأربعين) و(أعاصير مغرب)، واختص بعد ذلك بدراسة الشخصيات من الشرق والغرب.

هذا وقد تتلمذ عليه عدد من الأدباء الشبان، ومن أشهر تلاميذه: سيد قطب وعبد الرحمن صدقي ومحمد خليفة التونسي وعبد الفتاح الديدي وطاهر الجبلاوي.

صلة سيد قطب بالعقاد مبكرة عن طريق خاله:

بدأت صلة سيد قطب بالعقاد في وقت مبكر، عندما سكن عند خاله (أحمد حسين عثمان)، لأن خاله كان على صلة بالعقاد، حيث كانا عضوين في حزب الوفد، الذي أسسه سعد زغلول، وكان بينهما تزاور، لأنهما يسكنان في ضاحيتين متجاورتين، العقاد في (مصر الجديدة)، وأحمد حسين في (الزيتون). وكثيراً ما كان سيد قطب يرافق خاله في زيارته تلك^(١):

(١) كما أخبرني الأستاذ محمد قطب.

وأعجب سيد بشخصية العقاد القوية، كما أعجب بفكره وأدبه وعقليته، وبمكتبته الكبيرة التي ضمت مختلف الكتب والمجلات العربية والأجنبية.

وتحوَّل الإعجاب إلى تلمذة وتأثر فكري وأدبي، وراح سيد قطب يقرأ من مكتبة أستاذه بشغف كبير، يلتهم ما فيها التهاماً، ليُشبع حاجاته النفسية والأدبية، ويلبي أشواقه وتطلعاته الفنية، واستفاد سيد الكثير من مكتبة العقاد، وتزود بزد عظيم من الثقافة والمعرفة، وتفتحت أمامه آفاق أدبية وفنية جديدة.

وكما استفاد من مكتبة أستاذه، استفاد منه هو، ومن نظراته في الأدب والشعر والنقد والفن، ومن شخصيته القوية، وشموخه واعتداده بنفسه وتعالیه، وتبنى سيد آراء أستاذه المختلفة، كما تأثرت شخصيته به، ورأينا فيها بعض صفات أستاذه!

وقد شمل تأثير العقاد عليه حياته السياسية الأولى، فرأينا سيد قطب عضواً في حزب الوفد، ويبدو أن خاله وأستاذه هما اللذان أثرا عليه من هذه الناحية، واستمر سيد مع حزب الوفد مدة طويلة، منذ أن بدأ الدراسة في القاهرة، إلى أن شكل زعيمه مصطفى النحاس الوزارة بطلب من الإنجليز في شباط عام ١٩٤٢م، بعد أن حطمت الدبابات الإنجليزية أبواب قصر عابدين، وقد أفقد هذا الحادث ثقة سيد بالحزب، وتخلّى عنه بعد ذلك، لينضم إلى حزب الهيئة السعدية - وهو الحزب المنشق عن الوفد - الذي لم يمكث فيه أكثر من سنتين، اعتزل بعدها الأحزاب نهائياً^(١).

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.



احتضن العقد تلميذه سيد قطب، وفتح أمامه أبواب الصحف والمجلات التابعة لحزب الوفد، السياسية منها والأدبية، وهي التي كان العقد يشرف على تحريرها، أو يسهم في الكتابة فيها، ليعطيها شهرة كبيرة، مثل (البلاغ) و(البلاغ الأسبوعي) و(الجهاد)، وغيرها. فظهرت فيها مقالات سيد الغزيرة، قصائده وتحليلاته الأدبية والاجتماعية!

سيد تلميذ ومريد للعقاد:

اشتهر سيد في الأوساط الأدبية كتلميذ للعقاد، وراح بعضهم يلزمه بهذه التلمذة، واعترف سيد بتلمذته عليه، وأشاد بها، واعتبرها مصدر قوة له، لا نقطة ضعف ضده، فهو يخاطب الدكتور أحمد أمين قائلاً: «لقد كنت مُريداً بكل معنى كلمة مريد لرجل من جيلكم تعرفونه عن يقين»^(١). ويقول لأبي الحسن الندوي (لا شك أنني تلميذ من تلاميذ العقد في الأدب والأسلوب الأدبي، وله عليّ فضلٌ في العناية بالتفكير أكثر من اللفظ، وهو الذي صرفني عن تقليد المنفلوطي والرافعي..^(٢)) ويبين لأحمد فؤاد الأهواني صلته بالعقاد «وحتى العقد نفسه، وصلتي بشخصه معروفة، وصلتي بأدبه أوثق مرات من صلتي بشخصه - ولو فهم الكثيرون غير هذا»^(٣).

كان سيد قطب يخشى على شخصيته أن تذوب في شخصية العقد، فعندما أصدر العقد ديوانه (وحي الأربعين) عام ١٩٣٣م، تحدث عنه

(١) الثقافة السنة الثالثة عشرة. عدد ٦٦٣: ٨.

(٢) مذكرات سائح في الشرق العربي ٩٦.

(٣) الرسالة - السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني: عدد ٦٨٣: ٨٧٤.

سيد قطب في محاضرة ألقاها في (رابطة الأدب الحديث)، ابتدأها باعترافه بصداقته للعقاد، واتبع يقول (ولستُ أخشى من هذه الصداقة - على أشدها - أن تؤثر في رأيي، لأن لي صداقة أخرى أقوى من هذه الصداقة، وهي صداقتي لضميري، لا بل صداقتي لشخصيتي، وحرصني عليها أن تفنى في أية شخصية أخرى)^(١).

ولما عرف سيد طريقه، ورسم بنفسه معالمه، بعد أحد عشر عاماً من كلامه هذا، زال عنه خوف الفناء في شخصية العقاد، وقال (إنني لم أعُد أحرص اليوم على مقاومة الفناء في الشخصيات الأخرى، لأنني عدت أكثر اطمئناناً لعدم الفناء، وإنني لأعترف اليوم أن صيحتي يومذاك إنما كانت صيحة الخائف، الذي يحدث نفسه في الظلام، وينفي عنها الأوهام، ليشعر بالاطمئنان!

لقد كنت أتحدث يومها عن العقاد، وكانت شخصية العقاد هي الشخصية الوحيدة التي أخشى الفناء فيها - كنت أحس هذا بيني وبين نفسي - ولقد ظلتُ هذه الخشية إلى وقت قريب جداً، حينما بدأتُ أشعر أنني قد تخلصت، وأنني أنتفع بالعقاد ولكنني لا أقلده. وأن لي طريقاً ألمح معالمه، وأستشرف آفاقه، وأنني أتذوق بحسي وأنظر بعيني وأسمع بأذني، وإن كان للعقاد فضل التوجيه في الطريق العام^(٢).

سيد يدرس شخصية ونتاج العقاد:

درس سيد أستاذه دراسة عميقة فاحصة، وتزود بمختلف وسائل المعرفة والثقافة التي تعينه على معرفة كُنْه الرجل وسبر غوره، وقد حدثنا

(١) الرسالة - السنة الثانية عشرة - المجلد الثاني: عدد ٥٩٧ تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤م صفحة ١٠٨٧.

(٢) المرجع السابق - صفحة ١٠٨٨.



عن دراساته التي توصل بها إلى معرفته قائلاً: (ولقد رقيت إلى محاولة استيعاب العقاد - وأفلحت إلى مدى - على درج من دراسات شخصية جمّة، ليست دراسة الأدب العربي ولا اللغة العربية إلّا أولى خطواتها، دراسات تشمل كل ما نُقل إلى اللغة العربية - على وجه التقريب - من الآداب الإفرنجية: قصة ورواية وشعرًا، ومن المباحث النفسية الحديثة: نظريات العقل الباطن والتحليل النفسي والمسلكي.. ومن المباحث الاجتماعية والمذاهب القديمة والحديثة، ومن مباحث علم الأحياء - بقدر ما استطعت - وما نشر عن دارون ونظريته، ومن مباحث الضوء في الطبيعة والتجارب الكيماوية، ومما استطعت أن أفهمه عن أينشتاين والنسبية، وعن بناء الكون وتحليل الذرة وعلاقته بالإشعاع.^(١))

وقد عقب الدكتور محمد رجب البيومي على كلام سيد بقوله «هذا بعض ما أهّل به سيد قطب نفسه ليدرس العقاد، وإذا كان العقاد جبار الثقافة دون نزاع فإنه قد أورث تلميذه شرهاً للمعرفة لا يُحدّ، وهو صادق حين يذكر هذه الفروع الدقيقة في إطلاعاته، لأنه يزور أستاذه في مكتبته الخاصة، ويرى سعة معارفه، فلا بد أن يجاريه ما استطاع! ويا لها من همة!^(٢)»

وبعد أن درس أستاذه بوسائله التي ذكرها، أعجب به إلى حد التعصب، وأحبه إلى درجة الغيرة (فأنا لا أنكر أنني شديد الغيرة على هذا الرجل، شديد التعصب له، وذلك نتيجة فهم صحيح لأدبه، واقتناع عميق بفكرته)^(٣).

(١) الرسالة - السنة السادسة - المجلد الأول - عدد ٢٥٧ تاريخ ٦ يونيو ١٩٣٨م - صفحة ٩٣٧.

(٢) الثقافة - السنة الخامسة - عدد ٥٣ فبراير ١٩٧٨م، صفحة ٥٤.

(٣) الرسالة - السنة السادسة - المجلد الأول - عدد ٢٥١ تاريخ ٢٥ أبريل ١٩٣٨م - صفحة ٦٩٢.

سيد شديد التعصب والمغالاة للعقاد:

نتيجة لهذا التعصب الشديد والغيرة الشديدة، راح سيد قطب يصدر أحكاماً على أستاذه العقاد، ويصفه بأوصاف يظهر فيها الغلو والمبالغة وعدم الموضوعية، وهذا ليس بغريب، فإن شدة التعصب تُنسي صاحبها الاتزان، وشدة الغيرة تُعمي صاحبها عن إِبصار نبوغ وقدرات الآخرين. ولقد بقي سيد قطب - رغم استقلاله بشخصيته - لفترة طويلة لا يرى في سماء الأدب إلاّ العقاد، ولا يلمس إلاّ جوانب من عبقرية العقاد، ولا يتذوق إلاّ شعر العقاد، فهو أديب العالم، وهو فيلسوف العالم، وهو أشعر شعراء العالم، ولا غرابة أن تصدر عن سيد قطب مثل هذه الأحكام (فإن حُبَّكَ الشيءَ يعمي ويَصم).

عندما أطلق الدكتور طه حسين على العقاد لقب (أمير الشعراء) بعد وفاة أحمد شوقي، راح سيد قطب يعلن على صفحات المجلات أن هذا اللقب غير لائق به! (ورأيي أن هذا اللقب غير لائق بالعقاد، لأن المسابقة بينه وبين شعراء العربية في هذا العصر أوسع مما بين السوق والأمرء). ويغالي سيد في حكمه على شعر العقاد بأنه أشعر شاعر في لغة العرب، في القديم والحديث (قد يكون هناك كتّاب يتقاربون مع العقاد، ولكن ليس هناك شعراء في لغة العرب يتقاربون مع العقاد، ولقد كنتُ هممتُ بإصدار بحث عن الشعراء المعاصرين، ونظرت في أدب جميع الشعراء الأحياء - وأنا من بينهم - ولكن عاقني عن إصداره أنني لم أجد نقاط اتصال بين العقاد الذي سأكتب عنه أولاً وبين جميع الآخرين من الشعراء، الفرق هائل جداً)^(١).

(١) الرسالة - المصدر السابق - ٦٩٤.



العقاد في عين سيد قطب ليس شاعر العربية الأوحـد فحسب، بل هو لا يدانيه في شعره شعراء العالم أجمع (ونحن لا ننصف الرجل حين نقول إن الأوتار التي يوقّع عليها الحب في نفسه لم تجتمع قط لشاعر عربي، ولا تجتمع لعشرة من شعراء العربية في جميع العهود، نحن لا ننصفه حين نتحدث عن اللغة العربية وحدها، ولكننا نملك أدلته كلها، ونجزم فيه بالصواب. وإلا فبين يديّ مُعَرَّبَات كثيرة، لشعراء من الغرب، مشهورين معروفين كـ(بيرون وشيلي وألفريد دي موسيه وفيكتور هوجو) لا أرى فيها من تعدد الجوانب الصادقة الأصيلة ما أراه في غزل العقاد وشعره عامة)^(١).

لا شك أن هذه الأحكام المبالغ فيها والتي أصدرها سيد قطب على أستاذه العقاد، أضرت بسيد قطب نفسه، حيث شنّ عليه النقد - وحق لهم - حملة في المجلات، وأضرت بأستاذه العقاد كذلك، وكأنني به - وهو الذي لا يعجبه إلا المديح والإطراء - قد تأثر منها، وأدرك الغلو والمبالغة فيها!

سيد مع العقاد ضد الرافعي:

وقد خاض سيد قطب معارك أدبية دفاعاً عن أستاذه العقاد، بيّن فيها نواحي نبوغه وعبقريته، وكان أعنفها تلك التي خاضها على صفحات مجلة الرسالة، حول العقاد والرافعي، وطالت المعركة بحيث استغرقت حوالي سبعة أشهر من عام ١٩٣٨م، بدأت طلائعها في العدد (٢٥١) بتاريخ (٢٥ أبريل ١٩٣٨م) وانتهت بالعدد (٢٨٠) بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٣٨م. وكانت

(١) الرسالة - السنة السادسة - المجلد الثاني - عدد ٢٦٨ تاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٣٨م، صفحة

المعركة طاحنة، كان خصمه فيها تلاميذ الرافعي من كبار الأدباء، مثل محمود شاكر، والدكتور محمد أحمد الغمراوي، ومحمد سعيد العريان، وإسماعيل مظهر، وعلي الطنطاوي، وعبد الجليل المحجوب! والغريب أن سيد قطب أدار المعركة وحده، أمام هؤلاء جميعاً، أدارها بشجاعة وقوة وحدة، واعتداد برأيه وبأستاذه، وقد لفت إليه الأنظار في قوة وانبهار، حيث أعجب الناس والأدباء منهم بخاصة برجل يقود المعركة منفرداً ضد عدد من ذوي النباهة من الأدباء، وينتصر عليهم في النهاية!

وقد تحمل سيد تبعة دفاعه عن العقاد، وتبيينه لمزاياه، وتحمل تكاليف هذا كله راضياً، فهو قد كلفه - على حد قوله - (التعرض لغضب الكثيرين، من ذوي النفوذ في هذه الوزارة، وفي كل وزارة، ومن بينهم كثير من رؤسائي في وزارة المعارف نفسها) و(خصومة الأدباء من المدرسة القديمة والحديثة على السواء) و(خصومة كثير من ناقصي الرجولة - وهم أعداء العقاد الطبيعيون - وكثير من ناقصي الثقافة الذين لا يفهمون العقاد)^(١).

ولم ينتفع مع هذا بنفوذ العقاد. ذلك الانتفاع (الذي يبدو غير مفهوم حينما كنتُ أناصر العقاد وهو خصم الوزارات القائمة، وأوقع على ما أكتبه بإمضائي الصريح في أخرج الأوقات)^(٢).

وراح سيد قطب يرقب كتب أستاذه العقاد، فما إن يصدر كتاب منها حتى يتناوله بالشرح والتحليل والنقد، ويجعل حديثه عن الكتاب مناسبة للحديث عن صاحبه، وبيان مزاياه ونبوغه وعبقريته!

(١) الرسالة - السنة السادسة - المجلد الثاني: عدد ٢٨٠، ١٤ نوفمبر ١٩٣٨ م، ١٨٦٥ - ١٨٦٦.

(٢) المصدر السابق: ١٨٦٦.

سيد يخالف العقاد أحياناً رغم تلمذته له:

سيد قطب تلميذ للعقاد، ولكنه ليس نسخة أخرى منه! ولو قارناه بتلميذ آخر للعقاد وهو (محمد خليفة التونسي) لتميزت شخصيته، فالتونسي (لم يكن أكثر من تلميذ ذكي، يحسن ما يقوله أستاذه فحسب)^(١)، وكذلك تلميذ العقاد الآخر عبد الرحمن صدقي (فإنه نسخة طبق الأصل عن العقاد)^(٢) ويظهر الفرق بين التلميذين هذين وبين سيد قطب، عندما ننظر في أعمال سيد وآثاره، التي خالف فيها أستاذه!

فسيد قطب عندما أمّن من ذوبان شخصيته في شخصية العقاد، صرح قائلاً: «إنني أُنْتَفَع بالعقاد، ولكنني لا أقُلده، وإن لي طريقاً ألمح معالمه، وأستشرف آفاقه، وإنني أذوق بحسي، وأنظر بعيني، وأسمع بأذني»^(٣).

وتبعاً لاستقلاله، خالف العقاد في بعض آرائه (إنني اختلفت معه في بعض الأحيان، على تعريف الشعر وتذوقه، وعلى النظرة إلى العاطفة وأطوارها، ولكنه اختلاف الرأي والإحساس، الذي لا بد أن يقع بين شخصية وشخصية، متى تبلورت الشخصيتان، وظهرت معالمهما كاملة، ولو كانتا شخصيتي التلميذ والأستاذ)^(٤).

سيد ينقد شعر العقاد مخالفاً له:

كانت مخالفته له في وقت مبكر جداً، ففي أول مقالات سيد النقدية على صفحة الأهرام عندما أصدر العقاد ديوانه (هدية الكروان)، كتب

(١) سيد قطب لبركات: ١٠.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٣) الرسالة - السنة الثانية عشرة - المجلد الثاني: عدد ٥٩٧، تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤م، ١٠٨٨.

(٤) الرسالة - السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني: عدد ٦٨٣، تاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٦م: ٨٧٤.



سيد قطب عنه يقول: إن هدية الكروان تمثل «منتهى النضوج الفني عند العقاد، وإنها سلمت من بعض أشياء كانت تغض من الجمال الفني الكامل لبعض شعر العقاد، وهي ما أسميته (قسوة القلب) وعנית به أن يحتجب الشعور الطليق في ثوب أضيّق وأقسى مما يلائم هذا الشعور الطليق»^(١).

وعن أثر هذا النقد الهادئ على العقاد قال: «وهو كذلك لا يُسلمُ بقسوة القلب في بعض شعره. ولا يبيح لي أن أوجه هذا النقد، لأن منشأه هو قصوري عن فهم شعره، وإن على الناقد أن يرتفع إلى مستوى الشاعر، وليس على الشاعر أن يهبط لمستواه، وكان العقاد مهتاجاً، ولكنني كنت هادئ الأعصاب»^(٢). وبقي - رغم هدوء أعصابه - على موقفه لم يغيره، بل رد على العقاد قائلاً (إن الناقد الذي يكتب محاضرة عن ديوان «وحي الأربعين»، فيفهم دقائقه فهماً يرضى عنه العقاد، لا يقصر عن فهم «هدية الكروان» وهي أسهل من وحي الأربعين! وافترقنا وفي نفس العقاد شيء أحسه، ولكنني آسف له، وإن كنت لا أنوي التأثير به)^(٣).

وراح سيد يخالف أستاذه في كثير من آرائه، وينشر مخالفته له على صفحات المجلات الأدبية، وفي كتابه (كتب وشخصيات) أماكن عديدة لهذه الآراء^(٤).

(١) الأسبوع - المجلد الثالث - عدد ٣٥ تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥ صفحة ٢٢. وانظر «على المحك»

لما روى عبود: ٢٦٠ - ٢٦٣.

(٢) الأسبوع ٢٢ - ٢٣.

(٣) الأسبوع ٢٣.

(٤) انظر (كتب وشخصيات) صفحات ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٨٤، ٨٥، ٨٩، ٩٠، ٢٨٢، ٢٨٣.

بدأ سيد فى بداية عام ١٩٤٦م - بعد أن ألف كتابه «التصوير الفنى فى القرآن» - يبتعد تدريجياً عن مدرسة العقاد الأدبية، وينتقد آراءها فى الأدب والفكر والحياة، ونورد فيما يلى مثلاً لانتقاده الجاهر لهذه المدرسة!.

قال أثناء حديثه عن قضية اللفظ والمعنى - القضية المعروفة فى الأدب العربى - «ثم عرّضت هذه القضية مرة أخرى فى العصر الحديث، فى معرض الجدل بين مدرسة شوقي وحافظ، المعنية بالإيقاع الموسيقى والجمال اللفظى، ومدرسة العقاد وشكري المعنية بالصدق الشعورى والتدقيق المعنوى، وقيل كلام كثير فى معرض الجدل ليس كله صواباً بطبيعة الحال، ونحن فى هذه المناسبة لا نتردد فى أن نرّد إلى الإيقاع الموسيقى والجمال التعبيرى اعتبارهما - ولكن على أساس آخر، غير الأساس الذى يفهمه الشوقيون والتعبيرون على العموم^(١).

وبقى سيد يبتعد تدريجياً عن مدرسة العقاد فى الأدب والحياة، إلى أن خرج منها نهائياً، ليكوّن مدرسة أدبية جديدة، على أسس جديدة، ونظرة جديدة للأدب والحياة!

سيد ينقد مدرسة العقاد ويخرج منها:

وتجلى هذا الخروج فى مقالة كتبها فى مجلة (الكتاب) ينقد فيها ديواناً لأحد أبناء المدرسة العقادية - أحمد مخيمر - قال فيها «لقد آن أن نفهم الشعر على ضوء جديد، بعدما قطعنا كل هذه المراحل، وبعدها اجتزنا كل تلك التجارب، آن أن نفهم الشعر لا على طريقة مدرسة

(١) كتب وشخصيات: ٤٧.

شوقي وحافظ والمنفلوطي، ولا على طريقة العقاد وشكري والمازني. فكلتاهما مرحلتان من مراحل التطور، قامتا بدوريهما في النهضة، وأن أن يخلفهما فهم للشعر جديد»^(١).

تحدث عن مدرسة العقاد قائلاً «وقامت أخراهما على أساس أن الشعر صورة حياة، وخلجات نفوس، وسمات شخصيات، وحقائق شعور، وهذا كله صحيح، ولكن هذه المدرسة عند التطبيق العملي لفهمها الشعر كانت طاقتها الشعرية أقل من تصورهما للشعر، فجاء نتاجها الشعري في عمومها ناقص الحرارة، غير مكتمل الشاعرية، وظلت - إلا قليلاً - تمتح من تصورهما الواعي للشعر، قبل أن تفيض من شعورها الكامن في الضمير»^(٢).

وتحدث عن تجربته مع هذه المدرسة قائلاً «ولست أنكر فتنتي فترة طويلة من العمر بهذه المدرسة كفكرة، وفتنتي بنتاجها الأدبي كشعر، وتأثري بها إلى الحد الذي أنفقت فيه شطراً من حياتي وأنا أقول الشعر، لا أفرق فيه بين الفكرة الجميلة الشعرية، أعتنقها مذهباً، والإحساس الجميل الشعري ينبض به شعوري، ويعيش انفعالاً غامضاً في ضميري.. ولم أجد نفسي إلا منذ عامين اثنين (١٩٤٦م) أنتبه إلى الفارق الأصيل بين الفكرة الجميلة والشعور الجميل، وأجد للشعر مذاقاً آخر، غير ما سبق لي أن أحسسته في نحو خمسة عشر عاماً أو تزيد»^(٣).

(١) الكتاب المجلد الخامس - الجزء الثاني - فبراير ١٩٤٨م، صفحة ٢٤٨.

(٢) المرجع السابق: ٢٤٨.

(٣) المرجع السابق ٢٤٨ - ٢٤٩.

سيد يؤسس مدرسة أدبية جديدة:

وهكذا انتهى به المطاف الأدبي، بعد حياة طويلة في مدرسة العقاد، دامت ما يقرب من ربع قرن، انتهى به إلى مدرسة أدبية جديدة، هو رائدها وأستاذها الأول، لها أسسها ونظراتها وآراؤها ومنهجها، في الشعر والأدب والفن والنقد، وكان معه في مدرسته عدد من الأدباء، وكان بمقدور سيد أن يرسى أسس مدرسته الجديدة، وينميها ويرعاها، ويمدها بالجديد من نظراته الثاقبة، كان بمقدوره هذا، لولا أنه تركها لاهتماماته الجديدة، حيث فتح الله أمام عينيه ملامح طريق جديدة، فسار فيها مفكراً و كاتباً وباحثاً، تلك هي المرحلة الأخيرة من حياته، وهي اتجاهه الإسلامي.

سيد يذكر أسباب خروجه على العقاد:

وقد بين سيد قطب أسباباً أخرى لخروجه من مدرسة العقاد، غير آرائه الجديدة في الأدب والفن والشعر، منها ما ذكره لأبي الحسن الندوي: «إن نفسي لم تزل متطلعة إلى الروح، وما يتصل بها، وكنت في صغري مشغولاً بقراءة أخبار الصالحين وكراماتهم، ولم تزل هذه العاطفة تنمو في نفسي مع الأيام، والأستاذ العقاد رجل فكري محض، لا ينظر إلى مسألة ولا يبحث فيها إلا عن طريق الفكر والعقل، فذهبت أروي نفسي من مناهل أخرى هي أقرب إلى الروح، ومن ثم عنيتُ بدراسة أشعار الشرقيين كطاغور وغيره^(١)».

كما أن من أسباب خروجه على مدرسة العقاد، هو ضعف العقاد وجنبه في كثير من المواقف السياسية، بعدما امتد به العمر في

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي ٩٦.

الأربعينيات. يقول: «إني كنتُ أعتقد أن مثل الأستاذ العقاد في عقله الكبير وشخصيته العظيمة لا يخضع للضرورات والملابسات كالحكومة والسلطة، ولكنه سالمها».

العقاد يهاجم سيد قطب:

جفا العقاد سيد قطب بعد خروجه عليه أديباً أولاً، ثم فكرياً بعد ذلك، بل مقتته لاتجاهه الإسلامي، ولم يكن العقاد يطبق الاتجاه الإسلامي المتمثل في حركة الإخوان المسلمين، بل كان يحاربه بشراسة، وراح العقاد ينتقد سيد ويتحدث عنه، ويأسف له، وكتب في الرسالة مقالة بعنوان (إرادة الغفلة) ضد سيد قطب دون أن يذكره بالاسم^(١).

وبعد افتراق طريقيهما، وبعد أن وقف سيد المواقف الإسلامية الجريئة، ضد رجال الحكم العسكري في مصر، وبعد أن ضحّى بالكثير، صار العقاد يثني عليه ويمدحه، ويشيد به في مجالسه الخاصة^(٢).

العقاد سبب تأخر التوجه الإسلامي لسيد:

كان للعقاد فضل كبير على سيد قطب، إذ إنه استفاد منه الكثير، وبخاصة في حياته الأدبية، ولكن كان له أثر سلبي عليه، حيث يعزى إلى العقاد السبب في تأخير سيد قطب في اتجاهه الإسلامي، لأن سيد الذي نشأ نشأته الدينية في القرية، كان المتوقع له أن يسير في طريق إسلامي واضح، ولكن اتصاله بالعقاد أوجد عنده ميلاً إلى

(١) كما أخبرني الأستاذ محمد قطب. انظر المقالة في (الرسالة) السنة الرابعة عشرة، المجلد

الأول، عدد ٦٦٣ تاريخ ١٨ مارس ١٩٤٦م، صفحات ٢٨٩ - ٢٩١.

(٢) كما أخبرني الأستاذ محمد قطب.



الأدب والنقد والشعر، وصارت عنده اهتمامات أدبية وفنية، وسيطرت عليه هذه الاهتمامات فترة طويلة من الوقت، زادت على ربع قرن من الزمان، وكمنت اهتماماته الإسلامية والروحية طوال هذه الفترة، ولم تظهر من جديد إلا بعد أن اتصل بالقرآن، ولبى أشواقه الروحية والوجدانية والشعورية، وأخرج كتاب (التصوير الفني في القرآن). وكان هذا في أيامه الأخيرة في مدرسة العقاد، عندما أوشكت علاقته به على الانتهاء!

* * *

المبحث الخامس في الصحف والمجلات...

بدأت علاقة سيد قطب بالصحف والمجلات في وقت مبكر من حياته، وساعد على اتصاله بها خاله (أحمد الموشي) الذي كان يشتغل بالتدريس والصحافة، إذ بواسطته تعرف سيد عليها، كما ساعد على اتصاله بها علاقته المبكرة بالعقاد، الذي كان يشرف على عدد من الصحف، ويكتب في عدد آخر.

بدأ اشتغال سيد بالصحافة عام ١٩٢١م، وأول مقال نشره كان عن (طرق التدريس) وكان في صحيفة (البلاغ) اليومية^(١).

واستمر اتصال سيد قطب بالصحف والمجلات، إذ كتب فيها عندما كان طالباً في مدرسة المعلمين الأولية، وفي تجهيزية دار العلوم، وفي كلية دار العلوم، ثم بعد أن تخرج في الكلية وعمل موظفاً في وزارة المعارف، وصار يرأسل المجلات وينشر فيها مقالاته وهو في أمريكا، ثم بعد أن عاد من أمريكا، واستقال من الوزارة، ولم تنقطع صلاته بالمجلات إلا بعد أن أدخل السجن عام ١٩٥٤م.

عمله في الصحف والمجلات على عدة حالات:

لم يكن عمله في هذه المجلات على حالة واحدة: فبعضها كان يعمل فيها موظفاً، يتناول مرتباً شهرياً، حيث يحرر فيها صفحة أدبية، وكان عمله في صحيفة (الأهرام)، وصحيفة (البلاغ) من هذا القبيل.

(١) الأسبوع - السنة الأولى - عدد ٢٦ تاريخ ٢٣ مايو ١٩٣٤م، صفحة ١٤.



وبعضها كان يكتب فيها المقالات اليومية أو الأسبوعية بدون أجر، ويكفيه أن تفسح المجلة لمقالته صفحاتها، ليقرأ الناس آراءه، وكانت غالبية مقالاته من هذا القبيل، كمقالاته في مجلات (الأسبوع) و(الوادي) و(كوكب الشرق) و(الرسالة) و(الدعوة) و(الاشتراكية) وغيرها.

وبعضها كان يتولى فيها رئاسة تحرير المجلة والإشراف عليها، وكتابة عدة مقالات في العدد الواحد، مثل مجلات (الفكر الجديد) و(العالم العربي) و(الإخوان المسلمون).

كانت أول مقالات سيد قطب ظهوراً، في الصحف والمجلات التابعة لحزب الوفد، لأن خاله كان وفدياً، وأستاذه العقاد كان وفدياً، وهو نفسه انضم إلى حزب الوفد منذ صغره، كتب في صحف ومجلات الحزب كلها، وبما أن منها مجلات أدبية وأخرى سياسية، فقد كتب فيها المقالات السياسية والأدبية والتربوية ونشر فيها قصائده الشعرية!

في عام ١٩٣٤م حدثنا أحد قرائه عن أول نتاج قائلنا: (فقد قرأته من ثلاثة عشر عاماً شاعراً في صحيفة «الحياة الجديدة»، ثم قرأته بعدئذٍ شاعراً وكاتباً في البلاغ، ثم ها أنا الآن أقرؤه شاعراً وكاتباً في الأهرام والأسبوع)^(١).

ويخبرنا سيد عن بعض المجلات التي كان ينشر فيها، حيث نشر (نثراً ونظماً منذ عام ١٩٢٤م بالبلاغ اليومي، والأسبوعي، وكوكب الشرق، والوادي، والمصور، وسواها من الصحف)^(٢).

(١) الأسبوع - المجلد الثالث - عدد ٣٥ تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥م، صفحة ٨.

(٢) الأسبوع - المجلد الرابع - عدد ٤٣ تاريخ ١٩٣٤/٩/١٩م، صفحة ٩.

لم يكن سيد قطب - كما قلنا - متفرغاً لعمله الصحفي، بل كان يجمع بين الصحافة والدراسة والنشر والنظم، وهذا ما رفعه في أعين الأدباء في تلك الفترة، ورأوا فيه همة ونشاطاً عجيبين، وذكاء ونبوغاً بارزين، وتوقعوا له مستقبلاً عظيماً!

ثناء على عمله فيها:

من هؤلاء علي أحمد عامر الذي كتب مقالة في (الأسبوع) يبين فيها بعض ملامح سيد قطب، ويظهر فيها بعض نواحي نبوغه. ويقول متحدثاً عن مقالات سيد النقدية والأدبية التي ينشرها في الصحف، ويجد فيها الأدباء طلبتهم: «فقد طالما دفعته الدنيا إلى ملابسة الرجولة بينما هو في بداية مراحل الشباب. وقد طالما أسرفت حقائق الحياة معه. فأذنت له أن يجمع أعصابه على موازنات، في الأدب والشعر والنقد. كان قرّاء الصحف ينصرفون إليها مغتبطين، ومؤمنين أنهم ملاقون فيها شيخاً كشفت تجاربه وجوه الأشياء جميعاً، وكشفت السنون الطويلة له خبايا الناس وطوايا الفنون».

ويصوره لنا في عمله اليومي: «ولو أنهم أبصروا به تلميذاً يقتعد أريكته في حجرة الدراسة، باحثاً عن (خبر كان)، منقباً عن (غزوة أُحُد)، كادحاً وراء (فقه اللغة)، دائباً على مصاولة الشعراء العباسيين لأسلافهم من شعراء أمية.. ولو أنهم بصرُوا به متحفزاً يثب إلى مكتبه في الليل يستذكر الدرس، ثم يكتب رسالة الغد إلى الصحيفة التي يعمل فيها، ثم يفشي بين المرحلتين سر نفسه في قصيدة، يطويها إلى صدره، حتى يؤذن لها أن تذوع.. ولو أنهم بَصُرُوا به في هذه المشاهد التي يؤلف ما



بينها التناقض.. لأنكروا على ابن الخامسة عشرة أن يقول الشعر، ولأنكروا على ابن المدرسة أن يكابد التحرير.. ولكنه سيد قطب طراز وحده في أدباء الشباب..!

ويبين طريقته في الكتابة قائلاً: (في هذا الهيكل الناحل، وفي تلك الابتسامة الخاطفة، وفي هذا الرأس الدقيق تأتلف جماعة من القوى الصاخبة، ولكنها لا تلبس قفاز الملاكمة إلا حين يكون ملقياً همه في زمرة من الورق الأبيض، يجري عليها بقلمه، فإذا السطور السوداء رسالات من دخائل الحياة)^(١).

من المجلات التي كتب فيها:

من المجلات التي كان يكتب فيها في العشرينيات - وهو لما يتخرج من الكلية - مجلات البلاغ، والجهد، والبلاغ الأسبوعي، والوادي، والحياة الجديدة، والأهرام، والمقتطف وغيرها.

وفي الثلاثينيات بقي يكتب في هذه المجلات، وأضاف إليها المجلات التي صدرت في هذا الوقت مثل: كوكب الشرق، وروز اليوسف، وأبوللو، والأمم، والأسبوع، والرسالة، والثقافة، ودار العلوم.

وفي الأربعينيات استمر يكتب في المجلات التي بقيت منها، مثل: الرسالة، والثقافة، ودار العلوم، وأضاف إليها المجلات التي صدرت في هذه الفترة مثل: الكاتب المصري، والكاتب، والسوادي، كما أشرف في هذه الفترة على مجلتي (الفكر الجديد) و(العالم العربي).

(١) الأسبوع - المجلد الثالث - عدد ٣٥ تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥، صفحة ٨.



وفي الخمسينيات وبعد عودته من أمريكا، بقي يكتب في مجلات: الرسالة، والثقافة، والكتاب، وأضاف إليها المجلات التي ظهرت في هذه الفترة مثل: (اللواء الجديد) و(الاشتراكية) و(الدعوة) و(المسلمون). كما أشرف على مجلة (الإخوان المسلمون).

كانت كتاباته متنوعة، إما قصيدة شعرية غنائية، أو مقالة أدبية، أو نقداً لكتاب، أو تسجيلاً لمحاضرة ألقاها، أو نظرة في الأدب والحياة، أو تعليقاً على حوادث سياسية، أو نقداً لمظاهر اجتماعية، أو مقالة قصصية، أو نقداً للفنون والأغاني، أو تعليقاً على محاضرة أو كلمة لأديب، أو هجوماً على مظاهر شائنة في السياسة أو المجتمع، أو تهكماً بالاستعمار وأدواته في البلاد، أو معركة أدبية، أو إصلاحاً أخلاقياً، أو دراسة فكرية، أو دعوة لثورة أو تغيير.

وعلى العموم ما ترك سيد قطب رحمته الله مجالاً من مجالات الكتابة - على كثرتها - إلا خاض فيها، وكان فيها ابن بَجْدَتِها، وفارسها البارز، وعندما تقرأها تقول: كأنه لا يحسن إلا القول في هذا المجال. ثم تفاجأ به مبرزاً في مجال آخر. وهكذا، بإلقاء نظرة فاحصة على المجالات المتنوعة التي خاض فيها على صفحات المجلات العديدة يتبين صدق هذا الكلام.

كما أن الملاحظ أن سيد قطب كان يخصص كل مجلة بمقال يناسب تخصصها، سواء كان سياسياً أو إصلاحياً أو أدبياً أو نقدياً أو شعرياً أو دينياً.

وهذه المقالات الأدبية العديدة أثارت إعجاب الأدباء والمطلعين والمراقبين. ففي عام ١٩٣٤م، وبعد ثلاثة عشر عاماً من مسيرته الأدبية،



كتب أحد هؤلاء وهو علي أحمد عامر مقالة في (الأسبوع) أشاد فيها بجهود سيد وبنبوغه وهمته^(١). كما سجل إعجابه بنتاجه المتعدد في هذا الوقت القصير وفي ذلك يقول: (ولو أننا تناولنا نتاجه في ضوء عمره، لدعونا الزملاء جميعهم إلى اكتتاب عام، يطيب لكاتب هذا الفصل أن يساهم فيه برأسه! حتى نقيم له تمثالاً في حجم صورته ونُتَوَّجَه بهذه الشهادة:

نشهد نحن الموقعين على هذا أن زميلنا سيد قطب من أولئك الذين أربت أقدارهم على أعمارهم، ولكننا في مصر. مصر المحروسة بلد العقوق)^(٢).

وإذا كان نتاج سيد قطب الوفير في فترة زمنية قصيرة من بداية حياته، قد نال إعجاب الأدباء والباحثين، حتى قَدَّمَ أحدهم هذه الشهادة، فكيف بسيد قطب وقد ملأ سمع العربية وبصرها في الأربعينيات والخمسينيات، وقد استقر به المطاف في طليعة أدباء العربية وقادة النقد الأدبي، ثم بدأ مسيرته الإسلامية، حتى انتهى إلى أن أصبح عملاق الفكر الإسلامي الحركي، كيف تكون الشهادة إذن؟ وكيف يكون التقدير؟ ولكن هذا العلامة النابغة نال من الإهمال والإساءة والعقوق ما لم ينله أديب أو مفكر، في القديم ولا في الحديث، حيث أزهدت روحه، لأنها أَبَتْ الخنوع والخضوع، وعومل معاملة أقسى من معاملة المجرمين! ولا عجب (فنحن في مصر المحروسة. بلد العقوق)!

(١) انظر صفحة ١٤٨ من هذا الكتاب.

(٢) الأسبوع - المجلد الثالث - عدد ٣٥ تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥، صفحة ٨.

لم يكن متفرغاً للكتابة في المجلات:

لقد تمتع سيد قطب بهمة فائقة، وطاقة عجيبة، ونفس قوية، وأفكار دانية، وأسلوب محكم، وصبر دائم، وقلم مطاوع لا يستعصي، ولولا هذه الميزات لما استطاع أن يقدم هذا النتاج الوافر الغزير. فها هو في بداية حياته الأدبية يتمكن من التوفيق بين الدراسة بمطالباتها الكثيرة، ومناقشاته وندواته الأدبية مع الآخرين، وكتابة مقالاته، وإرسالها إلى الصحف، ونظم أشعاره، وتنمية ثقافته واطلاعاته، واستمتاعه بخيالاته وأحلامه ورؤاه، ووفائه بواجباته الأسرية والاجتماعية!

وهو في الثلاثينيات يجمع بين وظيفته كمدرس - وهي تأخذ من وقته الكثير - ووظيفته في مجلة البلاغ - وتأخذ كذلك من وقته الكثير - ويكتب مقالات مطولة في مجلات أسبوعية منتظمة، في البلاغ والأسبوع وكوكب الشرق والرسالة، بانتظام.

وفي الأربعينيات يكتب مقالات أسبوعية منتظمة في: الرسالة والثقافة، ومقالات في مجلات شهرية مثل: الكاتب المصري والكتاب ودار العلوم والمقتطف، ويشرف على مجلة العالم العربي أو الفكر الجديد، ويطلع على كل مؤلف جديد في السوق، أو يتابع أفكار أديب بقراءة كتبه ومقالاته في الدوريات، أو يخلو إلى نفسه لينظم قصيدة، أو يعد بحثاً من بحوثه الأدبية أو الفكرية. بالإضافة إلى عمله في وزارة المعارف.

وفي الخمسينيات كان يكتب في مجلات الدعوة والاشتراكية واللواء الجديد، مقالات ثورية بالإضافة، إلى مقالاته الشهرية في



الكتاب والمسلمون. أو يقوم بواجباته العملية مع جماعة الإخوان المسلمين، أو يستعير الكتب والمراجع لتنمية ثقافته! ويقدر على النهوض بكل هذه الواجبات! حقاً إن هذا لعجيب، ولكن:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجساد وتعتبر مقالاته المختلفة في المجلات سجلاً أميناً لحياته الأدبية والفكرية، وبالاطلاع عليها نتعرف على مراحل حياته، ونذكر تطور اهتماماته أولاً، وتطور أسلوبه وأفكاره ونظراته ثانياً، كما نتعرف على شخصيته، ونتلمس ملامحها في مختلف المراحل.

وإنها لخدمة عظيمة للأدب والفكر، ولتراث هذا العلامة الجليل، واعترافاً بفضلله وأستاذيته، أن يقوم أحد الباحثين بتتبع مقالاته تلك، في مختلف المجلات التي كانت تصدر ما بين ١٩٢٠ و ١٩٥٤، وتصنيفها وترتيبها حسب تاريخ صدورها، فإنه سيخرج بنتائج جديدة للأدباء والمفكرين. وستعينه على دراسة شخصية سيد قطب دراسة وافية من كافة النواحي.

مقالاته في مجلة الرسالة نموذجاً:

وبعد تتبعي لمقالاته في مجلة (الرسالة)، من حين صدورها عام ١٩٣٤ إلى توقفها عن الصدور عام ١٩٥٢م، وتصنيفها حسب موضوعاتها، وجدتها كما يلي:

من سنة ١٩٣٣م - ١٩٣٧م قصائد شعرية وبعض المقالات الاجتماعية.

في سنة ١٩٣٨م في الأعداد ٢٥١ - ٢٨٢ معركة الأدبية الشهيرة ضد الرافعي نصيراً للعقاد.

من سنة ١٩٤٠م - ١٩٤١م تركزت على نقد الأغاني والألحان، وتخللها بعض القصائد والمقالات الاجتماعية.

وفي سنة ١٩٤٣م معركته الأدبية ضد الدكتور محمد مندور حول الأدب المهموس، والأدب الخطابي.

في سنة ١٩٤٤م مقالات نقدية، وبيان لمذاهب فنية كمذهب العقاد والحكيم، كما تخللها مناقشات بينه وبين دريني خشبة وزكريا إبراهيم.

وفي نهاية عام ١٩٤٤م وبداية عام ١٩٤٥م مقالات نقدية لكتب وقصص ودواوين، ومعركة أدبية ضد صلاح ذهني حول القصة وقصص محمود تيمور.

في النصف الأول من عام ١٩٤٥م معركة أدبية ضد عبد المنعم خلاف حول كتابه (التصوير الفني في القرآن).

من عام ١٩٤٥م - ١٩٤٧م اهتمام بالقضايا الوطنية والأحداث السياسية والمشكلات الاجتماعية، وتركيز عليها مع بعض المقالات النقدية.

في الفترة ما بين ١٩٤٨م - ١٩٥١م انقطاع عن الكتابة قبل ذهابه إلى أمريكا بسنة وطيلة وجوده هناك.

من عام ١٩٥١م - ١٩٥٢م بعد عودته من أمريكا أصبح كاتب الرسالة الأول، يكتب المقال الأول فيها، ويهتم بالقضايا والأحداث السياسية والأمراض الاجتماعية، ويعالجها من وجهة نظر إسلامية، وبيان لأفكار إسلامية مع بعض المقالات الأدبية.



سبع معارك أدبية خاضها بإعجاب:

وخاض سيد قطب على صفحات المجلات معارك أدبية حامية، بشجاعة بالغة، وأثبت قدراته الأدبية والنقدية الفائقة، ومن هذه المعارك التي تمكنت من الاطلاع عليها:

- ١ - معركته ضد جماعة أبوللو، التي خاضها عام ١٩٣٤م على صفحات مجلة الأسبوع، بحجة قوية وأسلوب محكم، حتى إن بعض الأدباء شك في أنها من نتاج سيد قطب نفسه، فعزاها إلى أستاذه العقاد، وزعم أنه أثر أن يوقعها باسم تلميذه^(١).
- ٢ - معركته ضد الرافعيين عام ١٩٣٨م والتي أخذت وقتاً طويلاً، وسودت صفحات كثيرة من مجلة الرسالة، وكان فيها وحده، ضد جماعة من كبار الأدباء، مما جعل الأنظار تتجه إليه مشدوهاً^(٢).
- ٣ - معركته ضد الدكتور محمد مندور، حول الأدب المهموس والأدب الخطابي على صفحات الرسالة عام ١٩٤٣م^(٣).
- ٤ - معركته ضد الدكتور طه حسين التي خاضها على صفحات مجلة (العالم العربي) التي كان يشرف عليها حول (الأدباء الشيوخ والأدباء الشبان) حيث وجه سيد إليهم اتهامات عنيفة صارخة، ورد عليه طه حسين في مجلة (الهلال) عام ١٩٤٧م^(٤).

(١) انظر الأسبوع أعداد: ٣١ - ٣٦ من السنة الأولى عام ١٩٣٤م.

(٢) انظر الرسالة أعداد: ٢٥١ - ٢٨٢ من السنة السادسة عام ١٩٣٨م.

(٣) انظر الرسالة أعداد: ٥٢٠ - ٥٢٦ من السنة الحادية عشرة عام ١٩٤٣م.

(٤) انظر العالم العربي عدد ٥ من السنة الأولى عام ١٩٤٧م وفق ١٣٦٦هـ.

- ٥ - معركته ضد صلاح ذهني في (الرسالة) حول الأساليب الفنية في كتابة القصة، وقصص محمود تيمور عام ١٩٤٤م^(١).
- ٦ - معركته ضد عبد المنعم خلاف في (الرسالة) حول كتابه (التصوير الفني في القرآن) عام ١٩٤٥م^(٢).
- ٧ - معركته ضد إسماعيل مظهر وعبد الله القصيمي عند ظهور كتاب الأخير (هذه هي الأغلال) عام ١٩٤٧م^(٣).
- مناقشات خفيفة بين الحين والآخر، بينه وبين بعض الأدباء مثل: زكريا إبراهيم، وعباس خضر، وأحمد فؤاد الأهواني وغيرهم^(٤).
- هذا عدا المعارك الأدبية الأخرى التي لم أتمكن من الاطلاع عليها!!

سيد قطب ومجلة «العالم العربي»

واتفق سيد قطب مع يوسف شحاته - وهو رجل نصراني - على أن يمول هذا الأخير مجلة باسم (العالم العربي) وأن يتولى هو الإشراف عليها، وقد رسم سيد في الصفحة الأولى من العدد الأول برنامجها ومنهجها وغايتها وخطة سيرها^(٥)، وراح ينشر فيها التحليلات السياسية، حيث حدثنا علال الفاسي عن أحدها قائلاً: (ولقد عرفته آخر هذه

(١) انظر الرسالة أعداد: ٥٨٥ - ٥٩٤ من السنة الثانية عشرة عام ١٩٤٤م.

(٢) انظر الرسالة أعداد: ٦١٦ - ٦٥٠ من السنة الثالثة عشرة عام ١٩٤٥م.

(٣) انظر الرسالة أعداد: ٧٠٠ - ٧٠٢ من السنة الرابعة عشرة عام ١٩٤٦م.

(٤) انظر الرسالة أعداد: ٥٠٩ - ٥١١ الحادية عشرة عام ١٩٤٣م، و٧٠٣-٧٠٤ من السنة

الرابعة عشرة عام ١٩٤٦م.

(٥) انظر بيانه لمنهج المجلة فيها: العدد الأول - ٨ جمادى الأولى ١٣٦٦ ص ١.



المرحلة، حينما كان يشرف على مجلة العالم العربي، وقد أخذ مني أحاديث عن القضية المغربية عني بنشرها والتعليق عليها، ثم كتبت بطلب منه بحثاً عن السياسة الأمريكية إزاء العرب نشر في هذه المجلة، وكان له أثر كبير في الأوساط الأجنبية، إذ ترجمه عدد كبير من المعلقين الإنجليز والأمريكان^(١).

لم يستمر سيد في عمله في هذه المجلة، إذ تنحى عنها بعد صدور العدد الرابع منها، لأسباب لا نعرفها، حيث نشر رئيس تحريرها الجديد محمد العزب موسى في مفتح العدد الخامس كلمة تحت عنوان (إيضاح لا افتضاح) قال فيها: «كان يضطلع بأعباء رئاسة التحرير لهذه المجلة الأستاذ سيد قطب، يعاونه نخبة من الكاتبين، وصفوة من كرام الباحثين، وعلى يديه ولدت هذه المجلة، وقطعت من العمر أربعة أشهر، ممثلة في أربعة أعداد، وجَدْتُ أمور بعد ذلك، أوجبت أن يستقيل الأستاذ، أو يتنحى عن المضي في الإشراف على غرس يده، وموالاته الرعاية لهذا النبت، ولم يتم نماءه بعد»^(٢).

سيد قطب ومجلة «الفكر الجديد»:

ثم اتفق سيد قطب بعد ذلك مع الحاج محمد حلمي المنيأوي - صاحب دار الكتاب العربي وهو من جماعة الإخوان المسلمين - على أن يمول مجلة باسم (الفكر الجديد)، ويكون سيد قطب هو المشرف عليها. «وكان ذا ميول اسمها يومذاك بالاشتراكية» «وكان خط سير المجلة الهجوم على الإقطاع وهو في عنفوانه، وتبكي

(١) الشهيد سيد قطب لطائفة من الكتاب: ١٤.

(٢) العالم العربي - العدد الخامس - ٢٣ رمضان ١٣٦٦ - صفحة ٤.

(الباشوات)، وهم في أوج المجد والسلطة، وتحدي الرأسمالية وهي التي تحكم مصر يومذاك»^(١).

غضب عليه الملك فاروق، على أثر إصداره المجلة وضاق ذرعاً به، وطالب باعتقاله، بل قيل إنه (دس إليه من يطلق عليه النار، ولكن أخطأه الرصاص!! ونجا من محاولة الاغتيال)، ولكن رئيس الوزراء وكانت له بسيد قطب صلة عندما كان سيد في حزب الوفد، أوحى إليه أن يسافر إلى أمريكا، وأغلقت المجلة بعد صدور اثني عشر عدداً منها.

مقالاته الثورية قبيل الثورة:

ولما عاد من أمريكا، صار يكتب في ثلاث مجلات - بالإضافة إلى المجلات الأخرى - وكانت مقالاته فيها عنيفة وثورية، وهي مجلات: (الدعوة) التي يصدرها الإخوان المسلمون، و(الاشتراكية) التي يصدرها أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكي، و(اللواء الجديد) التي يصدرها فتحي رضوان أحد شباب الحزب الوطني، وكان أعنفها وأشدّها مقالاً في (الاشتراكية)، وأخفها الذي في (الدعوة)^(٢)، وكثيراً ما كانت الرقابة تمنع صدور المجلة بسبب مقالته، أو تصدر وهي خالية بعد حذفه^(٣)، وكان يحقق معه ثلاث مرات في الأسبوع، على مقالاته في المجلات الثلاث، وقد حاز سيد في هذه الفترة - بسبب مواقفه ومقالاته - إعجاب الجميع، واعتبر من الممهدين للثورة التي قامت بعد ذلك.

(١) مقالة الأستاذ يوسف العظم في (الشهيد سيد قطب) ٢٦.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٣) انظر على سبيل المثال الدعوة عدد ٤٨ تاريخ ١٥ يناير ١٩٥١م صفحة ٣ وعدد ٥٠ تاريخ

٢٩ يناير ١٩٥١م صفحة ٣.



وبعد قيام الثورة، وقبيل محنة الإخوان المسلمين، أسند إليه مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، الإشراف على مجلة الإخوان المسلمين، وقام بعمله بجدارة، إلا أنها لم تعمر طويلاً، إذ صدر منها اثنا عشر عدداً ثم وقعت المحنة^(١).

دعوة إلى جمع مقالاته ونشرها:

لقد قدم سيد قطب في المجلات المتعددة التي فتحت صفحاتها له نتاجاً وافراً غزيراً، متعدد الجوانب، منه الأدبي والنقدي، والشعري والفلسفي، والاجتماعي والسياسي، والإصلاحي والإسلامي، وغير ذلك، ولو جُمع هذا النتاج، وصُنِّف تصنيفاً بليوجغرافياً - حسب الموضوعات - لكان مساوياً في حجمه كتبه الأدبية المطبوعة!! وإن في جمعه ونشره - رغم ما به من آراء تخلى عنها صاحبها في أخريات أيامه - لخدمة عظيمة للأدب والثقافة، وللأدباء والعلماء، وكشفاً لكثير من مواهب هذا العلامة الجليل، وإضافة جديدة إلى المكتبة الأدبية والثقافية والسياسية من تراث هذا النابغة، وإظهاراً لصفحات منسية مجهولة من سجله الثقافي، لم يطلع عليها كثير من الباحثين.

* * *

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

المبحث السادس المرأة في حياته

فتاته الأولى في القرية:

المرأة الأولى: عندما كان في قريته، وقبل أن يغادرها إلى القاهرة، كانت فتاته تربطها به صلة مصاهرة بعيدة، حيث كانت ابنة عم زوجة عمه، وقد أعجبت برجولته وشجاعته ونخوته، عندما كان يقف مدافعاً عن الفتيات، حينما يعتدي عليهن أحد طلاب المدرسة، بالكلمة أو الإشارة، وكانت تزوره في البيت، مع صويحباتها الطالبات، بحجة اللعب مع شقيقته الصغيرة، ووقعت محبتها في قلبه، كما أحس أنها هي الأخرى تُبادل نفس الشعور.

حدثنا سيد عن أوصافها، وما حببها إليه قائلاً: «كانت خمرية اللون، ذات طابع خاص، غير مكرر في الوجوه... ولم تكن حسب مقاييس القرية جميلة، فليست بيضاء البشرة، وليس أنفها دقيقاً بالقدر المطلوب، وليس فمها كذلك (خاتم سليمان).... ولكنها هي وحدها من بين بنات المدرسة - بل من بين بنات القرية جميعاً - كانت تبدو في نظره جميلة، وكان سر جمالها أنها ذات طابع خاص! وإن لم يكن يدرك في ذلك الحين معنى الطابع الخاص»^(١).

وبعد غيبة ثلاثة أعوام في القاهرة، كان أول ما قام به في القرية عند وصوله إليها هو: (السؤال عن مصير الطفلة التي فتنه أول مرة، وعلم أنها تزوجت، وأنها تزوجت في جهة نائية عن القرية، ورأى نفسه في حاجة لأن ينسحب من الجمع، ورأى عينيه تتغرغان بالدموع)!

(١) طفل من القرية: ٥٥.

فتاته الثانية قاهرية:

المرة الثانية: عندما شب وتخرج في الكلية، وعمل في وزارة المعارف، وفي أواخر الثلاثينيات، كانت فتاته بنتاً قاهرية، ملامحها تكاد تشبه بنت قريته، فهي «لم تكن ممن يحسبهن العرف جميلات، كان تكوينها الجسدي - إذا استثنينا صدرها الفاتن - ليس ممتازاً، ولكن كانت هناك في وجهها جاذبية ساحرة، كانت خميرة اللون، واضحة الجبين، وفي عينيها وهج غريب، تطل منه إشراقة مسحورة»^(١).

وبعد أن أحب سيد فتاته، وبادلته هي حباً بحب، تقدم لخطبتها من أهلها، وقد بنى في أحلامه عش الزوجية، وكانت تصغره بعشرة أعوام^(٢).

لماذا فسخ خطبتها؟:

ولكن في ليلة الخطبة، وعندما تناول يدها ليلبسها خاتم الخطوبة: «أحس بيدها ترتعش ملتصقة في يده، ونظر فإذا دمعة تبتدئ من عينيها»^(٣) وأحس بأن أحلامه قد تلاشت، إذ طلع عليها نهار الواقع المر المؤلم. وبعد إلحاحه في سؤاله عن سر دمعتها، اعترفت له بأنها قبل أن تتعرف به كانت تعيش قصة حب مع ابن جيرانها الضابط في الجيش.

بعد معرفة هذه الحقيقة تعذب سيد قطب وفتاته عذاباً مضنياً، لا هو يقدر على أن يتزوجها، لأنها لم تعد «عذراء القلب»، وهو يتطلب (في فتاة أحلامه مفارقات لا تجود بها الحياة، يتطلب الحورية القاهرية المغمضة العينين، يتطلب الفتاة العذراء القلب والجسد في زي

(١) أشواك: ٤١.

(٢) المرجع السابق: ١٠.

(٣) المرجع السابق: ٧.

قاهري^(١). ولا هو قادر على فراقها لأن محبتها نُقشت على سويداء قلبه، وظللت سماء حياته.

وعاشا سنوات في هذه الحيرة، وهذا العذاب، وسارا طويلاً في الأشواك، وكانت تجري فصول مأساتهما في أيام الحرب العالمية الثانية^(٢). واتخذ سيد قطب من حرمانه وعذابه مادة لقصائده الشجية، التي راح ينشرها على صفحات المجلات.

قصيدة «الكأس المسمومة» فيها:

ومن أروع قصائده التي قالها فيها في هذه المرحلة، قصيدة (الكأس

المسمومة) التي قال فيها:

أَقْلَاكِ أَقْلَاكِ كَالشَّيْطَانِ أَقْلَاكِ
أَقْلَاكِ إِنَّكَ فِي نَفْسِي وَفِي زَمْنِي
سَمَمْتُ عَيْشِي وَأَحْلَامِي وَأَخِيلَتِي
وَعَشْتُ أَرْعَاكِ فِي قَلْبِي وَأَنْتِ بِلَا
مَنْ أَنْتِ؟ مَا أَنْتِ؟ إِنْني حَائِزٌ قَلْبُكَ
أَنْسَى اللَّيَالِي الَّتِي قَضَيْتُهَا قَلْبًا
أَنْسَى الدَّمُوعَ الَّتِي أَرْسَلْتُهَا غَدِقًا
وَكِبْرِيَاءِي الَّتِي مَا كُنْتُ أَخْفِضُهَا
أَنْسَى وَأَذْكُرُ أَحْلَامِي وَأَخِيلَتِي
وَكُلُّهُمْ نَسِيجُ الْوَهْمِ فِي خَلْدِي
أَقْلَاكِ؟ لَيْتَ! فَإِنِّي لَسْتُ أَقْلَاكِ

أَقْلَاكِ كَالشَّمِّ يَسْرِي جَدَّ فَتَاكِ
وَفِي حَيَاتِي أَفْعَى ذَاتَ أَشْوَاكِ
وَأَنْتِ شَيْطَانَةٌ فِي سَمْتِ أَمْلَاكِ
قَلْبٍ يَحْسُ وَيَرْعَى كَيْفَ أَرْعَاكِ
أَأَنْتِ أَسْطُورَةٌ فِي كَفِّ أَفَاكِ
وَأَنْتِ سَاكِنَةٌ رَاضٍ مُحْيَاكِ
وَلَسْتُ لَوْلَا هَوَاكِ الْمُرُّ بِالْبَاكِ
مِنْ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ فِي دُنْيَاكِ لَوْلَاكِ
كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ بَيْنَ أَحْلَاكِ
وَلَسْنَ غَيْرَ أَحَابِيلٍ وَأَشْوَاكِ
أَهْوَاكِ؟ لَيْتَ! فَإِنِّي لَسْتُ أَهْوَاكِ

(١) المرجع السابق: ٧٠.

(٢) المرجع السابق: ٧٤.



أَهْوَى وَأَقْلَى وَأَيَّامِي مُوزَعَةً بَيْنَ الْهَوَى وَالْقَلَى كَالضَّاحِكِ الْبَاكِي
 هَذَا الرَّحِيقُ وَهَذَا السُّمُّ قَدْ مُزِجَا... وَلَسْتُ أَرُوى بِكَأْسٍ غَيْرَ رِيَاكِ
 هَاتِي لِي السُّمَّ صَرْفًا لَا يُمَارِجُهُ هَذَا الرَّحِيقُ فَإِنِّي لَسْتُ بِالْبَاكِي
 مَلَلْتُ كَأْسَكَ لَا أَلْتَدُّ نَشْوَتَهَا وَلَا أُحْطِمُهَا تَحْطِيمَ سَفَاكِ^(١)

وبعد معاناة شديدة، قرّر فسّخ الخطوبة، علّه يسلو، ولكن لم يزد البعد إلّا شوقاً، ولم يزد الحرمان إلّا حنيناً، وكان يحاول أن يعود إليها، ولكن «كانت كبرياؤه تأبى عليه أن يعود، وكانت مرارة الذكرى تطغى على حلاوتها في معظم الأحيان، وكانت تجربته تذّكره دائماً بالآلام، ولكن هذه التجربة وتلك الكبرياء لم تكن واحدة منهما بمستطاعة أن تصرف طيفها عنه، أو تمحو صورتها من نفسه»^(٢) وبعد فترة ظن أنه نسيها: (وأحس فيها حقيقة بأن عالمه قد خلا من تلك الأسطورة اللعينة، ولكنه لم يسترح لهذا الإحساس، لقد شعر بالفراغ والجفاف، وانتابه ما ينتاب المؤمن بعد الإلحاد، وما يصيب الصوفي بعد الضلال..)^(٣).

وقال في هذه الفترة عدة قصائد، منها «تطهير الصنم» و«عبادة جديدة» و«حب الشكور» و«نهاية المطاف».

قصيدة «نهاية المطاف» في فراقها:

ونختار فيما يلي مقاطع من قصيدته (نهاية المطاف) التي يقول فيها:

(١) الرسالة - السنة الحادية عشرة - المجلد الثاني - عدد ٥٢٩ تاريخ ٢٣ أغسطس ١٩٤٣م
 صفحة ٦٦٩.

(٢) أسواق: ١١١.

(٣) المرجع السابق: ١١٢.

قد مضى الحُلُمُ فَحَقَّقْ فِي الْعَيَانِ
وَتَهَاوَيْلُ الرَّؤْيِ يَا وَيْحَهَا
نَمْ قَرِيرَ الْعَيْنِ إِنْ كُنْتَ تَنَامُ
يَأْمَنُ الدُّنْيَا وَيَخْلُو لِلْكَرَى
قَدْ خَلَا الْهَيْكُلُ مِنْ وَحْيِ الصَّنَمِ
أَتُطِيقُ الْآنَ تَحِيًّا مُلْجِداً
ضِيقَتْ بِالْخَوْفِ وَدُنْيَا الْاضْطِرَابِ
أَيُّهَا الْمُنْكَوبُ فِي أَحْلَى الْمُنَى
إِلَى أَنْ يَقُولَ:

أَيْنَ أَخْلَامُكَ بِالْعِشِّ الْجَمِيلِ
قَدْ مَضَى الْحُلُمُ وَوَلَّى مَوْهِنَا
تَمْ يَا مَنْكَوْدُ مَا كُنْتَ تَرُومُ
نَمْ قَرِيرَ الْعَيْنِ وَاهْنَأُ بِالْكَرَى
أَيْنَ آمَالُكَ بِالظِّلِّ الظَّلِيلِ
فَارْكَنِ الْآنَ إِلَى الصَّخْرِ الطَّوِيلِ
وَمَشَى السَّلْوَانُ فِي الْحَبِّ الْقَدِيمِ
الْكَرَى الْمَيِّتُ فِي الْقَلْبِ الْعَقِيمِ^(١)

وبعد مضي ما يزيد على عام من فسخ الخطوبة، قرّر سيد إرجاعها، والاقتران بها، لأنه لم يطق صبراً على فراقها، وذهب إلى بيتها، لكنها لم توافق على رأيه، وعللت معارضتها بقولها: «أنت رجل شاعر، فلتمض إلى عملك الأدبي كفنان! قال - وقد حسب أنها تتجمل، ولا تنوي ما تقول «لا يا سيدتي، إن كان الشعر لا ينضجه إلا الحرمان فأنا سأطلق هذا الشعر من الآن»^(٢)!

(١) الرسالة - السنة الثالثة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٦٣١ تاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٥ م

صفحة ٨٤٩.

(٢) أشواك: ١٢٣.

وبعد أن انتهت علاقتهما بالفراق، راح سيد يسأل نفسه «تراه أخطأ الطريق، فطلب الحورية العذراء في بنت من بنات القاهرة، أم تراه أخطأ الطريق من أوله، فطلب حياة زوجية لا تصلح له بحال»^(١)؟

قصة «أشواك» لعلاقته بها:

وقد أَلَفَ قصته الرومانسية «أشواك»، وفيها تسجيل لقصتهما، وقدمها هدية لها، وقال في الإهداء: (إلى التي خاضت معي في الأشواك، فدَمِيتُ ودميتُ، وشَقِيتُ وشَقِيتُ، ثم سارتُ في طريق، وسرتُ في طريق: جريحين بعد المعركة، لا نفسُها إلى قرار، ولا نفسي إلى استقرار...) ^(٢).

وقد تزوجت هي من بعده! أما هو فقد قام بعدها بأكثر من محاولة للخطبة فالزواج، ولكنه لم يوفق في جميعها إلى ما يريد^(٣)! ثم أُدْخِلَ السجن ولقي ربه شهيداً.

* * *

(١) المرجع السابق: ٧٠.

(٢) المرجع السابق: ٥.

(٣) كما أخبرني الأستاذ محمد قطب.

المبحث السابع

سيد قطب في أمريكا

كان إيفاده إلى أمريكا عملية سياسية للتخلص منه أولاً! ثم للحيلولة دون اعتقاله كما طلب الملك فاروق! وذلك أن الحرب العالمية الثانية، وما أحدثته من مآس بين أفراد الشعب المصري، وشروخ في بنيان المجتمع، جعلت سيد قطب يميل في مقالاته نحو معالجة هذه المشكلات، وصار يغلب على تلك المقالات الطابع السياسي والاجتماعي والانتقادي، وقد تمتع سيد بأسلوب حاد عنيف في هجومه وانتقاده، وكانت المجلة الجديدة التي اتخذها ميداناً رئيساً له - بالإضافة إلى مجلاته السابقة - هي مجلة (الفكر الجديد) التي مؤلها المنياوي، وترك لسيد الحرية الكاملة في كتابة ما يريد!

ضاق الملك فاروق ذرعاً به، وأوعز إلى رئيس الوزراء باعتقاله، ولكن رئيس الوزراء كان يحب سيد قطب يوم كان معه في حزب الوفد، فأوحي إليه أن يخرج من البلاد، وطلب من الدكتور عبد الرزاق السنهوري وزير المعارف أن يهيء له وسيلة الخروج، ولكن سيد قطب ساءه هذا، ولم يوافق على السفر، واستغرب كيف يضيق به وطنه، ويحال بينه وبين محاولات إصلاحه، حينئذ مُنِعَ من الكتابة في الصحف، وأغلقت الحكومة مجلة (الفكر الجديد)، وأمام هذا التضيق لم يجد سيد بُدأ من السفر.

طبيعة بعثته إلى أمريكا:

وبما أنه كان يعمل في وزارة المعارف، في مديرية التفتيش الفني، لذلك هيئت له مهمة تتناسب مع عمله، فتم إيفاده في بعثة (لدراسة



المناهج التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية) كما قال هو^(١)، ولم تكن بعثة دراسية للحصول على الماجستير، كما ظن بعض من كتبوا عنه، وإنما كانت بعثة عملية، يقوم فيها بزيارة مختلف الجامعات والمعاهد العلمية هناك، حيث يطلع على مناهجها الفنية في التربية والتعليم، ليطبقها على وزارة المعارف عند عودته، كما لم تكن بعثته محددة بزمان معين، وإنما كانت مدتها مفتوحة، تنتهي بانتهاء دراساته الميدانية، فقد كان أمر إنهاؤها بيده هو، يعود متى شاء^(٢).

وكانوا يهدفون - بالإضافة إلى إبعاده عن القاهرة - إلى تغيير أفكاره، وتثقيفه بالثقافة الأمريكية، وتجنيدَه لخدمة أمريكا، عندما يعود إلى مصر، حيث كانت أمريكا تخطط لمصر، وتعد أناساً من قادة الفكر والرأي من المصريين ليكونوا أداة لها في التنفيذ، ولذلك وضعوا لسيد برنامجاً مدروساً لإفساده أخلاقياً وفكرياً ونفسياً، ليعود أداة طيعة في أيديهم، كغالبية المبتعثين إليهم، ولكن خاب مسعاهم في هذه المرة، لأن الله رسم له منهجاً آخر، ونقل خطاه فيه! ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

قراره أن يكون صاحب رسالة وهو على الباخرة:

غادر سيد قطب مصر إلى أمريكا في أواخر عام ١٩٤٨م^(٣)، على ظهر باخرة عبرت به إلى البحر والمحيط، وهناك على ظهر الباخرة أومض في

(١) أثبت هذا مصطفى العالم، نقلاً عن سيد قطب في (الشهاب)، السنة السادسة، العدد التاسع، أيلول ١٩٧٢م صفحة ٨.

(٢) أفادني بهذه المعلومات الأستاذ محمد قطب.

(٣) حتى نهاية أغسطس ٤٨ كان في القاهرة، إذ تدخل في النصف الثاني من هذا الشهر لإخراج عباس خضر من السجن. انظر الرسالة - السنة السادسة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٧٩٠ تاريخ ٢٣ أغسطس ١٩٤٨م صفحة ٩٦٥.

قلبه نورٌ أضاء جوانحه قال عنه: (أخذتني نشوة، ألقت بي في شعاع من نور، اطمأن له قلبي، واستراحت له نفسي، واطمأننتُ إليه أيما اطمئنان).

وبعد إغفاءة قصيرة راح يخاطب نفسه: «أأذهب إلى أمريكا وأسير فيها سير المبتعثين العاديين، الذين يكتفون بالأكل والنوم، أم لا بد من التميز بسمات معينة؟! وهل غير الإسلام والتمسك بآدابه والالتزام بمنهاجه في الحياة، وسط هذا المجمعان المترف، المزود بكل وسائل الشهوة واللذة والحرام؟! وأردت أن أكون الرجل الثاني وأراد الله أن يمتحنني: هل أنا صادق فيما اتجهت إليه أم هو مجرد خاطرة؟.

محاولات أمريكا لإسقاطه وإغوائه:

كان ابتلاء الله له، بعد دقائق من اختياره طريق الإسلام! إذ ما إن دخل غرفته (حتى كان الباب يُفْرَع، وفتحتُ، فإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة، فارعة الطول، شبه عارية، يبدو من مفاتن جسمها كل ما يغري، وبدأتني بالإنجليزية: هل يسمح لي سيدي بأن أكون ضيفة عليه هذه الليلة؟ فاعتذرتُ بأن الغرفة معدة لسرير واحد، وكذا السرير لشخص واحد. فقالت: وكثيراً ما يتسع السرير الواحد لاثنتين! واضررتُ أمام وقاحتها، ومحاولة الدخول عنوة لأن أدفع الباب في وجهها، لتصبح خارج الغرفة، وسمعت ارتطامها بالأرض الخشبية في الممر، فقد كانت مخمورة).

بعد نجاحه في الابتلاء الأول قال: (الحمدُ لله، هذا أول ابتلاء وشعرتُ باعتزاز ونشوة! إذ انتصرتُ على نفسي، وبدأتُ تسير في الطريق الذي رسمته لها)^(١).

(١) الشهاب - العدد التاسع - السنة السادسة - أيلول ١٩٧٢م ص ٨.

هذه الفتاة كانت الوسيلة الأولى في الخطة الأمريكية لاحتوائه. ولكن الله علم منه صدق الاختيار، اختيار جانبه، فوفقه لهذا الانتصار.

واصل سيد مسيرته الجديدة، فراح يقيم الصلاة على ظهر الباخرة، ويدعو المسلمين من ركابها لأداء صلاة الجمعة، وقام هو بأداء الخطبة وإمامة المصلين^(١)، وعندما وصل إلى أمريكا كان مثال المؤمن المتمسك بإسلامه.

لم تنقطع المحاولات الأمريكية لإغرائه وإغوائه، أشار سيد إلى بعض منها: مثل تلك الفتاة التي قامت بجهد كبير لغوايته، ولاحقته من جامعة إلى أخرى ومن مدينة إلى أخرى^(٢)، وتلك الفتاة التي ناقشته في معهد المعلمين في مدينة جريلي في كولورادو، في مسائل جنسية مكشوفة! وعامل الفندق الذي عرض عليه تلبية ما يريد من نزوات جنسية طبيعية أو شاذة، وأثاره بالحديث المكشوف عن عينات منها^(٣). والشاب العربي الذي كان يغريه بإسماعه قصصاً عن مغامراته الجنسية مع الأمريكيات^(٤). والممرضة التي كانت تُغريه وهو في المستشفى بإسماعه مواصفاتها التي تطلبها في الشخص ليكون عشيقاً لها^(٥). والفتاة الجامعية التي تريد أن تمحو من فكره النفور من الرذيلة الجنسية، وتزعم أنه عملية بيولوجية جسدية، لا داعي لإقحامها في المعاني الأخلاقية^(٦). وغير ذلك!

(١) انظر القصة في (ظلال القرآن) ٣: ١٧٨٦ دار الشروق.

(٢) انظر الشهاب - العدد التاسع - السنة السادسة: ٨.

(٣) الإسلام ومشكلات الحضارة: ٧٥.

(٤) الإسلام ومشكلات الحضارة: ٧٧.

(٥) الرسالة - السنة التاسعة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٩٥٩ تاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٥١ م صفحة ١٣٠٤.

(٦) الرسالة - نفس المرجع السابق: ١٣٠٥.

ولكن الله ثبته في هذه المواقف جميعها، لأنه يعده لمهمة كبرى، واستعلى سيد قطب على الإغراء، وانتصر على الإفساد، وفشلت الخطة التي رسمت له. وانعكست الآية، فبدل أن يتأثر هو بأمريكا، ويعود داعية لها، نراه قد وجد ذاته هناك، ووجد الإجابة على استفساراته عن الحياة وغاياتها، ومهمة الفرد فيها، فراح من هناك ينظر في كتاب الله المنظور، نظراته الفاحصة الدارسة، ويقرأ في كتاب الله المسطور - القرآن الكريم - حديثه عن هذا الكون، فالتقت النظرتان على ذاته ومشاعره ووجدانه، واستقرت العقيدة في قلبه، وغمر النور الرباني حياته، وأضاء له طريقه، فكيف تحول قوى البشرية جمعاء بين فرد وبين هذا النور؟ وكيف تستطيع أن تكسب لصف الشر فرداً فتح الله قلبه على هذه الحقائق؟ قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ١٢].

راح سيد يراسل أهله في القاهرة، ومعارفه وأصدقاءه في الداخل والخارج، يقص عليهم قصته مع الوجود، ويحدثهم عن مذاقاته الجديدة، ويرسم لهم ملامح شخصيته الجديدة، ويخبرهم بنظراته وأحلامه ومشاعره، وتطلعاته وأمانيه في المستقبل^(١).

كشفه سوءات المجتمع الأمريكي:

لم يكتف بثباته على مبادئه، بل راح يدرس المجتمع الأمريكي عن كثب دراسة فاحصة، ويسجل ملاحظاته ونتائج دراساته، وعندما

(١) انظر مقالة (موسيقى الوجود) الكتاب - المجلد التاسع - الجزء الرابع - أبريل ١٩٥٠م صفحات ٣٢٦ - ٣٢٨ و(في الأدب والحياة) الكتاب - المجلد العاشر - الجزء الرابع - أبريل ١٩٥١م صفحات ٣٨٩ - ٣٩٣، و(أضواء من بعيد) الكتاب - المجلد التاسع - الجزء الثاني - فبراير ١٩٥٠م صفحات ١٤٣ - ١٤٥.



نشر بعض ملاحظاته هذه فوجئ الناس بها، وتكشفت لهم أمريكا على حقيقتها. حيث تحدث عن بعض مشاهداته هناك: قسوتهم على الضعيف، ووقوف جماعة منهم أمام زميلهم الذي يحتضر وهم يسخرون منه، وخروج الزوجة بعد وفاة زوجها مباشرة لسهرة جماعية، وفرح زوجة أخرى لوفاة زوجها لأنه كان مؤمناً على حياته. وكشف عن حقيقة موقف الأمريكيين من الفنون، وبُعدهم عن الفن الإنساني، وكيفية زيارتهم للمتاحف، وتذوقهم للوحات الفنية المعروضة فيها، واشترك في عدة نواد كنسية هناك، في كل مدينة عاش فيها، لأنها كانت تمثل ناحية هامة من نواحي المجتمع، تستحق الدراسة عن كثب ومن الداخل، ويّين لنا الدافع لإنشاء الكنائس، وموقف الشعب منها، وكشف عن انسياقها مع التيار الماجن، واستخدامها أساليب شاذة لاكتساب الزبائن، وتهيئتها الأجواء لارتكاب الفواحش ودعوتها للرديلة^(١).

لقد عرّى سيد قطب المجتمع الأمريكي - المثل الأعلى لكثير من المثقفين في البلاد الإسلامية - وأبان عن مبادئه ومفاسده، وانحطاطه الخلقي والاجتماعي والإنساني، وصار: (دائم الشعور باستخسار هذا الشعب، الذي يصنع المعجزات في عالم الصناعة والعلم والبحث، ألاّ يكون له رصيد من القيم الإنسانية الأخرى) ولذلك فهو: (شديد الإشفاق على الإنسانية أن تؤول قيادتها إلى هذا الشعب، وهو فقير من تلك القيم جميعاً)^(٢)!

(١) انظر المقالات الثلاث القيمة التي نشرها في (الرسالة) تحت عنوان (أمريكا التي رأيت)

السنة التاسعة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٩٥٧ صفحات ١٢٤٥ - ١٢٤٧. وعدد ٩٥٩

صفحات ١٣٠٢ - ١٣٠٦. وعدد ٩٦١ صفحات ١٣٥٧ - ١٣٦٠.

(٢) الرسالة - عدد ٩٦١ تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٥١ م صفحة ١٣٥٧.

مهاجمته أمريكا وحضارتها:

كثيراً ما كان يهاجم أمريكا وحضارتها ومبادئها، أثناء وجوده هناك، ويبرز مآسيها وأمراضها، ويبين بالمقابل ما في الإسلام من خير، قال: (بعض هؤلاء «الأمريكيين» كانوا يواجهوننا - نحن القلائل المنتسبين إلى الإسلام - في أمريكا، في السنوات التي قضيتها هناك - وكان بعضنا يتخذ موقف الدفاع والتبرير.. وكنتُ على العكس أتخذ موقف المهاجم للجاهلية الغربية!.. سواء في معتقداتها الدينية المهلهلة، أو أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية المؤذية..)، (وكانت هذه حقائق نواجهها في واقع الحياة الغربية، وهي حقائق كانت تُخجل أصحابها حين تُعرض في ضوء الإسلام)^(١).

لم يتخل أثناء وجوده هناك عن اهتماماته السياسية، وتفكيره في بلده، وواقعها السياسي السيئ، فقد كان يكتب المقالات السياسية في المجلات الأمريكية، منها مقال كتبه في مجلة (Fulcrum) التي تصدر في مدينة جريلي بـكولورادو بعنوان (العالم وَلَدٌ عاقٍ) «بنى فكرته على الأسطورة المصرية القديمة، التي تتضمن أن التاريخ كان في جولته التي يقوم بها، لتتبع الأحداث وتسجيلها، وقد جرى أن يسأل الآلهة عما يغمض عليه، فشاهد امرأة تعلّم طفلاً، فسأل الإله عن ذلك، فأجابه بأن المرأة هي مصر، وأن الطفل هو العالم، وترمز الأسطورة إلى أن مصر هي أم الحضارات. وقال الأستاذ سيد: إن العالم بعد أن كبر عَقَّ أمه ومعلمته مصر، فأمرى مثلاً خَذَلَهَا في قضاياها السياسية ووقفت مع أعدائها»^(٢).

(١) معالم في الطريق: ٢١٥ - ٢١٦.

(٢) الرسالة - السنة الثامنة عشرة - المجلد الأول - عدد ٨٦٨ تاريخ ٢ فبراير ١٩٥٠م صفحة ٢٢٣.



تنافس المخابرات البريطانية والأمريكية لاحتوائه:

وقد كان يتنافس رجال المخابرات الأمريكية والبريطانية عليه، كل يريد كسبه إلى جانبه، الأمريكيون بوسائلهم الكثيرة لإغرائه واجتذابه، والبريطانيون بوسائلهم التي يشككون فيها بنوايا الأمريكيين.

حدثنا سيد عن وسيلة منها قائلًا: (والكثير من الحاكمين في الدولة الأمريكية تخرجوا في المعاهد التبشيرية، وهي حقيقة أفضى بها إليّ أحد الأساتذة الإنجليز، الذين التقيت بهم في أمريكا، وعدّ لي عشرات من الأسماء البارزة في وزارة الخارجية الأمريكية، وفي السلك السياسي، ولم يكن يفضي إليّ بهذه الحقيقة بريئاً لوجه الله، وإنما هو - كما عرفت فيما بعد - أحد رجال قلم المخابرات البريطاني، الذين يهتمهم ألاّ يثقَ الشرقيون كثيراً في نيات أمريكا، مما دعاني إلى التشكك في بياناته لي، فتحققْتُها بوسائل أخرى^(١)).

هذا الرجل الذي أشار إليه اسمه (جون هيوورث دن) وقد ادعى الإسلام وتسمّى باسم (جمال الدين دن) وتزوج مصرية مسلمة اسمها فاطمة، وقد عرض على سيد قطب - إغراءً له - أن يترجم كتابه الجديد (العدالة الاجتماعية في الإسلام) إلى الإنجليزية مقابل عشرة آلاف دولار^(٢). ولكن سيد قطب رفض العرض، وأعطى الكتاب إلى (المجلس الأمريكي للدراسات الاجتماعية) ليرجم مجاناً. حيث قام بترجمته المستشرق يوحنا «جون.ب. هاردي» الأستاذ بجامعة هالفكس بكندا^(٣).

(١) معركة الإسلام والرأسمالية: ٩٧ - ٩٨.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٣) الرسالة - السنة التاسعة عشرة - المجلد الأول - عدد ٩٢٣ تاريخ ١٢ مارس ١٩٥١ م صفحة ٣١٥.

وليس غريباً أن تتنافس على اكتسابه بريطانيا وأمريكا، لأنهم توقعوا أن يكون له دور مهم في وزارة المعارف، ويخشون منه على عملائهم فيها، هذا ما حدث مع الدكتور طه حسين، إذ عندما أصبح وزيراً للمعارف وكان الإنجليز «يعرفون» أن ميول الرجل - حسب ثقافته - فرنسية فلما صارت إليه وزارة المعارف، أدركوا أن هناك خطراً على الثقافة الإنجليزية قد يصيبها مع وجود هذا الوزير، وهنا فقد تذكروا أن طه حسين أديب كبير، يستحق الدعوة إلى انجلترا. والضيافة على الحكومة البريطانية، والمعهد البريطاني، والتكريم بالألقاب الجامعية من جامعات انجلترا، فقط عندما صار وزيراً للمعارف، إنه الاستعمار يخشى على حبائله في وزارة المعارف أن تتكشف أو تتزعزع»^(١).

عودته إلى مصر بعد سنتين:

وفي أخريات أيامه هناك، سيطر عليه الشوق إلى مصر، وراح ينتظر قدومه إليها بفارغ الصبر، ومما يصور هذا قوله في قصيدته (هتاف روح):

فِي النَّفْسِ يَا مِصْرَ شَوْقٌ لِخَطَرَةٍ فِي رُبَاكِ
لِضَمَّةٍ مِنْ ثَرَاكِ لِنَفْحَةٍ مِنْ جَوَاكِ
لِلَّيْلَةِ فِيكَ أُخْرَى لِهَاتِفٍ مِنْ رُؤَاكِ
ظَمَانٌ تَهْتِفُ رُوحِي مَتَى تُرَانِي أَرَاكِ؟^(٢)

وبما أنه لم تُحدّد له مدة معينة لبقائه هناك، ولم يُطلب منه الحصول على شهادة دراسية عليا، وإنما فقط ليطلع على نظم التعليم، فقد رأى

(١) معركة الإسلام والرأسمالية: ١٠٠ - ١٠١.

(٢) الرسالة - السنة الثامنة عشرة - المجلد الأول - عدد ٨٧٧ تاريخ ٢٤ أبريل ١٩٥٠م صفحة ٤٧٢.



سيد أن مهمته قد انتهت، والأرجح أنه علم أن الأسباب التي أُبعدَ من أجلها عن مصر قد خَفَّتْ، وأنه إن عاد فلنْ يَنالَ منه أحد، لا سيما وأن الملك فاروق قد ضعفت سيطرته الفعلية على البلاد، عندها قرر العودة إلى مصر، حيث وصلها في ٢٠ أغسطس عام ١٩٥٠م^(١).

* * *

(١) الرسالة - السنة الثامنة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٨٩٤ تاريخ ٢١ أغسطس ١٩٥٠م
صفحة ٩٥٨.



المبحث الثامن

سيد قطب مع جماعة الإخوان المسلمين

بعد أن احتل سيد قطب مركز الصدارة في الأدب والنقد والشعر، وبعد أن أصبح رائد مذهب أدبي متميز، رسم الله له طريقاً جديداً وأعدّ له مهمة جديدة، ووفقه وأخذ بيده نحوها، ونقل خطواته فيها، تلك هي وجهته إلى الإسلام وخدمته له.

دخل سيد قطب عالم الفكر الإسلامي بعد أن اتسعت آفاقه، وازدادت ثقافته، واستقام بيانه، وسلس أسلوبه، وصفت قريحته، وتفتحت شاعريته، لقد كانت حياته الأدبية مرحلة لا بد منها لحياته الإسلامية، وأساساً متيناً لنجاحه في حياته الجديدة، تزود منها بالصفاء والبيان، والشاعرية والدقة والوضوح، تزود منها بقوة الفكرة ومتانة العبارة، وشاعرية الأسلوب، بحيث يؤثر في وجدان القارئ بأسلوبه وبيانه، فيسير معه شبه مسحور، ويتلقى عنه الأفكار والقيم والمبادئ، التي عبر عنها بهذا الأسلوب السلس الساحر.

مراحل حياته الإسلامية:

لم يكن اتجاه سيد قطب إلى العمل الإسلامي قد تَكَوَّنَ بين عشية وضحاها، وإنما اتجه إليه تدريجياً وعلى مراحل، وقد ذكر هو نفسه للندوي - عند لقائه به - مراحل حياته، وكيف وصل إلى العقيدة الإسلامية أو الإيمان بالإسلام من جديد:

- ١ - نشأ على تقاليد الإسلام، في الريف وفي بيته.
- ٢ - ثم انتقل إلى القاهرة، فانقطعت كل صلة بينه وبين نشأته الأولى، وتبخرت ثقافته الدينية وعقيدته الإسلامية.



٣ - مرَّ بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى حدود.

٤ - ثم أقبل على مطالعة القرآن لدواعٍ أدبية.

٥ - ثم أثر فيه القرآن، وتدرج به إلى الإيمان^(١).

ومن المعروف أنه في القاهرة اتصل بالعقاد، ووجهه وجهة أدبية فنية نقدية، وعاش حياة أدبية لفترة طويلة، تقدر بحوالي ربع قرن، ومع هذا كان سيد يلمس الجذب الروحي والوجداني والشعوري عند أستاذه العقاد، وينتقده بين الحين والآخر، ويراه أديب العقل والذهن المجرد، ولم يُشبع العقاد حاجات سيد الروحية العظيمة، والتي صاحبته طيلة حياته، لكنها كُمُنَتْ وتوارت طيلة صلته بالعقاد، بسبب تأثيره عليه، وعندما افترق عنه عادت هذه إلى الظهور مرة أخرى، وأنبتت بذورها في نفسه وروحه ووجدانه من جديد.

فلا عجب إذن أن نراه مع العقاد وقد «تبخرت ثقافته الدينية وعقيدته الإسلامية»، بل أن يمر «بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى حدود». كما قال للندوي.

اتصل سيد قطب بالقرآن، وراح يطالعه لدواعٍ أدبية، عندما كان يُعد بحثه عن «التصوير الفني في القرآن» وقد قرأه متصلاً مرات متوالية، قرأه قراءة دأرسة فاحصة، وهنا التفت - مع اهتمامه بالجانب الفني - إلى جوانب أخرى تستحق الدراسة، فأعد بحثه الآخر عن «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، وما انتهى منه إلا وقد أثر فيه القرآن وقاده إلى الإيمان من جديد، ووجد نفسه، ووجد في القرآن الجواب الشافي

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي، للندوي: ١٨٩.

على أسئلته التي حيرته، ونمت بذور العقيدة في كيانه، واستوت على سوقها، وراح يغذيها بنظراته المتجددة في القرآن وحياته في ظلاله.

تركه الأحزاب كلها:

وقد أشرنا سابقاً إلى أنه بدأ حياته السياسية مع حزب الوفد، وبقي فيه فترة طويلة إلى أن وقع حادث فبراير ١٩٤٢م، عندما انفصل عنه وانضم إلى حزب الطليعة الوفدية أو حزب السعديين، الذي انشق عن حزب الوفد، وبقي فيه إلى عام ١٩٤٥م، حيث ترك الأحزاب كلها. وقال:

«هذا القلم ليس لحزب من الأحزاب، فقد بات صاحبه لا يرى في الأحزاب إلا أقزاماً، بعد أن خلا الميدان من كل جبار، فهو بهذا يتوجه إلى مصر الخالدة، وهي أخلد وأسمى»^(١).

ويقول مبيناً سبب تركه الأحزاب، مصوراً شخصيات رجالها: «فلم أعُدْ أجد في حزب من هذه الأحزاب ما يستحق عناء الحماسة له، والعمل من أجله، كلهم سواء أولئك الرجال! رجال الجيل الماضي، للجميع عقلية واحدة لا تصلح لهذا الجيل - عقلية أنصاف الحلول - كلهم نشؤوا وفي قرارة نفوسهم أن إنجلترا دولة لا تقهر، وأن الفقر مرض مستوطن، وكلهم يؤمن - إن كانت قد بقيت لأحدهم طاقة الإيمان بشيء - أن الله خلق الدنيا في ستة أيام! هؤلاء جميعاً لم يعودوا يصلحون لقيادة الجيل، أعصاب منهوكة، وقلوب خاوية من الإيمان الحار بشعبهم وأمتهم»^(٢).

(١) الرسالة - السنة الثالثة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٦٤٨ تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٤٥م، صفحة ١٣٠٩.

(٢) الرسالة - السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٦٨١ تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٦م: ٧٩٦ - ٧٩٧.

لم يكن لسيد قطب، وقد فقد إيمانه بالأحزاب وتخلي عنها، لم يكن له أن يجلس في بيته، يبكي على وطنه، دون أن يتحرك لإصلاح مجتمعه، والقضاء على مظاهر الفساد فيه، فراح يكتب المقالات السياسية في الهجوم على الاستعمار الإنجليزي في المجلات القائمة، مثل (الرسالة)، وأنشأ مجلتيْن خصصهما لمحاربة الإقطاع والظلم السياسي والاجتماعي، وهما (العالم العربي) و(الفكر الجديد)، ولم يمكث طويلاً في المجلة الأولى، وضاق الملك فاروق بمقالاته في المجلة الثانية، فأغلقها، ومُنِع سيد من الكتابة.

كان منزله في (حلوان) منتدًى عاماً، يقصده الشباب المتلهف على الإصلاح، ليستفيد من تجارب سيد، ويستمتع لأحاديثه وندواته وتوجيهاته، ولم يكن سيد يفكر في تنظيم هؤلاء الشباب، ولكنه كان يشعل فيهم نار الثورة، وكانت ثورة إسلامية، تدعو إلى الإصلاح على أساس الإسلام.

سيد قطب في طريقه إلى الإخوان المسلمين:

في هذه الفترة كانت جماعة الإخوان المسلمين في قمة نشاطها، وقد استقطبت مختلف فئات الأمة، من مثقفين وعمال ومهنيين، واستحوذت على اهتمام كبير في الداخل والخارج.

وكان هناك التقاء في بعض أفكار سيد قطب مع أفكار الإخوان المسلمين، فعندما نشر في جريدة (الأهرام) وفي مجلة (دار العلوم) نقده لكتاب «مستقبل الثقافة في مصر» للدكتور طه حسين، تبنت جريدة (الإخوان المسلمين) هذا النقد، ونشرته على صفحاتها^(١).

(١) المجتمع عدد ٢١٥ تاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٧٤م صفحة ١٦.

واتصل بالإخوان عن طريق اتفاه مع الحاج محمد حلمي المنياوي صاحب دار الكتاب العربي، وعضو مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين، حيث اتفق معه على إصدار مجلة (الفكر الجديد).

واتصل ثالثة بالإخوان عندما قَدَّمَ إلى المطبعة كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) وَقَدَّمَ له بمقدمة، ظنت السلطات المصرية أن المقصود بها هم شباب الإخوان المسلمين - الذين كانوا في السجون - فصادرت الكتاب، مع أنه - للحقيقة - لم يقصد في مقدمته شباب الإخوان^(١)، وإنما كان يقصد شباباً لمحمهم بعين الخيال، ويراهم أمنية وحلماً، وهو ما تحققه بعد ذلك في شباب الإخوان.

لم توافق السلطات على طبع الكتاب إلا بعد حذف الإهداء، فتم حذفه. وحتى ذلك الحين - عند ذهابه إلى أمريكا - لم يكن - على حد قوله: «لم أكن أُعطي الحركة الإسلامية ولا مرشدها من اهتمامي ما يجعلها على مستوى التنظيمات السياسية أو الدعاوات الاجتماعية الأخرى، ولم أكن أتصور أنها تُشكل في بؤرة الشعور الغربي شيئاً يذكر، حتى صدمني الواقع من حولي في أمريكا، وهزني هزاً، وفتح عيني فتحا على ما لم أفطن إليه من قبل»^(٢). وهذا الواقع الذي أثر فيه، وفتح عينيه على الحركة الإسلامية، يتمثل في حادثتين:

حادثتان دفعته إلى الإخوان:

الأولى: عندما تم اغتيال الإمام حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين، على أيدي رجال الملك فاروق، وييعاز من

(١) انظر المجتمع - نفس المرجع - صفحة ١٧، وقد أكد لي هذا محمد قطب.

(٢) المجتمع عدد ١١٥ تاريخ ٢٩ أغسطس ١٩٧٢م صفحة ١٠.



الدول الاستعمارية، في فبراير ١٩٤٩م، وكان سيد وقتها في المستشفى في إحدى المدن الأمريكية، فشاهد الفرح والابتهاج، بل والشماتة في كل شيء من حوله: في الصحافة، وفي جميع أجهزة الإعلام، وفي كافة المنتديات! كلها تهلل ويهنئ بعضها بعضاً، بالتخلص من أخطر رجل في الشرق»^(١).

الثانية: حادثته مع رجل المخابرات البريطانية «جون هيوورث دن»^(٢) حيث دعاه أكثر من مرة إلى بيته، وراح يحدثه عن أحداث مصر السياسية والاجتماعية، والمخاطر التي تنتظرها في المستقبل، وأخذت جماعة الإخوان المسلمين قسطاً وافراً من أحاديثه، وراح يعرض على سيد قطب تقارير مفصلة ودقيقة عنها، وعن تحركات حسن البنا وخطبه ونشاطاته، منذ أن تكونت الجماعة في مدينة الإسماعيلية عام ١٩٢٨م، إلى أن تم اغتياله عام ١٩٤٩م، وعقب رجل المخابرات على أحاديثه بتصوير الخطر الماحق الذي يحل بالبلاد، لو نجحت هذه الجماعة، واستلمت الحكم، حيث توقع مصر في التأخر، وتحول بينها وبين الحضارة الغربية، وأظهر له أن الأمل معقود على أيدي الشباب المثقفين والمفكرين من أمثاله، ليحولوا بين هذه الجماعة وبين استلام الحكم، كما نصحه بالكف عن معاداة بريطانيا والهجوم عليها، لأنها إن خرجت من مصر فستحل أمريكا محلها، وهي أشد عداء منها»^(٣).

وقال سيد قطب: «قلت في نفسي: الآن حصحص الحق، وأيقنت أن هذه الجماعة على الحق المبين، ولم يبق لي عذر عند الله إن لم أتبعها،

(١) المجتمع - عدد ١١٥ - أغسطس ١٩٧٢م صفحة ١٠.

(٢) انظر صفحة ١٧١ من هذا الكتاب.

(٣) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.



فهذه أمريكا ترقص على جمجمة حسن البناء، وهذه بريطانيا تُسخر أجهزتها وأقلام مخابراتها - حتى داخل أمريكا - لمحاربة الإخوان. فصممت في قرارة نفسي أن أنضم إلى الإخوان المسلمين، وأنا لم أخرج بعد من منزل رجل المخابرات البريطاني.

ولذلك انقطع عن الكتابة في الصحف طيلة وجوده في أمريكا، وكان بإمكانه أن يكتب، وأن يرسل مقالاته إلى الصحف والمجلات لتشرها، ولكنه عزف عن الكتابة، ويعلل هذا بقوله: «ولعل منشأ هذا العزوف كان هو الرغبة في تحقيق شيء أكبر من الكتابة، إنني على إيماني بقوة الكلمة وامتدادها، كنت أحسب أننا في مصر وفي الشرق قد تكلمنا أكثر مما ينبغي، وأنه آن لنا أن نصنع شيئاً آخر وراء الكلام وغير الكلام»^(١).

وقد فكر سيد وهو في أمريكا في عمل شيء آخر غير الكلام والكتابة، فكر في أن يبدأ العمل للإسلام، بتربية مجموعات من الشباب المثقفين، تتكون كل مجموعة من خمسة أفراد، ولكنه فكر في خطته التي رسمها ملياً، وقال مخاطباً نفسه: (لماذا أبدأ من أول الطريق، وقد بدأ غيري وساروا مراحل واسعة في هذا السبيل؟ أليس الأفضل أن أبدأ من حيث انتهوا؟ وأتابع طريقهم في هذا المجال)^(٢).

مظاهر إعجابه بحسن البناء:

صمم بعد عودته من أمريكا أن يدرس عن حسن البناء، قال: «وقرأت جميع رسائل الإمام الشهيد، ووقفت على سيرته النقية،

(١) الكتاب - المجلد العاشر - الجزء الرابع - أبريل ١٩٥١م صفحة ٣٨٩.

(٢) الشهاب - السنة التاسعة - العدد السادس - أيلول ١٩٧٢م صفحة ٨.



وأهدافه الحققة، وعلمتُ لماذا يحارب، ولماذا قُتل، وعاهدتُ الله على أن أحمل الأمانة من بعده، وأواصل السير على نفس الطريق الذي لقي الله عليه»^(١).

وكان سيد قطب معجباً جداً بالإمام الشهيد، وكان إعجابه يتركز على عبقرية البناء في ناحيتين:

أولاً: في البناء النفسي المتوازن لأعضاء الحركة، بإيجاد السبب المتكافئة بين العلم والروح والحركة من جهة، وبين المدارس الإسلامية المتخصصة كالصوفية والسلفية والمذهبية من جهة ثانية.

ثانياً: في البناء التنظيمي للجماعة، وقد كان هذا البناء هو الأول من نوعه في العالم بالنسبة للعمل الجماعي^(٢).

عاد سيد إلى مصر، والحظر ما زال مفروضاً على الإخوان المسلمين، ولكن الإخوان كانوا يمارسون نشاطهم العملي، رغم عدم التصريح القانوني لهم، وكانت لهم صحف يكتبون فيها مثل صحيفتي (المباحث) و(الدعوة). وفتحت «الدعوة» صفحاتها أمام مقالاته، وصار يكتب في الصحف الثلاث التي كانت تكافح الطغيان، (الدعوة) مجلة الإخوان، و(الاشتراكية) مجلة الاشتراكيين، و(الواء الجديد) مجلة الوطنيين، وكانت مقالاته من القوة بحيث أزعجت الطغاة، وأثرت في قلوب الجماهير.

(١) المجتمع — عدد ١١٥ تاريخ ٢٩ أغسطس ١٩٧٢م صفحة ١١.

(٢) سيد قطب لبركات: ١٦ وانظر مقاله في (دراسات إسلامية) «حسن البناء وعبقرية البناء» طبعة الشروق: ٢٢٥ - ٢٣٠.

انضمامه إلى الإخوان المسلمين:

وعندما اطمأن صالح عشاوي - أحد قادة الإخوان المسلمين البارزين - إلى صدق سيد قطب دعاه إلى الانضمام إلى الإخوان، فلبى الدعوة^(١).

واتجه بنية صادقة وهمة عالية ودأب عجيب إلى خدمة الإسلام والحركة الإسلامية، وصار يكتب المقالات العنيفة الحادة، التي مهد بها لقيام الثورة المصرية، واعتبر كأنه (ميرابو)^(٢) الثورة، وقد أفضت مقالاته مضاجع الطغيان، وجرت عليه الكثير من المضايقات، ولقد أشفق الكثيرون من أصدقائه وزملائه عليه، وراحوا يزينون له الركون والسكوت، بحجة أن الشعب لم يبلغ درجة من الوعي يتابعه ويدرك ما يريد، وقد صور سيد على لسان أحد زملائه الخطر المصدق به قائلاً: «وأنت تُجابه قوى جارفة، قوى تملك أن تشتري دولاً وأممًا وشعوباً، قوى مدربة، لها عملاء في كل مكان، ولها أجهزتها التي مرنت على العمل.. هذه القوى تملك أن تحيلك متهمًا في أعين مواطنيك، تملك أن تجردك من سمعتك ذاتها، فتظهر للناس خائناً، وتجد ألف شاهد وألف جهاز من أجهزة الدعاية تهتف بذلك ليل نهار.. إنك لست غنياً ولست فتياً...»^(٣).

وبعد محاورة بينهما قال له زميله: «فهمت. فهمت، إذن أنت تريد أن تموت». فرد عليه قائلاً: «لا يا صديقي إنك لم تفهمني بعد. إنني ما أردت أن أموت. أؤكد لك أنني أريد أن أحيأ، أريد أن أحيأ حياة طويلة، فأنا لم أشبع من هذه الحياة، وأنا لم أتم إلا القليل من الواجبات التي

(١) المجتمع - عدد ٢١٥ تاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٧٤م صفحة ١٧.

(٢) ميرابو: الرجل الذي مهد للثورة الفرنسية. انظر الشهيد سيد قطب: ٤٦.

(٣) دراسات إسلامية: ١٤١ أليس هذا بالضبط ما حدث له عامي ١٩٥٤م و١٩٦٥م؟ لقد كان ينظر في المستقبل وحوادثه بنور الله!.



أرجو أن أوفق إلى النهوض بها.. وأمر آخر: إنني قد بعدت فترة من حياتي عن الله. وإنني لأرجو أن أعيش حتى أنفق من عمري في قربة فترة تعدل كفتي الميزان.

ولكن الموت والحياة غيب من غيب الله، فلا يجوز أن يكونا في حساب أحد يريد أن يؤدي واجباً، أو يغير منكراً، أو يذهب ويجيء^(١).

نشاطه السياسي والدعوي المكثف:

وراح سيد بالإضافة إلى مقالاته الغزيرة، يُعَدُّ البحوث، ويلقي المحاضرات، ويعقد الندوات، ويدير الجلسات، ويشارك في المناقشات، وكما كان يجذب القارئ إليه جذباً، كان يؤثر في قلوب سامعيه، فيتفاعلون معه، ويسلمون قيادهم إليه، ولقد شهد المركز العام للإخوان المسلمين محاضراً ومتحدثاً، يجتمع عليه العديد من الإخوان، يستفيدون من تجاربه، ويعملون بتوجيهاته وآرائه، كما شهد بيته في حلوان الأفواج من الشباب الإسلامي، من المصريين والمغتربين، يقدون إليه لحضور ندواته المتكررة التي يقيمها فيه.

وإن الناظر في حياة سيد قطب وفي أوجه نشاطه، وفي نتاجه، ليعجب أشد العجب، ويتساءل كيف استطاع سيد أن يقوم بهذه الأعمال كلها، وهي تحتاج من الرجل وقتاً واسعاً ليقوم بها، إن وقته محدود كغيره، وإن يومه لا يزيد عن أربع وعشرين ساعة، ولكن الله الذي علم منه صدق توجهه إليه، وجديته في السير إليه، بارك له في وقته، وهدهه للاستفادة القيمة منه، وكأنَّ الساعات قد ضوعفت له!.

(١) دراسات إسلامية: ١٤٣ - ١٤٤ وهو وإن لم يذكر اسمه صراحة، ولكنه ذكر صفات وأوصافاً تدل عليه. فهو يتحدث عن نفسه.

من أبرز ما قام به سيد في هذه الفترة دعوته إلى قيام الكتلة الإسلامية، التي تضم جميع الشعوب الإسلامية، ككتلة ثالثة تختلف عن الكتلتين الشيوعية والرأسمالية، وتستقل بنفسها، وتثبت ثقلها الدولي، وتحرر من سيطرة النفوذيين الشيوعيين والرأسماليين، وألقى المحاضرات وكتب المقالات شارحاً دعوته هذه، وقد تبنى الإخوان المسلمون الدعوة، ودَعَوْا إليها في وسائل نشرهم، ولكن الأحداث اللاحقة وأدَّتْ هذه الدعوة في مهدها!.

دوره في التحضير للثورة:

كان لسيد قطب دور عملي في التحضير للثورة، وقد بين الضابط محمود العزب هذا الدور بقوله: «إن رائدنا وأستاذنا سيد قطب هو الذي رعى الثورة جنينا فوليدا، وأمَرنا أن نستعدَّ لها» ثم قال: «قُبيل الثورة بأيام تلقينا من الأستاذ سيد قطب أمراً، بأن نكون على استعداد، وكنتُ على رأس تنظيم الإخوان المسلمين في بور سعيد، ولما تلقيتُ الأمر حضرتُ إلى القاهرة، ومضيتُ إلى منزل الأستاذ سيد، وكان ذلك في يوم ١٩ يوليو، وكان لديه بعض قادة الثورة منهم البكباشي جمال عبد الناصر! وذكر لي الأستاذ سيد أن أكونَ أنا ومن معي على أهبة الاستعداد، وأن يكون الإخوان المسلمون المدنيون على استعداد أيضاً، فإذا سمعنا بقيام الثورة كنا حمايتها، وحَفَظَةَ الأمن في بور سعيد، وحَدَرْنَا من سفك الدماء^(١).

ومجيء جمال عبد الناصر مع مجموعة من رجاله إلى بيت سيد قطب قبل قيام الثورة بأسبوع، يدل على الدور الكبير الذي قام به سيد قطب في التحضير للثورة، وتجنيدِه كافة الطاقات لنجاحها، كما يدل

(١) كلمة الحق: السنة الأولى - العدد الثاني - مايو ١٩٦٧م - صفحة ٣٨.



على مكانته الرفيعة - الظاهرة - عند رجالها، حيث يأتمنونه على أدق أسرارها، ويدرسون معه خططها وتفصيلاتها!.

ولما قامت الثورة عام ١٩٥٢م كان سيد قطب موضع احترام وإكبار رجالها جميعاً، اعترافاً بجهوده التي بذلها في التمهيد لها، فكان كثير من قادتها يتردد على منزله في «حلوان»، وكان هو المدني الوحيد الذي يحضر جلسات مجلس الثورة أحياناً، ولقد كان متواضعاً لا يعمل للشهرة، ويتعد عن الأضواء، ويمتنع عن حضور الحفلات العامة، مع أعضاء مجلس قيادة الثورة، وقد نشرت له في السنة الأولى للثورة، بعض الصور التذكارية مع محمد نجيب، ومع جمال عبد الناصر، ومع غيرهما من رجالات الثورة وقادتها.

تكريم سيد قطب في نادي الضباط:

وكمظهر من مظاهر تكريم قادة الثورة لسيد قطب، فقد طلبوا منه أن يلقي محاضرة في نادي الضباط بالزمالك، وجعلوا عنوانها (التحرر الفكري والروحي في الإسلام) وكان ذلك في شهر أغسطس ١٩٥٢م، وقبل سيد قطب الدعوة، وفي الموعد المحدد ازدحم النادي بحدائقه وأبهاءه الفسيحة بالحضور، من كافة فئات الشعب، حيث حضرها: «جمع لا يحصى من الشعب، وحضر إلى النادي أبناء الأقطار العربية والإسلامية الموجودون في مصر، وكثير من رجال السلك السياسي، وكبار زعماء الأدب والفكر والقانون والشرعية، وأساتيد من الجامعات والكليات والمعاهد، كما حضر الدكتور طه حسين وأحمد لطفي السيد...»^(١).

(١) نفس المصدر.



وقد حرص قادة الثورة على حضور هذه المحاضرة، وكان من المقرر أن يتولى محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة تقديم سيد قطب إلى الحضور، وتقديم محمد نجيب - قائد الثورة - سيد قطب دليل آخر على سمو منزلة سيد، ورفعة مكانته عند قادة الثورة.

إلا أن عذراً عارضاً اضطر محمد نجيب إلى التخلف، فأناوب عنه نائبه جمال عبد الناصر، وبعث برسالة مع أنور السادات، يعتذر فيها عن الحضور، وقد تليت رسالته على الحضور، وقد وُصِفَ سيد قطب فيها «بأنه رائد الثورة ومعلمها وراعيها، وقائد قادتها، ورئيس رؤسائها»^(١).

وقد استغل قادة الثورة الحفل وجعلوه مناسبة للاحتفاء بسيد قطب، والحديث عن مناقبه، وتبيين مزاياه، فقدمه الدكتور طه حسين، ويُنَـمِّنْ أهم ملامح شخصيته، وعقَّبَ على تقديمه أحمد عبد الغفور عطار، وتحدث الضابط محمود العزب عن دور سيد قطب في التحضير للثورة، ومكانته عند رجالها.

ماذا قال سيد قطب وعبد الناصر في حفل التكريم:

ولما وقف سيد قطب لإلقاء محاضرتة «أثَّرَ في السامعين، حتى دميت الأكف من التصفيق، وبُحِتَ الحناجر من الهتاف» وكان طه حسين وأحمد لطفي السيد من أشد المعجبين المصفقين!

ومما جاء في محاضرة سيد قطب عن الثورة قوله: «إن الثورة قد بدأت حقاً، وليس لنا أن نشني عليها، لأنها لم تعمل - بعد - شيئاً

(١) المرجع السابق، صفحة: ٣٧.



يستحق أن يُذكر، فخرج الملك ليس غاية الثورة، بل الغاية منها العودة بالبلاد إلى الإسلام...».

ولقد كان يتوقع - بحسه البصير، وفراسته الصادقة، ونظراته النافذة - أن يناله من الأذى والمكروه على أيدي رجال الثورة - رغم تكريمهم له! - أكثر ما ناله منه في عهد الملكية.

قال في محاضراته: «لقد كنتُ في عهد الملكية مُهيئاً نفسي للسجن في كل لحظة، وما آمن على نفسي في هذا العهد أيضاً، فأنا في هذا العهد مهية نفسي للسجن، ولغير السجن، أكثر من ذي قبل»!.

وهنا وقف جمال عبد الناصر، وقال بصوته الجمهوري ما نصّه: (أخي الكبير سيد، والله لن يصلوا إلّا على أجسادنا جثثاً هامدة، ونعاهدك باسم الله، بل نجدد عهدنا لك أن نكون فداءً لك حتى الموت... إلخ. وصدق الناس تصفيقاً حاداً متواصلاً، مع الهتاف المتكرر بحياة سيد قطب..)^(١).

ولا نريد أن نعلق على كلمة عبد الناصر هذه، سوى أن نذكر أن عبد الناصر هو نفسه الذي أمر بسجنه وتعذيبه، وأصدر عليه حكماً بالسجن مع الأشغال الشاقة خمسة عشر عاماً، ثم أصدر عليه حكماً بالإعدام بعد أربعة عشر عاماً كاملة من كلمته هذه!!

ومن تقدير رجال الثورة له أنهم عينوه مستشاراً لمجلس قيادة الثورة للشؤون الثقافية والداخلية، ولم يستمر أكثر من عدة شهور^(٢).

(١) كلمة الحق: ٣٨، وانظر الوصف الكامل لهذا الحفل، والتلخيص للكلمات التي أُلقيت،

في مقال الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في نفس العدد ٣٧ - ٣٩.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

كما عرضوا عليه بعض المناصب الأخرى، منها ما ذكره الأستاذ أحمد عطار، «قرر مجلس قيادة الثورة أن يسند إليه منصب وزير المعارف المصرية - كما أذكر - ولكن سيد قطب اعتذر، ورَجَّوْهُ أن يتولَّى منصب المدير العام للإذاعة فاعتذر، وأخيراً وافق على أن يكون السكرتير العام لهيئة التحرير، ولبث فيه شهوراً، وما رضي بهذا المنصب الخطير إلا ليسعه التخطيط للسياسة العليا.

وبدأ الخلاف مبكراً بين جمال عبد الناصر وزملائه وبين سيد قطب، وسبب الخلاف إسلامي، حيث كان سيد قطب يستحثهم على الإسراع بتطبيق الإسلام، وكانوا يراوغون في هذا الأمر، فاضطر سيد قطب إلى تقديم استقالته من منصبه كسكرتير عام لهيئة التحرير، ولم تنشر الصحف كلمة عن استقالته، وخَلَفَهُ في منصبه عبد الناصر نفسه^(١).

سيد قطب في سورية وفي الأردن:

وفي ١٩٥٣/٣/٢م عقد في دمشق مؤتمر حلقة الدراسات الاجتماعية، وقد انتدبت لجنة الدراسات الاجتماعية المصرية سيد قطب ليمثلها في هذا المؤتمر، فسار إلى دمشق، وألقى في المؤتمر محاضرة عن «التربية الخلقية كوسيلة لتحقيق التكامل الاجتماعي»^(٢) وانتهز الإخوان فرصة وجوده، فأعدوا له محاضرة ألقاها في كلية الآداب - جامعة دمشق. «وكانت محاضرة رائعة، حلق فيها سيد قطب خلال ساعتين من الزمان، يبحث في جمال التعبير القرآني، ويضع أيدينا على

(١) كلمة الحق: ٣٩.

(٢) الشهيد سيد قطب: ٢٩، وقد نشر محاضراته هذه في (دراسات إسلامية) دار الشروق: ٤٨ - ٦١.



جوانب الإعجاز، ولم يكن بيده كتاب ولا ورقة، كما يقول محمد الياسين مرافقه مدة وجوده في سوريا^(١).

وبعد أن انتهى المؤتمر من دراساته، اتجه سيد قطب إلى الحدود الأردنية، ليقوم بزيارة إلى الأردن، ولكن السلطات الأردنية منعت من الدخول، بأمر من قائد الجيش الأردني الجنرال الإنجليزي «جون بادوت جلوب» الذي كان يحكم في الأردن كما يشاء^(٢).

وفي ١٩٥٣/١٢/٢م عقد في مدينة القدس (المؤتمر الإسلامي) الذي دعت إليه جماعة الإخوان المسلمين، وشاركت فيه الجمعيات والشخصيات الإسلامية في العالم الإسلامي، بهدف دراسة السبل لحماية القدس، والحيلولة دون وقوع الأقصى في أيدي اليهود، وانتدب مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين في مصر سيد قطب ليمثل الجماعة في هذا المؤتمر، «ولولا أن وفود المؤتمر كانت في زيارة جماعية لحيل بينه وبين الدخول في المرة الثانية، كما حيل بينه وبين الزيارة الأولى»^(٣).

وكان سيد قطب متواضعاً مناضلاً في المؤتمر، يصفه علال الفاسي بقوله: (فرأيت من سيد قطب المناضل المتواضع، الذي لم يكن يتطلع لشيء من المناصب أو الألقاب، بل يتأثر حينما يرى بعض أصدقائه يتهافتون عليها، ولقد عملنا معاً في اللجنة السياسية التي كنت أترأسها، وصَلَّينا وأعضاء هذه اللجنة بأثر وشاية من بعض شيوخ فلسطين المشهورين، ذوي الصلة بكلوب باشا)^(٤).

(١) الشهاب - السنة الرابعة - العدد الحادي عشر - ١٥ آب ١٩٧٠م، صفحة ٩.

(٢) الشهيد سيد قطب: ٢٩.

(٣) المرجع السابق: ٢٩.

(٤) المرجع السابق: ١٦.

ورافق سيد قطب المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي في إحدى جولاته لمنطقة الصعيد في مصر، وألقى هناك عدة محاضرات، واطَّلَعَ على الأحوال البائسة للأهالي، من الناحية الاجتماعية والسياسية والإنسانية، وحزَّت هذه المآسي في نفسه وآلمته، وكتب مقالات في مجلة (الدعوة) سجل فيها هذه المظاهر البائسة، وعلّق عليها بأسلوبه الثائر الحاد، وأحدثت مقالاته دويّاً في البلاد.

وعندما اصطدم الإخوان مع الحكومة في المرة الأولى في أوائل ١٩٥٤م، واعتُقل عدد من قادة الإخوان، كان سيد قطب في مقدمة المعتقلين، وبقي في السجن - مع باقي المعتقلين من الإخوان - الثلاثة أشهر الأولى من عام ١٩٥٤م، وأُفرج عن المعتقلين بعدها لخلافات وقعت بين ضباط الثورة.

سيد مسؤول مجلة الإخوان المسلمين:

وعندما قرر مكتب الإرشاد للإخوان، إعادة إصدار مجلة (الإخوان المسلمين) عهد إلى سيد قطب - بالإضافة إلى ما عهد إليه من مهمات - الإشراف على تحريرها، وجند طاقات بيته لخدمة الدعوة، فكتب في المجلة شقيقه محمد، وعهد إلى شقيقته (أمنية وحميدة) تحرير الأبواب النسائية فيها^(١)، وعندما وقّع رجال الثورة اتفاقية الجلاء مع بريطانيا عام ١٩٥٤م رأى الإخوان أنها مجحفة لمصر، وأنها بها لن تحصل على الجلاء الحقيقي، فانتقدوها بشدة، وتولى سيد قطب كتابة

(١) المجتمع - عدد ٢٠٥ تاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٧٤م، صفحة ١٨.



ونشرَ المقالات العنيفة الحادة في نقدها، فأغلَقَتْها الحكومة، ولم يصدر منها سوى اثنا عشر عدداً^(١).

وفي الأيام الأخيرة، وقبل مذبحة الإخوان في نهاية عام ١٩٥٤م، وبعد أن أدرك سيد قطب ما تبتهه الحكومة ضد الإخوان، انتقل سراً من القاهرة إلى مدينة (بني سويف) - التي عمل فيها مدرساً فور تخرجه من الكلية عام ١٩٣٣م - وأصدر هناك نشرة سياسية سرية تفضح المخططات المرسومة للقضاء على الحركة الإسلامية، وتكشف عمالة رجال الثورة، وألقي القبض عليه قبل القضية الكبرى التي اتهم فيها الإخوان بمحاولة اغتيال عبد الناصر^(٢).

سجنه وتعذيبه والحكم عليه:

لقي سيد قطب - كباقي إخوانه - ألواناً شتى من التعذيب في السجن لا تضاهيها إلا ألوانُ التعذيب في محاكم التفتيش في أوروبا في القرون الوسطى، ومن هذه الألوان البشعة تسليط الكلاب البوليسية عليه، ومطاردتها له لساعات، بينما تنقض هذه الكلاب المدربة الضخمة على لحمه تنهشه نهشاً، إذا توقف عن الجري^(٣)، وقد واجه كل هذا بنفس صابرة، وقلب ثابت، وعزم على المضي في الطريق، واستعلى بإيمانه، وتذوق حلاوة الاتصال بالله، وهان عليه كل ما يلاقه في سبيل الله.

وعندما تقررَت محاكمة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م، وفي اليوم الذي حُددت محاكمته فيه، جاءه مدير السجن حمزة البسيوني وقال له:

(١) كما أخبرني الأستاذ محمد قطب.

(٢) المجتمع - نفس المرجع: ١٨.

(٣) انظر على سبيل المثال: الشهاب - العدد التاسع - السنة السادسة - أيلول ١٩٧٢م، صفحة ٨.

(لن نحاكمك لأنك مصدور!)، وعَرَفَ السبب بعد ذلك لأنه كان من المقرر حضورُ مندوب عن لجنة حقوق الإنسان الدولية، ويخشون أن يتحدث سيد أمامه بشيء، وفعلاً وبعد ذهاب المندوب قُدِّم إلى المحاكمة، وعندما طُلب منه الدفاع عن نفسه، خلع قميصه ليُري القضاة والمحلفين آثار التعذيب الوحشية عليه! وصدر عليه الحكم بالسجن خمسة عشر عاماً، «ولكنه اعترض مستهزئاً بأنَّ هذا قليل، فأين حكم الإعدام؟» وكان في سجنه يردد دائماً: (اللهم ارزقني إحدى الحسنيين. والشهادة عندي في المقدمة)^(١).

حياته في مستشفى سجن «ليمان طُرة»:

نُقل سيد قطب بعد الحكم عليه إلى سجن «ليمان طُرة» خارج القاهرة، ليُقضىَ الفترة المحكوم عليه بها، ولما ساءت صحته في السجن، نُقل إلى المستشفى الملحق بالسجن، وبقي فيه حوالي عشر سنوات، إلى أن أُفرج عنه، وهناك في السجن، بل في مستشفى السجن على وجه الخصوص هيأَ الله له كل وسائل الراحة، حيث لقي عناية ورعاية تامتين، إذ كان حوله مجموعة من الإخوان المسجونين، يسهرون على راحته، وكَوَّنَ مع طبيبِ السجن ومديره صداقة شخصية، حيث أُعجبا به وبأخلاقه، فعاملاه معاملة حسنة، ووفرا له الراحة!^(٢)، ولا عجب في هذا الموقف منهما، فإن السجن هو السجن، وبإمكانه بأسلوبه أن يُخفف من وطأة السجن! ولا نقصد من هذا أن سيد قطب كان وهو في السجن كأنه في بيته، يتمتع بالحرية، وإنما نقصد أن

(١) الشهاب - السنة السادسة - العدد التاسع - أيلول ١٩٧٢م، صفحة ٩.

(٢) أفادني بهذه المعلومات الأستاذ محمد قطب.



معاملته - وبخاصة وهو نزيل مستشفى السجن لا السجن نفسه - كانت أحسن من معاملة إخوانه، وأن الله رقق له قلوب سجنائه، ليتمم المهمة التي أعده الله لها، ويكمل الطريق الذي رسمه له.

ورغم أن الكتابة في السجن ممنوعة رسمياً، إلا أن الله هياً له ظروف الكتابة، وظروف النشر أيضاً، وكان يكتب بنفسية صابرة هادئة، وروح متصلة بالله مطمئنة، ومن هناك قَدَّمَ للمكتبة الإسلامية، وللعاملين المجاهدين أقوى بحوثه وأعمقها، وعلى رأسها موسوعته (في ظلال القرآن).

لم تفارقه صفاته الكريمة وهو في السجن، بل تمكَّنت من نفسه، وصقلتها المحنة، فملك قلوب السجناء والسجانين، حتى عندما كانت تشب مشكلة بين السجناء يُسرعون إلى سيد قطب لحلها، وأُطلقَ عليه لقب (قاضي السجن) بل إن مدير السجن الحلواني كان يقول: (إن المدير الفعلي للسجن هو سيد قطب)^(١).

ويروي مصطفى العالم الذي كان معه في نفس الزنزانة في السجن - قبل نقله إلى ليمان طُرة - أنه قد أصيب بانفصال غضروفي، والوسيلة الوحيدة لعلاجه هي أن يبقى مستلقياً على ظهره مدة لا تقل عن ستة شهور، وأن سيد قطب بقلبه الكبير وعواطفه الأخوية الصادقة، كان يقوم على خدمة أخيه، ويُطَيِّب خاطره كيلا يتضايق^(٢).

شفت روحه، واستعلى بإيمانه على المحنة والابتلاء، وبدلاً من أن يكون في سجنه قلقاً ضجراً عابساً مكتئباً، رأيناه مؤمناً لطيفاً

(١) أفادني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) الشهاب - السنة السادسة - العدد التاسع - أيلول ١٩٧٢م، صفحة ٨.

بشوشاً وقوراً متواضعاً، ملك قلوب من حوله، وصاروا يكونون له الحب والاحترام، سواء كانوا مسجونين عاديين، أم سياسيين، أم من عتاة المجرمين، حتى إنّ هؤلاء المجرمين الموغلين في الإجرام، الذين ينزلون معه مستشفى السجن يرفضون أن يتناولوا العلاج إلا من يده الكريمة أملاً في الشفاء^(١). كما كان يقف بين السجناء والسجانين يخطب فيهم العيد أو الجمعة، رغم مخالفة ذلك لتعليمات السجن.

وقد رُويت حادثة غريبة تدل على مدى حبه الذي سيطر على القلوب، فقد كان أحد الإخوان سجيناً بسجن بعيد عن سجن سيد، واشتاق روحه لرؤية أستاذه، وهو لا يملك حريته لينتقل إليه، فكان أن ادعى أنه مريض جداً، وأن مرضه يستدعي عملية جراحية، وقرر له الطبيب الانتقال إلى مستشفى سجن طرة، وأجريت له عملية في المثانة والمسالك البولية، وصبر على آلامها المبرحة، وتحقق له مقصوده حيث التقى بأستاذه^(٢).

سيد مع القرآن في السجن:

جعل سيد قطب من سجنه خلوة يختلي فيها مع القرآن، ويعيش في ظلاله، ويعمق صلته بالله، فها هو «يجوب الزنزانة كل يوم، يذرعها قارئاً لسورة من كتاب الله، بصوت عذب رخيم، ومعه قلمه يدوّن كل ما يخطر له من خواطر وأفكار على هامش المصحف، وهو فرح مسرور

(١) الشهاب - السنة الثامنة - العدد الخامس تاريخ ١٥ آب ١٩٧٤م، صفحة ٩.

(٢) المرجع السابق ص ٩.



بما يجول في خاطره من معان جديدة، لم تكن تلامس ذهنه قبل أن يدخل السجن، ويأنس فيه بكتاب الله، في جو من الصفاء العجيب»^(١).

إن سيد قطب يمثل في سجنه ظاهرةً عجيبة، قلَّ أن يوجَد لها نظير في التاريخ، فهو قد أمد المكتبة الإسلامية ببحوثه الإسلامية العميقة الرصينة، وأتم تفسيره للقرآن، الذي يمثل موسوعة كاملة، وأقبل العاملون على كتبه، يجعلونها معالم لهم في طريقهم في مواجهة الجاهلية، لأنها صادرة عن تجربة حيّة واعية.

«وكان الأهم من ذلك كله - نفسياً - أن أعاد اتصالاته مع الإخوان المسلمين، داخل السجون وخارجها، وأنشأ أرقى أشكال التنظيم الإسلامي سرية وفاعلية في مصر.. وكان هذا الإنشاء يعتبر عملية انتحار - إن جاز التعبير - في الظروف الرهيبة التي كانت تسود أرض الكنانة»^(٢).

كذب عبد الناصر عن عدم سجن سيد:

وكما يَسَّرَ الله له في سجنه وسائل الكتابة، يَسَّرَ له وسائل النشر كذلك، فصارت كتبه تصدر عن دور النشر في القاهرة. وكان المسؤولون يوافقون على نشرها، لأن في نشرها إبطالاً لاتهامات الإخوان عن سجن سيد قطب وتعذيبه، فعندما زارَ رئيسُ الجمهورية جمال عبد الناصر باكستان، كان يواجه بالأسئلة الكثيرة عن سيد قطب وسجنه وتعذيبه، وأنكر تهمة السجن أو التعذيب، حيث زعم أنه في بيته معافى، يتمتع بحريته! بدليل أنه يؤلف كتبه، ويُصدر أجزاء التفسير تبعاً، فما كان من

(١) المجتمع - السنة السادسة - العدد التاسع - أيلول ١٩٧٢م، صفحة ٨.

(٢) سيد قطب لبركات: ١٩.

أحد الباكستانيين إلا أن أرسلَ برقية إلى شقيقه محمد قطب، يستفسر منه فيها عن صحة كلام الرئيس. ولم يستطع محمد أن يبين له الحقيقة، ولا أن يرد عليه، وأصدرت الحكومة المصرية تعليمات إلى سفاراتها في الخارج توصيها باتباع أسلوب الرئيس عندما يُسألون عن سيد قطب. وهكذا أراد الله - وبهذه الوسيلة العجيبة - أن تُنشرَ كتبه كي ينتفع بها العاملون^(١).

الإفراج عن سيد قطب بشفاعه عبد السلام عارف:

وفي أواخر عام ١٩٦٤م، زار مصر الرئيس العراقي عبد السلام عارف - وكان قد قرأ لسيد في (الظلال)، وتقدم له علماء العراق، بطلب يلتمسون فيه أن يتدخل لإطلاق سراحه - وبذل جهده عند الرئيس المصري عبد الناصر، وصدر الأمر بالإفراج عنه بعد أن أمضى في السجن ما يزيد على عشر سنوات^(٢).

وَعَرَضَ عليه الرئيس العراقي أن يسافر معه إلى العراق، وَبَيَّنَ له أنهم في حاجة إليه، وأنه سيكون عندهم مُعَزَّزاً مكرماً، وسيشغل أرقى المناصب! ولكن سيد لم يستجب لهذا الإغراء، وَبَيَّنَ له أن مصر إليه أحوج، وبخاصة في هذه الفترة الدقيقة التي تمرُّ بها، إذ إنه على ثغرة من ثغور الإسلام، فكيف يتخلى عنها!.

* * *

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) سيد قطب لبركات: ٢٠.

المبحث التاسع

استشهاد

خرج سيد قطب من سجنه بقائمة من الأمراض، مثل الذبحة الصدرية والنزيف الرئوي، التي سببها له سجنه الطويل، والعذاب الوحشي الذي لاقاه، لا سيما وأنه كثيراً ما كان يشكو من الأمراض قبل دخوله السجن، والتي رافقته طيلة حياته، ولكن السجن زادها، ومكّن لها في جسده الناحل.

لم يركن إلى الراحة بعد خروجه، بل استمر في إعداد بحوثه العميقة، كما لم يكتف بالكتابة والتأليف، حيث أشرف على التنظيم الذي أنشأه داخل السجن - بإذن من المرشد العام حسن الهضيبي - وكان يتعاهده ويرعاه.

كان يزوره في بيته عدد من الإخوان، من مصر وخارجها، رغم أن أجهزة المخابرات تراقب بيته دائماً، وترصد حركة الداخلين والخارجين، إلا أنه كان يهزأ بها، ويعقد اللقاءات، ويدير الجلسات، ويزوّد القادمين بنصائحه وتوجيهاته، ويطلعهم على تجاربه، ويعلق على الأحداث القائمة من الزاوية الإسلامية.

تحليلات سيد لزوار بيته:

من هذه الزيارات زيارة أحد طلاب جامعة الخرطوم - حافظ الشيخ - وكان من جملة ما قال له سيد: «إن الشيوعية لا يمكن أن تنتصر من الطريق الديمقراطي، لأنه ليست لها جذور في السودان، ولكن الخطر أن يلجأ الشيوعيون إلى نظام حكم شيوعي بالقوة،

فالخطر في الجيش، ولكن حتى إذا أفلح الجيش في القيام بانقلاب، ووصل الشيوعيون إلى الحكم وأقاموا نظامهم، فإنه لن يستمر طويلاً، لأن الأمريكيان حريصون ألا يقوم في الشرق العربي نظام شيوعي، وهم أصحاب النفوذ في هذه المنطقة، ثم ضرب مثلاً بسوريا فقال: «إن سوريا كادت أن تصبح شيوعية، فدبروا لها الوحدة مع مصر، مع أنها تتنافى مع المخطط الصهيوني في المنطقة العربية، فتمت الوحدة بين مصر وسوريا لغرض معين، وهو القضاء على الشيوعية، وانتهت بمجرد أدائها الغرض» ثم قال: «إن الخطر الحقيقي هو خطر الصهيونية والأمريكان، وهم يسيطرون نفوذهم على منطقة الشرق»^(١).

بهذا التحليل السياسي الرائع، كشف سيد عن وعيه العميق لأحداث المنطقة، وعن رؤيته الصادقة لحقيقة القوى التي تخطط لها وتؤثر فيها! وكان يدرك أنه لمعلوماته هذه ونظراته الصائبة أصبح هدفاً لأمريكا والصهيونية، يقول إبراهيم المصري في الشهاب: «وهنا لا بد من كشف النقاب عن حديث استكتمه سيد - رحمه الله ورضي عنه - أحد إخوانه قبل اعتقاله بأسابيع، كان الحديث يدور حول اليهودية العالمية، وخطرها على العالم أجمع، والمسلمين خاصة، يقول سيد: «لقد وقفتُ على مدى تغلغل الأصابع اليهودية وخطرها، بعد بحث وطول وعناء، واليهود إذا علموا أنني أحيط بذلك فلا بد أن أُقتل»^(٢)!!!.

(١) الشهيد سيد قطب: ٩١ - ٩٢ نقلاً عن جريدة الميثاق الإسلامي في السودان عدد ٣٣٤

تاريخ ١٦/٩/١٩٦٦م.

(٢) الشهاب - السنة الخامسة - العدد الحادي عشر - أيلول ١٩٧١م، صفحة ٣.

عبد الناصر يعلن اكتشاف مؤامرة الإخوان:

ومن موسكو - عاصمة الإلحاد - وقف الرئيس المصري عبد الناصر عام ١٩٦٥م، يعلن اكتشاف مؤامرة دبرها الإخوان المسلمون بقيادة سيد قطب، للاستيلاء على الحكم بالقوة، والقيام باغتيالات لرجال الحكومة والمسؤولين، والممثلين والمغنيين والفنانين، وتدمير البلاد اقتصادياً وعمرانياً، ونشطت أجهزته في إلقاء القبض على الإخوان المسلمين، وأصدقائهم ومعارفهم وأقاربهم ونسائهم وأطفالهم، وأقيمت مذبحه للإخوان، ولاقوا من التعذيب الوحشي الرهيب ما لا يحتمله أو يطيقه بشر عادي!.

وكان نصيب سيد قطب وآله من هذا أكثره، حيث وضع في السجن هو وشقيقه وأخواته الثلاثة، وأبناء أخته، ولاقى الجميع من الأهوال ما لا يوصف، ورأى سيد أمام عينيه استشهاد أعز أقربائه وأقربهم إلى قلبه، ابن أخته «رفعت بكر شافع» ووسع قلبه الكبير ونفسه العظيمة محنته وعذابه الرهيب، وعذاب أهله أمام عينيه، وعذاب إخوانه، وتحمل هذا كله بقلب صابر ويقين ثابت.

كان سيد يُحس إحساس المؤمن بالأشياء قبل وقوعها، فقد توقع هذا كله في فترة اعتقاله الثاني، حيث قال: «لقد عرفت أن الحكومة تريد رأسي هذه المرة، فلست نادماً لذلك، ولا متأسفاً لوفاتي، وإنما أنا سعيد للموت في سبيل دعوتي، وسيقرر المؤرخون في المستقبل: من كان على الصراط المستقيم؟ الإخوان أم نظام الحكم القائم؟^(١).

(١) الشهيد سيد قطب: ٥٦ نقلاً عن مجلة الأخبار الإسلامية الدولية الباكستانية أكتوبر

لقد كان مستعداً للموت في سبيل الله، في كل لحظة، منذ أن اتجه وجهته الإسلامية، قال في رسالة بعثها من أمريكا إلى أخته في القاهرة: «لم أعد أفزع من الموت حتى لو جاء اللحظة، لقد عملتُ بقدر ما كنت مستطيعاً أن أعمل! هناك أشياء كثيرة أود أن أعملها لو مد لي في الحياة، ولكن الحسرة لن تأكل قلبي إذا لم أستطع، إن آخرين سوف يقومون بها، إنها لن تموت إذا كانت صالحة للبقاء»^(١).

رؤياه حول الثعبان الأحمر:

وعندما زاره أحد إخوانه قال له سيد: «رأيتُ البارحة كأن ثعباناً أحمر يلف نفسه حولي، ثم يقترب، فاستيقظتُ من ساعتها ولم أنم» قال له أخوه: «اسمع يا سيدي: هذه هدية سيقدمها لك أحد المؤمنين، هي ملفوفة لفات بخيط أحمر». قال سيد: «ولماذا لا يكون تفسيرها: أن أكون أنا الهدية المقدّمة للمؤمنين».

فقال له: «أليس بقاء الصالحين أنفع للدعوة الإسلامية؟» أجاب سيد قائلاً: «ليس دائماً، بل ربما كان ذهابهم أنفع، ولا أتعمد التهلكة، ولكن يجب أن نتعمد الثبات، مع علمنا أن في الثبات التهلكة»^(٢).

وهكذا كان، فبعد تعذيب رهيب، قُدّم سيد قطب مع مجموعة من الإخوان إلى محاكمة صورية، وكان سيد في المحكمة كالأسد يخيف - وهو في قفص الاتهام مجرداً من كل وسيلة - بنظراته رئيس المحكمة الذي يتمتع بالسلطة والقوة المادية، فقد كان يتحاشى النظر إلى عيني سيد النافذتين.

(١) أفراح الروح: ٢٩.

(٢) الشهيد سيد قطب: ٦٤ - ٦٥ نقلاً عن ملحق النهار البيروتية عدد ٩١٤٦ تاريخ ١٨ أيلول ١٩٦٦م.

الحكم عليه بالإعدام شنقاً:

وقد صدر عليه الحكم بالإعدام مع اثنين من قادة الحركة الإسلامية، محمد يوسف هواش وعبد الفتاح إسماعيل، وقامت المظاهرات والاحتجاجات في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وقُدمت العرائض للتوسط لتخفيف الحكم، وبذل بعض المسؤولين في الدول الإسلامية جهودهم لدى الرئيس المصري.

وبعد الحكم عليه بخمسة أيام سمح الطغاة لسيد قطب أن يزور أخته حميدة، التي كانت في زنزانة مع زينب الغزالي، وكان برفقته ضابط من جيش السجن. قالت زينب الغزالي: «قلت مرحباً يا أخ سيد، هذه مفاجأة سارة وغالية جداً، إنها لحظات من رضوان الله، أن تجلس إلينا... وجلس يتحدث إلينا عن الآجال ومواعيدها، وأنها بيد الله، ولا أحد يتحكم فيها إلا الله، وأمرنا بالرضا والتسليم»^(١).

وكان بعد صدور الحكم بالإعدام راضياً بقدر الله، فرحاً بقرب لقاءه، مستبشراً بما عنده وقال: «الحمد لله، لقد عملت خمسة عشر عاماً من أجل الحصول على الشهادة»!.

رسالتان بخط سيد لأحمد عطار:

وفي صفر عام ١٣٨٦هـ الموافق أغسطس (آب) ١٩٦٦م - أي قبل أقل من شهر من إعدامه - تلقى الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في مكة المكرمة رسالتين كريمتين من سيد قطب، بعثهما إليه من زنزانه،

(١) أيام من حياتي، لزينب الغزالي: ١٨٢.

وشاء الله لهما أن تصلا إليه بطريقة خاصة، وقد نشرها الأستاذ أحمد عطار في مجلة (كلمة الحق) بخط سيد قطب بالزنكوغراف.

وتُعتبر الرسالتان وثيقتين هامتين، تُصوران حالة سيد قطب الإيمانية، بعد العذاب الرهيب الذي لقيه، وبعد صدور الحكم بإعدامه، كما تُصوران جلده وصبره وجهاده، وثباته وعزته واستعلاءه!.

ونورد فيما يلي مقتطفات منهما:

قال في الرسالة الأولى: «أما أنا فأجدني خيراً من أي وقت مضى - في عقيدتي وإيماني، وفي وضوح هذه العقيدة وهذا الإيمان في نفسي، وفي وضوح إدراكي وتصوري لهذا الأمر ومقتضياته، ووضوح الهدف والوسيلة والطريق والغاية، وكل هذا خير جزيل جميل، يرجح كل ما أديته ثمناً له، من راحتي وصحتي، والحمد لله».

وقال في الثانية: «أهم من أن أشكرك - فيما أعتقد - أن أطمئنك عليّ، وأنا في وضعي الذي تعلمه، لقد وجدت الله كما لم أجده من قبل قط، ولقد عرفت منهجه وطريقه كما لم أعرفه من قبل قط، ولقد اطمأننتُ إلى رعايته ووثقت بوعده للمؤمنين كما لم أطمئن من قبل قط، وأنا بعد ذلك على ما عهدتني، مرفوع الرأس لا أحنيه إلا لله، والله يفعل ما يشاء، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

ولا نريد أن تعلق على هذه الفقرات، فكل عبارة فيهما، بل كل كلمة وحرف، معالم مضيئة، وبصائر هادية، في طريق العمل الإسلامي اللائح الطويل، بيننا سيد قطب بكلامه، بعدما بينها بعمله وجهاده وثباته ﷺ! ^(١).

(١) انظر: قصة الرسالتين وصورتهم بالزنكوغراف في مجلة «كلمة الحق» العدد الثاني ١٣ - ١٤.

مساومات وإغراءات له للاعتذار:

وفي أثناء ذلك تعرض سيد في سجنه لوسائل شتى من الإغراء: منها أنه إذا قَدَّمَ أسطراً لرئيس الدولة يعتذر عما فعله! فإنه سيخرجه من السجن، ويعيد إليه اعتباره، ويوليه وزارة التربية والتعليم، واستخدموا إخوانه وأهل بيته للضغط عليه، ولكنه استعلى على كل هذه المحاولات، وثَبَّتَهُ الله على موقفه، وأطلق من سجنه عبارات نابغة من القلب، ذهبت مثلاً، إذ صار يتمثلها كل من وفقه الله للسير على طريق العمل الإسلامي بجد وثبات وإخلاص!.

من هذه الكلمات الخالدة: إجابته على سؤال أحد إخوانه: لماذا كنت صريحاً كل الصراحة في المحكمة التي تملك عنقك؟ قال: «لأن التورية لا تجوز في العقيدة، وإنه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص».

وقال: «لماذا أسترحم؟ إن سجنْتُ بحق فأنا أرضى حكم الحق، وإن سجنْتُ بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل»!.

وقال: «إنَّ أصبَحَ السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة، ليرفض أن يكتب حرفاً يقر به حكم طاغية».

وعندما طلب منه الاعتذار مقابل إطلاق سراحه قال: «لن أعذر عن العمل مع الله»!.

مدير السجن يطلب من أخته إقناعه:

وأمام ضغط المظاهرات والاحتجاجات التي أحدثها الحكم بإعدامه، أوعز عبد الناصر إلى رجاله بضرورة الإسراع في تنفيذ الحكم، وفي ليلة التنفيذ ١٩٦٦/٨/٢٨م جاء مدير السجن الحربي

حمزة البسيومي - في محاولته الأخيرة للحصول على تنازل منه - وكلم شقيقته حميدة، لتضغط عليه، وقد روت ما جرى بقولها: «قال لي: إن الحكومة مستعدة أن تخفف هذا الحكم، إذا كان شقيقي يجيبهم إلى ما يطلبون، ثم أردف قائلاً: إن شقيقك خسارة لمصر كلها، وليس لك وحدك، إنني غير متصور أن نفقد هذا الشخص بعد ساعات، إننا نريد أن ننقذه من الإعدام بأي شكل وبأي وسيلة، إن بضغ كلمات يقولها ستخلصه من حكم الإعدام، ولا أحد يستطيع أن يؤثر عليه إلا أنت، أنت وحدك مكلفة بأن تقولي له هذا... نريد أن يقول: إن هذه الحركة كانت على صلة بجهة ما، وبعد ذلك تنتهي القضية بالنسبة لك - أما هو فسيفرج عنه بعفو صحي.. قلتُ له: ولكنك تعلم - كما يعلم عبد الناصر - أن هذه الحركة ليست على صلة بأي جهة من الجهات! قال حمزة البسيومي: أنا عارف، وكلنا عارفون أنكم الجهة الوحيدة في مصر التي تعمل من أجل العقيدة، نحن عارفون أنكم أحسن ناس في البلد، ولكننا نريد أن نخلص سيد قطب من الإعدام! قلت له: «إذا كان سيادتك عاوز تبلغه هذا فلا مانع»!.

ولما عَرَضْتُ عليه مطلبهم قال لها: «والله لو كان هذا الكلام صحيحاً (الاتصال بجهة أجنبية) لقلتُ، ولما استطاعت قوة على وجه الأرض أن تمنعني من قوله، ولكنه لم يحدث وأنا لن أقول كذباً أبداً»!.

ثم سَمَحَ لهما أن ينفردا ببعضهما قليلاً، فأفهمته أصل الطلب. فسأل سيد شقيقته «وَأَنْتِ تَرْضَيْنَ ذَلِكَ؟» قالت: لا، قال: «إنهم لا يستطيعون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً، إن الأعمار بيد الله، وهم لا يستطيعون التحكم في حياتي، ولا يستطيعون إطالة الأعمار أو تقصيرها، كل ذلك بيد الله،



والله من ورائهم محيط..»^(١) وحملها الأمانة للمرشد الهضيبي قائلاً: «إن رأيتِ الوالد المرشد فبلغيه عني السلام وقولي له: «لقد تحمل سيد أقصى ما يتحمله بشر، حتى لا تُمسَّ بأدنى سوء».

كان سيد قطب متشوقاً إلى الشهادة، طالباً لها: قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]: «وهو تعبير عجيب عن معنى عميق. إن الشهداء لمختارون، يختارهم الله من بين المجاهدين، ويتخذهم لنفسه - سبحانه - فما هي رزية إذن ولا خسارة أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد، إنما هو اختيار وانتقاء وتكريم واختصاص.. إن هؤلاء هم الذين اختصهم الله ورزقهم الشهادة، ليستخلصهم لنفسه - سبحانه - ويخصهم بقربه»^(٢).

ولذلك قال عندما سمع الحكم بإعدامه: (الحمد لله، لقد عملت خمسة عشر عاماً من أجل الحصول على هذه الشهادة).

وفي ليلة التنفيذ تم نقله بسيارة إلى المكان المعد لتنفيذ الحكم، ليقتضي فيه ليلته، والتقطت له أجهزة الإعلام صورة عند ركوبه السيارة، وظهرت في الصورة ابتسامة عريضة مشرقة، ملأت وجهه، وهو يودع إخوانه، وقد وضع سيد قطب في ابتسامته هذه كل ما يريد أن يقوله لإخوانه ومؤيديه وتلاميذه والأجيال اللاحقة، وأبان فيها عن ثباته واستعلائه على المغريات، كما أبان عن فرحته بقرب لقاء الأحبة في الجنة، محمد وصحبه.

(١) أيام من حياتي: ١٨٣ بتصرف يسير.

(٢) في ظلال القرآن - طبعة الشروق: ١: ٤٨١.

استشهاده فجر الاثنين ٢٩/٨/١٩٦٦م:

وقبل بزوغ فجر يوم الإثنين ٢٩/٨/١٩٦٦م الموافق ١٣ جمادى الأولى عام ١٣٨٦هـ تقدم سيد وإخوانه، إلى جبل المشنقة بخطى وئيدة ثابتة. وتنفس الصبح على منظر الأبطال الثلاثة، وقد علقت أجسادهم بحبل المشنقة، بينما حلقت أرواحهم في سماء العلياء، ونزلت ملائكة السماء لاصطحاب هذه الأرواح الطاهرة، في رحلتها إلى عالم الخلود، واصطف المؤمنون والشهداء لتحية هذا الموكب الكريم.. وتزينت الحور العين لاستقبال أزواجهن، وأُزلفت الجنات للوافدين الجدد، وأسدل الستار على آخر صفحة من حياة الرائد الشهيد في هذه الدنيا الفانية، وبدأ عند ربه حياته الحقيقية في جنات الخلود، التي طالما تشوقت روحه إليها.

عُلِّوْا فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ لِحَقِّ تِلْكَ إِحْدَى الْمَكْرُمَاتِ

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

[آل عمران: ١٩٦]. صدق الله العظيم.

* * *

الباب الثاني

ثقافته ومواهبه وآثاره





الفصل الأول

مصادر ثقافته





المبحث الأول مصادر ثقافته العربية والغربية

عرفنا أن سيد قطب أمضى دراسته الأولية في القرية، وأنه كان في مقدمة الطلاب الأوائل، مما يدل على أنه هضم الكتب الدراسية المقررة، التي تعلم مبادئ القراءة والكتابة، وتعطي للتلميذ معلومات أولية في مختلف العلوم، تتناسب ونموه.

مصادر ثقافته في القرية:

لم يكتف سيد بتلك الكتب بل طمحت نفسه إلى المزيد من الثقافة، فصار يرتاد المساجد ويحضر دروس التفسير والحديث والفقه، التي يلقيها الأزهريون في مواسم معينة، ويثقف نفسه بها، وكان - على صغره - يتجراً ويسأل الشيخ الواعظ إن أبهم عليه شيء، أو تعارض ما يقوله مع معلومات سابقة لديه!.

وبعد أن حفظ القرآن، استفاد منه زاداً ثقافياً جديداً، بالإضافة إلى تقويم لسانه، وحسن بيانه، حيث تفتحت مواهبه المبكرة على أساليب القرآن الفنية المؤثرة، وقد كان لذلك أكبر الأثر على مسيرة سيد قطب الأدبية الفنية والبيانية فيما بعد.

كما كان يكثر في قريته من الاطلاع على الكتب الأدبية، من قصصية أو شعرية أو تاريخية، والتي كان يُعدها له مدرسه، الذين أعجبوا به وبمواهبه، وتوقعوا له نبوغاً، ومستقبلاً في عالم الأدب والفكر والثقافة.

ولا ننسى في هذا المجال الجريدة اليومية، التي كان والده مشتركاً فيها، والتي كان يقرؤها للقادمين إلى البيت، ثم يخلو بنفسه إليها،



ويطالع أخبارها وتحليلاتها السياسية، ومقالاتها الأدبية والعلمية والاجتماعية، والقصص والأشعار التي تنشرها، حيث كانت هذه أغلب موضوعات الصحف في ذلك الوقت.

وازدادت حصيلته الثقافية، بمكتبته الكبيرة - بالنسبة إلى سنه - والتي اشتراها من (العم صالح)، بائع الكتب المتجول، حيث قرأها كلها، كما قرأ الكتب الأخرى التي اشتراها زملاؤه في القرية، وكانت موضوعاتها متنوعة، فهي إما قصص خرافية، أو كتب صغيرة للأطفال، أو كتب سحر وطب شعبي.

وجمع إلى هذا كله تصوراته التي رسخت في ذهنه عن عفاريت القرية وغيلانها وجنّها، والقصص الريفية القديمة التي سمعها وانفعل بها، ومواويل القرية والشوق والمحبة، المنبعثة من أفواه العمال والمحبين.

مصادر ثقافته العربية:

قدم سيد قطب إلى القاهرة ومعه حصيلته الثقافية التي كوّنّها في قريته، وهناك راح ينهل من معين الثقافة الصافي، في الكتب الدراسية المنهجية، التي كانت مقررة عليه، سواء في دراسته في مدرسة المعلمين الأولية، أو في تجهيزية دار العلوم، أو في كلية دار العلوم نفسها، التي تخرج منها وانطلق للحياة العملية.

درس في هذه المرحلة الكتب العربية، التي تشمل علوم العربية ممثلة في النحو والصرف والعروض، والبلاغة بأقسامها، والأدب العربي تاريخه وأطواره، والأدب الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي والمملوكي، والأدب الحديث، والنقد الأدبي واتجاهاته

ومدارسه، والقصة ومناهج التأليف فيها، كما درس الشعر في الأدب العربي، الشعر الجاهلي وأبرز شعرائه، والشعر في العصور اللاحقة، ومدارس التجديد في الشعر العباسي، والشعراء الموهوبين كالبحتري وأبي تمام وابن الرومي والمتنبي والمعري، ورجال الشعر في العصر الحديث، والمدارس الشعرية المعاصرة.

ودرس علوم الدين الإسلامي، متمثلة في الفقه وأصوله، والحديث ومراحله، والتفسير وأبرز كتبه، ومناهج المفسرين، وعلوم القرآن، والبلاغة القرآنية، مثل بديع القرآن ومعاني القرآن وتشبيهات القرآن وكنياته، وإعجاز القرآن ومراحله ومدارسه.

لم يتعمق في هذه العلوم الدينية والعربية، وإنما أَلَمَ منها بنسب مختلفة متفاوتة، حسب مناهج الدراسة المنهجية، والمقصود من تدريسها للطالب أن يلم بإجمال مختصر، يمكنه من التعمق في هذه الموضوعات إن أراد في المستقبل.

جمع سيد قطب بالإضافة إلى الدراسات السابقة، دراسات أخرى في التاريخ والجغرافيا، وعلم الاجتماع والرياضيات والفلسفة، والعلوم من فيزياء وأحياء، ومناهج التربية ورجالها وأساليبها.

كان سيد يمثل في هذه المرحلة الطالب الذي يعي ما يدرسه، ويتفاعل معه ويتأثر به، ويزيد رصيده الثقافي، حتى بَرَّ أقرانه، وحاز إعجاب أساتذته، وقد تخرج في الكلية مجازاً في اللغة العربية وآدابها، ولم يكن خالي الوفاض من المعرفة والثقافة ك بعض الخريجين، وإنما ضم جوانحه على حصيلته الثقافية، ثم نماها وغذاها باطلاعاته الجديدة.



مصادر ثقافته الغربية:

خرج سيد إلى الحياة العملية، مزوداً بثقافته الواسعة التي حصلها أثناء دراسته، في مراحلها المختلفة، ولكنه لم يكتف بها، بل راح يبحث عن مصادر جديدة، يضيفها إلى رصيده الثقافي، ويوسع آفاقه من خلالها.

وجد ضالته في مكتبة أستاذه العقاد، التي كانت مليئة بمختلف نتاج الفكر الغربي، شعراً أو أدباً أو قصة، أو تاريخاً أو فلسفة، أو علوماً طبيعية، أو تربية، أو دراسات نفسية، أو حضارية، منها ما هو بلغته الأصلية، ومنها ما هو مترجم إلى العربية.

وقد كان العقاد وزميله المازني وشكري، يتأثرون بالفكر الغربي والثقافة الغربية، ومن المعجبين بالنتاج الغربي في شتى نواحي المعرفة الإنسانية، بل إنهم كَيَّفُوا نفوسهم وفق معطيات هذه الثقافة، حيث نمت عقولهم وثقافتهم عليها، وتكوَّنت نفسياتهم وتربت على مبادئها، وصار من الطبيعي أن يتأثر تلاميذهم بهم، وأن يتركوا لمساتهم واضحة على نفسية هؤلاء التلاميذ!!

ولقد كان أثر العقاد على سيد قطب كبيراً، إذ وجهه إلى البحث والدراسة والتحليل، حيث فتح له مكتبته، ليتزود بمختلف فروع المعرفة والثقافة، ودعّمه في بدء حياته العملية، وحال بينه وبين الفكر الماركسي الذي كان يمكن أن يتجه إليه.

المبحث الثاني رحلة الضياع

أغرى العقاد سيد قطب بدراسة الفكر الغربي، والثقافة الأوروبية التي راح يحب منها، والتي أثرت على فكره ونفسه وأحاسيسه، وتسببت بمرحلة من القلق والضياع والشك والحيرة، كادت تعصف به، وتوقعه في الضياع والعدمية، حيث انقطعت كل صلة بينه وبين نشأته الأولى، وتبخرت ثقافته الدينية وعقيدته الإسلامية، ومرَّ بمرحلة من الارتباب في الحقائق الدينية إلى أقصى حدود^(١) على حد قوله لأبي الحسن الندوي. وقد طالت هذه المرحلة في حياته، وأخرت وجهته الإسلامية لفترة طويلة، وقد كان العقاد هو المسؤول المباشر عن هذه المرحلة! لأنه هو الذي وجهه إليها!!

طبيعة الثقافة الغربية الجاهلية:

إن الثقافة الأوروبية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، والتي نهل منها سيد قطب وأستاذ العقاد: «تتميز بالسير نحو الفردية، وتنمية الاستقلال الفكري والنفسي، وإيجاد قيم خاصة، والخروج على القيم السائدة، ولذلك فإن الذي ينهل منها بغير ميزان ثابت يتيه في مجاهلها، ويضيع في تيار ضلالها»^(٢).

وقد تركت آثارها في مختلف نواحي المعرفة الإنسانية، بصياغتها لها وفق مبادئها وتصوراتها وقيمها: «إن اتجاهات الفلسفة بجملتها،

(١) مذكرات سائح من الشرق العربي، للندوي: ١٨٩.

(٢) سيد قطب، لبركات: ١٢.



واتجاهات تفسير التاريخ الإنساني بجملتها، واتجاهات علم النفس بجملتها - عدا الملاحظات والمشاهدات دون التفسيرات العامة لها - ومباحث الأخلاق بجملتها، واتجاهات التفسيرات والمذاهب الاجتماعية بجملتها - فيما عدا المشاهدات والإحصائيات والمعلومات المباشرة، لا النتائج العامة المستخلصة منها ولا التوجيهات الكلية الناشئة عنها - إن هذه الاتجاهات كلها في الفكر الجاهلي - أي غير الإسلامي - قديماً وحديثاً متأثرة تأثراً مباشراً بتصورات اعتقادية جاهلية، وقائمة على هذه التصورات»^(١).

نهل سيد قطب من هذه المعارف المختلفة التي أنتجتها الثقافة الغربية، وكَيَّفَتْها كما تريد، وراح يلتهم كل ما تنتجه المطبعة العربية من كتب مؤلفة أو مترجمة، أو دواوين شعرية، أو دوريات يومية أو أسبوعية أو شهرية، وكانت هذه الدوريات تحمل خلاصة الفكر الغربي، وآخر مكتشفات العلم هناك، وكان سيد يجد لذة في الاطلاع على هذه الخلاصة، ومتابعة ما يجري هناك أولاً بأول، وكانت مجلة (المقتطف) هي الرائدة في هذا المجال^(٢).

أثر الثقافة الغربية السلبي على سيد قطب:

تشرب سيد قطب هذه الثقافة، وغدا صاحب نظرات في الأدب والنقد، وفي الفلسفة والتربية وعلم النفس، وفي الحياة ومعناها، وسرها وغايتها، وأهدافها ورسالة الإنسان فيها، نظرات جديدة وفق قيم هذه الثقافة ومبادئها

(١) معالم في الطريق: ١٧١.

(٢) انظر ما أورده كمثل لاطلاعاته في تلك الفترة في مجلة دار العلوم - السنة السابعة - العدد الرابع - أبريل ١٩٤١م، صفحات ٤٠ - ٤٢.



واتجاهاتها، وصاغ عقليته الثقافية على هديها، ومرَّ بمرحلة من الضياع والشك، والحيرة والقلق، والعذاب والألم، فكان يبحث ويتأمل، وينظر ويفكر، ويسأل الأحياء والأموات والجوامد، يريد أن يكشف سر الحياة، ويعرف كنهها وغايتها، وحاول السير إلى القمة، وغاصت أقدامه في الرمال، وراح يبكي ويصرخ من الألم، ويلوم نفسه المتحفزة، وعقله الباحث، على ما وصل إليه، ويتمنى لو يدركه الموت، ليخلصه من عناء المعرفة، وعذاب البحث، وظل يبحث ويتأمل، ويسأل كل يوم، فلا يصل إلى الاستقرار، ولا يجد لأسئلته واستفساراته مجيباً، فوقع في قلق دائم، وهياج مستمر، وفَقَدَ اطمئنان الضمير، وسعادة النفس، وراحة البال، وسعة الصدر، ويقين القلب، فَقَدَ نفسه وقلبه و يقينه وحياته وسعادته، فغدا رجلاً بائساً حزيناً قلقاً عديمياً، لم يعرف سرَّ وجوده، ولا سر الكون من حوله، ولا هدف الحياة التي يحياها، فاعتبرها تافهة بكل ما فيها، واعتبر الفناء نهايتها، بكل ما فيها من أفكار وقيم، ومشاعر وأعمال، وسيطرت عليه روحه العدمية، وراح ينشر قصائده التي تنضح بهذه الروح، وغدا شبيهاً بعمر الخيام في رباعياته وضياعه وقلقه وحيرته!!!

رحلة ضياع سيد قطب غريبة:

هذا الكلام عن سيد قطب قد يبدو غريباً، ولكن لن يستغربه إلا إنسان لم يدرس مراحل حياته، ولم يتعرف على اتجاهاته في هذه المراحل، لأن معظم الناس لم يعرفوه إلا مفكراً إسلامياً أصيلاً، ولم يتعرفوا عليه إلا في مرحلة العطاء الفكري التي ختم بها حياته، والبعض تعرّف عليه أديباً ناقداً قبل اتجاهه الإسلامي، ولكن مَنْ لم يدرس حياته بالتفصيل، ولم يطلع على نتاجه المتنوع المنشور في الصحف والمجلات، لم يعرفه حق المعرفة!!



ولو قام باحث بجمع قصائده المنشورة في هذه الدوريات، ورتبها ترتيباً زمنياً حسب تاريخ نشرها، لعرف هذه المرحلة من حياته، وتعرف على اتجاهاته فيها، ولمس أثر الثقافة الغربية عليه، وشاهد ملامحه في رحلة الضياع التي سارها، والتي أنقذه الله منها، فلم يصل إلى نهايتها، حيث نقل خطاه نقلة بعيدة في طريقه إلى الخلود.

قصائد له تسجل ضياعه:

وسنقدم فيما يلي نماذج من قصائده، فيها الدليل القاطع على ما ذكرناه!!

١ - قصيدة «السر» عام ١٩٣٥م:

من هذه القصائد قصيدة (السر) التي نشرها في يناير ١٩٣٥م، والتي يقول فيها مخاطباً أصحاب القبور عند زيارته (لوادي الموتى): يقول معرّفاً بنفسه:

هو الشاعِرُ المَلْهُوفُ لِلْحَقِّ والهُدَى	وَلِلْسَرِّ لَمْ يَكْشِفْهُ ضَوْءٌ لِنَاظِرٍ
تَحَيَّرَ فِي سِرِّ الْحَيَاةِ وَمَا اهْتَدَى	إِلَيْهِ وَلَمْ يَقْنَعْ بِتِلْكَ الظُّوَاهِرِ
وَسَاءَلَ عَنْهُ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ سَادِرٌ	وَسَاءَلَ عَنْهُ الشَّعْرُ فِي حَنْقِ نَائِرٍ
وَسَاءَلَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ فَلَمْ يَقْزُ	بِشَيْءٍ وَلَمْ يَرْجِعْ بِصَفْقَةِ ظَاوِرٍ
أَفِي هَذِهِ الْأَجْدَاثِ طَلَسُمُ سِرِّهِ	لَعَلَّ، فَمَنْ يَدْرِي بِسِرِّ الْمَقَابِرِ ^(١)

وقد عَرَفَ أَهْلَ الْقُبُورِ بِقَصْدِهِ مِنْ زِيَارَتِهِمْ قَائِلًا:

أَنَا الْحَيُّ لَمَّا يَدْرُ أَسْبَابَ خَلْقِهِ	أَنَا الْمُدْلِجُ الْحَيْرَانُ بَيْنَ الْخَوَاطِرِ
دَلَفْتُ إِلَى وَادِي الْمَنَايَا لَعَلَّنِي	أَفُوزُ بِسِرِّ فِي حَنَائَاهُ غَائِرِ

(١) دار العلوم - السنة الأولى - العدد الثالث - يناير ١٩٣٥م، صفحة ٨٣ - ٨٤.

ثم طرح أسئلته عليهم، وكله أمل في أن يجد عندهم الجواب الشافي عليها!!

أَمَّا تَعْلَمُونَ السِّرَّ فِي خَلْقِ عَالَمٍ
وَتَكْنَفُهُ الْأَحْدَاثُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ غَايَةٍ غَيْرَ أَنَّهُ
ضَنِينٌ بِمَا يَتَّبِعُهُ لَيْسَ يُبَيِّحُهُ
وَمَاذَا وَرَاءَ الْغَيْبِ وَالْغَيْبُ مُطْبَقٌ
سُؤَالُ أَخِي شَوْقٍ وَقَدْ طَالَ شَوْقُهُ
يَمُوتُ وَيَحْيَى بَيْنَ حِينٍ وَآخِرٍ
وَيَرْكَبُ لِلْغَايَاتِ شَتَّى الْمَخَاطِرِ
مَسُوقٌ إِلَى تَحْقِيقِ رَغْبَةٍ قَاهِرٍ
لِسَائِلِهِ عَمَّا وَرَاءَ الظَّوَاهِرِ
وَهَلْ يَتَجَلَّى مَرَّةً لِلنُّوَاطِرِ؟
وَحَيْرَتُهُ بَيْنَ الشُّكُوكِ الْكَوَاثِرِ^(١)

ولكنه لم يسمع سوى صدى أسئلته، فرجع خسران خائب الآمال، وراح يتمنى لو يأتيه الموت ليريبه:

فَأَلْفَى سَرَاباً ثُمَّ لَا يَنْفَعُ الصَّدَى
فَقَدْ كَانَ خَيْرًا أَنْ يَعِيشَ عَلَى الْمُنَى
وَيَا لَيْتَ هَذَا الْمَوْتُ يَسْرِعُ خَطْوُهُ
فَيَطْوِي حَيًّا عُمْرُهُ رَبُّحَ خَاسِرٍ!^(٢)
فَوَا نَدَمًا عَنْ بَحْثِهِ الْمُتَوَاتِرِ
وَيَأْمَلُ بَعْدَ الْمَوْتِ كَشَفَ السَّتَائِرِ

٢ - قصيدة «الإنسان الأخير» عام ١٩٣٤م:

ويوجه في قصيدته «الإنسان الأخير» دعوة إلى عزرائيل كي يخلصه من هذا العذاب والضيق، فقد يئس من معرفة سر الحياة:

هُنَالِكَ دَوْتُ فِي السَّمَائِكُنِ صَيْحَةً
بَرَمْتُ بِهَذَا الْكَوْنِ هَمْدَانٍ مُوحِشًا
فَهَيَّا إِذْنٌ لِلْمَوْتِ أَرْوَحُ رِحْلَةً
دُعَاءٌ لِعِزْرَائِيلَ وَالْكَوْنُ سَادِرُ
بَرَمْتُ بِمُلْكِ رَبُّهُ فِيهِ خَاسِرُ
لِتُكْشَفَ أَسْتَارُ وَيَهْدَأَ نَائِرُ

(١) دار العلوم: ٨٥.

(٢) دار العلوم - نفس المرجع: ٨٦.

وَفِيْمَا يُعَانِي سَكْرَةَ الْمَوْتِ رَفَرَقْتُ إِلَى مَسْمَعِيهِ هَاتِفَاتٍ سَوَاجِرُ
«هُوَ السِّرُّ أَنْ تَهْفُوا إِلَى السِّرِّ لَهْفَةً وَأَنْ تَشْتَرُوا الْآتِي بِمَا هُوَ حَاضِرٌ»^(١)

٣ - قصيدة «قافلة الرقيق» عام ١٩٤٦م:

ويصور نفسه فرداً في (قافلة الرقيق) يسير مذعناً إلى المجهول، فإذا ما حاول التوقف لمعرفة السر اقتيد قسراً إلى رحلته.

يقول في قصيدته (قافلة الرقيق):

قَفْ بِنَا يَا حَادِي الْعُمْرِ هُنَا لَحْظَةً نَنْظُرُ مَاذَا حَوَّلَنَا
فِي طَرِيقٍ قَدْ نَثَرْنَا عُمْرَنَا فِيهِ أَشْلَاءُ حَيَاةٍ وَمُنَى
قَدْ نَثَرْنَاهَا عَلَى طَوْلِ الطَّرِيقِ وَمَضَيْنَا ضِمْنَ قِطْعَانِ الرَّقِيقِ
مُوكِبٌ يَعْطُو إِلَى الشَّطِّ السَّحِيقِ مُغْمَضُ الْعَيْنَيْنِ يَمْشِي مَوْهِنَا
مِنْ ظَلَامِ الْغَيْبِ تَخْطُو قَدَمَاهُ لِظَلَامِ الْغَيْبِ تَسْأَقُ خُطَاهُ
فِي طَرِيقٍ غَامِضٍ يُدْعَى الْحَيَاةُ يَهْتِفُ الْحَادِي فَيَمْضِي مُذْعَنًا^(٢)

ويبلغ سيد قطب قمة (العدمية) والشعور بتفاهة الحياة، وفنائها وزوالها، بما فيها من قيم وآمال، وشخوص وظلال، وتبدو لمسات الثقافة الجاهلية واضحة عليه، بل يُخَيَّلُ للقارئ أن صاحب القصيدة ليس سيد قطب الذي عهده، بل هو عمر الخيام (قائد الضائعين) في رحلة الحياة الذي يقول:

لَبِسْتُ ثَوْبَ الْعُمْرِ لَمْ أُسْتَشَرَ وَحِزْتُ فِيهِ بَيْنَ شَتَى الْفِكْرِ
وَسَوْفَ أَنْصُو الثَّوْبَ عَتِي وَلَمْ أَدْرِ لِمَاذَا جِئْتُ أَيْنَ الْمَفَرِّ؟^(٣)

(١) المقتطف - مجلد ٨٥ - الجزء الرابع - ديسمبر ١٩٣٤م، صفحة ٤٣٤.

(٢) الكتاب - المجلد الثاني - الجزء الثامن - يونيه ١٩٤٦م: ٢٩٠.

(٣) كتب وشخصيات: ٧٦.

٤ - قصيدة «أقدام في الرمال» عام ١٩٤٦ م:

أقول: إن سيد قطب يمثل هذا في قصيدته (أقدام في الرمال) التي يقول فيها:

نَحْنُ؟ أَمْ تِلْكَ عَلَى الْأَرْضِ ظِلَالٌ وَخَيَالٌ سَارِبٌ إِثْرَ خَيَالٍ
 فِي مَتَاهَاتٍ وَجُودٍ لِزَوَالٍ كَبَقَايَا الْخَطُوفِ فِي وَجْعِ الرَّمَالِ
 زُمُرٌ تَدْلُفُ فِي إِثْرِ زُمُرٍ وَيَخُفُّ نَفْسِي إِنَّهُ رَكْبُ الْبَشَرِ
 مُغْمَضُ الْعَيْنَيْنِ فِي كَفِّ الْقَدَرِ كُلَّمَا أَوْغَلَ فِي التِّيهِ انْدَثَرُ
 أَيْنَ رَأْسِ الرُّكْبِ أَمْ آيَانِ سَارَا مَا أَرَى فِي إِثْرِهِ حَتَّى غُبَارَا
 مَا أَرَى قَبْرًا وَمَا أَبْصُرُ دَارَا ضِلَّةً لِي! ذَاكَ ظِلٌّ وَتَوَارَى
 مِنْ ظِلَامِ الْغَيْبِ فِي التِّيهِ الْبَعِيدِ لِظِلَامِ الْغَيْبِ فِي التِّيهِ الْمَدِيدِ
 وَمَفْضَةٌ كَالْبَرْقِ تَجْتَازُ الْوُجُودَ وَيُسَمِّيهَا بَنُو الْأَرْضِ الْخُلُودَ
 خِدْعَةٌ رَاقَتْ لِأَبْنَاءِ الْفَنَاءِ حِينَمَا أَغْيَا عَلَى الْأَرْضِ الْبَقَاءِ
 الْمَسَاكِينُ هَبَاءٌ فِي فُضَاءِ رَحْمَةً لِلذَّرِّ فِي مَسَرَى الْهَوَاءِ!
 مَا أَرَى الْأَرْضَ تَحْسُ الْوَافِدِينَ أَوْ أَرَى الْأَرْضَ تَحْسُ الرَّاحِلِينَ
 كُلُّ مَا كَانَ وَمَا سَوْفَ يَكُونُ نَأْمَةٌ تَهْجُسُ فِي جَوْفِ الشُّكُونِ
 خُطُواتُ ذَاهِبَاتٍ فِي الرَّمَالِ وَخَيَالَاتُ تَرَاءَى لِخَيَالِ
 وَشُخُوصٌ تَتَوَارَى كَظِلَالٍ لِلزَّوَالِ.. كُلُّ شَيْءٍ لِلزَّوَالِ^(١)

وقد خلع سيد قطب على الكون كله حيرته وتعبه وضياعه، فصوره لنا يقف شاخصاً حيران، لا يعرف وجهته، وبَيَّنَ أن كل ما فيه فهو ضائع.

(١) الكتاب - المجلد الثاني - الجزء الثاني عشر - أكتوبر ١٩٤٦ م، صفحة ٩٣٠.



يقول:

وَقَفَ الْكَوْنُ حَائِراً أَيْنَ يَمْضِي؟ وَلِمَاذَا وَكَيْفَ لَوْ شَاءَ يَمْضِي؟
عَبَثُ ضَائِعٍ وَجُهِدٌ غَبِينٌ وَمَصِيرٌ مُقَنَّعٌ لَيْسَ يُرْضِي^(١)

* * *

(١) في ظلال القرآن - دار الشروق: ٦، ٣٣٥٢.

المبحث الثالث

نقلة بعيدة

لو استمر سيد قطب في رحلة الضياع التي وصفناها، لقضى عمره في ضياع، قلقاً حائراً بائساً حزيناً، يسأل ولا يجد جواباً، يبكي ويصرخ، ويتعذب ويتألم، ويئن ويشكو، لا يجد قلبه ولا نفسه ولا معنى لحياته!!

نقله الله إلى الإيمان واليقين:

ولكن الله قدّر له أمراً آخر، ورسم له طريقاً جديداً، وأعد له مهمة كبرى!! وسار سيد في الطريق الذي رسمه الله له، بخطى ثابتة موفقة، وإذا به يتحول كلياً من حال إلى حال، وإذا بنفسه وحسه، ومشاعره وأفكاره وقيمه، تولّد ولادة جديدة، وتتكيف مع الوضع الجديد، وإذا به إنسان آخر، واضح الملامح والسمات، مقطوع الصلة بالماضي الذي وصفنا، ولا يكاد المرء يصدق أن سيد قطب الذي عرفه بالأمس، هو نفسه سيد قطب الذي يعرفه اليوم، بل يكاد يجزم أنهما شخصان مختلفان!!

ويزول عن المرء استغرابه، وتنتهي حيرته، عندما يعرف السر الذي أدركه سيد قطب، والذي غير حياته ونظراته إلى الكون والإنسان والحياة، هذا السر هو ومضة الإيمان التي أضاءت جوانح قلبه، فبددت ظلامه، وراح يمشي مبصراً في عالم النور، سوياً على صراط مستقيم!!

أومضت له هذه الومضة النورانية، عندما أقبل على القرآن الكريم، وكان أول إقباله عليه أنه أراد أن يطلعه ويدرسه ويتمعن فيه، لدواعٍ أدبية صرفة، فقد أراد أن يتحسس مواضع الجمال الفني فيه، ووفق في اكتشافه الجديد الذي سجله في كتابه (التصوير الفني في القرآن).



لم يكن قد تكيف مع القرآن حتى الآن، ولا عاش حياته الحقيقية في ظلاله، لأنه لم يتخلص بسهولة من الرواسب التي تركتها الثقافة الغربية في نفسه، وإنما راح - في معاناة وجهد عجيبين - يتخلص منها، ويتكيف مع حياته الجديدة.

«موسيقى الوجود» في أمريكا:

وعندما سافر إلى أمريكا، ورأى الجاهلية هناك على حقيقتها، تعمقت معاني الإيمان في نفسه، وشعشع النور في شغاف قلبه، وعلى ضوئه أخذ يدرك سر الحياة وغايتها.

يقول في مقاله (موسيقى الوجود) إنه أحس بهذه الموسيقى مرتين: «مرة وأنا في عرض المحيط، والباخرة تمر مر الريح على وجه الخضم، والنسيم رخاء، والليل ساكن، والقمر مفضض الألاء.

والثانية وأنا على قمة جبل تشرف على حديقة من الصخور يسمونها هنا (حدائق الآلهة) وقد انكشف المرتقى والمنحدر كلاهما، واعتنقا عند تلك القمة الشاهقة في الفضاء، لست أدري كيف أحسست، ولست أدري كيف أقول، إلا أن تعبيراً واحداً انساب على لساني في تلك اللحظة، التي أومضت في روحي كما تومض الشعلة، فتكشف الطريق إلى بعيد ثم تغيب.. تعبير واحد أحسست فيه كل ما فاض على خاطري في تلك اللحظة من قدسية وشفافية وتسبيح (موسيقى الوجود)»^(١).

وقد أثرت فيه هذه الومضة النورانية التي أسماها (موسيقى الوجود) مباشرة، وتمكنت من حسه ونفسه ووجدانه، واكتشف سر الحياة على

(١) الكتاب - المجلد التاسع - الجزء الرابع - أبريل ١٩٥٠م: ٣٢٦.

ضوئها، وأعلنها واضحة: «كلا، إنها ليست لُقي هذه الحياة، ولا وليدة المصادفة العمياء»، «كلا إن هناك نغماً واحداً سارياً في هذا الكون كله، ولكن الأذان لا تسمعه في كل آن، وإن هناك نسقاً واحداً يضم الأشتات، ولكن العيون لا تبصره في كل اللحظات».

ثم يتساءل بعدما أحس: «هل خدعتني الأوهام وكذبتني الأحلام؟ كلا! فإني لأُكذِّبُ ما تلمسه يدي، وما تراه عيني، وما تسمعه أذني، ولا أُكذِّبُ مسَّ هذه اللحظة الخاطفة لروحي، وإشراقها في ضميري»^(١).

تفاعل كيانه مع هذه الومضة، وفتح مغاليقه لهذا النور، وتذوقت روحه حلاوة الإيمان، وهنا أحس أنه قد ولد من جديد، أحس لذة الراحة وبرد اليقين، ووجد نفسه وذاته، وعرف سر وجوده، لقد رُزِقَ الإيمانَ أكبر منّة في الوجود، وضم جوانحه عليه، وصار عليه حريصاً، وبه ضنيناً، لقد عرف قيمة ما معه، وصار أغلى عنده من الحياة نفسها، لأن قلبه من قبل قد اجتاحه القلق والظلام، وغمرته الوسواس والشكوك، واستبد به الأسى والشقاء، وتخطط طويلاً في ظلماء، لا يعرف أين يضع قدميه، وصرخ قلبه طويلاً صرخات موجعة..

أمّا الآن فهو فرحٌ مسرور، لحصوله على هذا الرصيد من الهدى والنور، والثقة والطمأنينة، والرضا والسعادة، والمعرفة واليقين.

وجد في الإيمان ضالته:

استقرت حقيقة الإيمان في قلبه، وسيطرت على وجدانه وحسه وفكره، ووجهت مشاعره وأفكاره، وأعماله وسلوكه، نحو الغاية المحدودة، أثار الإيمان في نظرتة إلى الوجود، فوسع من تصوره له،

(١) الكتاب - نفس المرجع: ٣٢٧.



وقوى من يقينه، فانطلق يصحح على أساسه تصوره للقيم والأشياء، والأشخاص والأحداث، واطمأن بذلك في رحلته على هذه الأرض. وأنس بكل ما في الوجود من حوله، وشعر بقيمته وكرامته، وأحس بأن له مهمة مرسومة، وهدفاً محدداً وطريقاً واضحة، وأن عليه أن يتحمل ذلك كله بأمانة وإخلاص، ليُرْضَى اللهَ وَرَجُلًا، ويحقق الخير للناس.

وجد بهذا الإيمان الجواب الفاصل اليقيني على أسئلته التي طالما وجهها إلى الأحياء والأموات والكون، عرف من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وبهذا الجواب اختفت عنه مشاعر القلق والشك والحيرة، الناشئة عن عدم معرفته المنشأ والمصير، وعدم رؤية المطوي من الطريق، وعدم الثقة بالحكمة التي تكمن وراء مجيئه وذهابه، ووراء رحلته في الحياة. لقد كسب بإيمانه كسباً ضخماً في عالم الشعور، وعالم التفكير، وعالم الجسد والأعصاب^(١).

أقبل على القرآن يتذوقه ويعيش معانيه، وأقبل على الثقافة الإسلامية: «ينهل منها ويعبّ ولا يرتوي.. حتى بلغ مجموع ساعات مطالعته في اليوم عشر ساعات، كحدّ أدنى للبحث والاطلاع»^(٢).

صاغ على هدي هذا القرآن قيمه ومبادئه وموازينه، وفكره ونفسه ووجدانه، ومشاعره وأحاسيسه، وصار يسعى إلى تطبيق ما يؤمن به، وكيف حياته وسلوكه وواقعه وفقه. لم يعد - على هدي حالته الجديدة - يؤمن بالتفريق بين المبدأ وصاحبه، لأن المبدأ أو الفكرة بدون عقيدة حارة تدفع قلب الشخص إلى الأمام، ليس سوى كلمات

(١) لبيان أثر الإيمان في نفسية صاحبه، انظر: «في ظلال القرآن» ٦: ٣٣٥١ - ٣٣٥٣ دار الشروق.

(٢) انظر: مقالة يوسف العظم في (الشهيد سيد قطب): ٢٧.

خاوية أو معان ميتة، أو صياغة لفظية خالية من الروح والحياة. وإن التفريق بين الفكرة والشخص، كالتفريق بين الروح والجسد، أو المعنى واللفظ، وإن تَمَّتْ فإنما تعني التحلل والفناء.

وقد حدثنا عن تجربته في معاشة ما يؤمن به «وكنْتُ أجدني أقرب إلى حقيقتي وأنا أكتبه، إلى حد أن أعيش هذه الأفكار والخواطر، وأترجمها شعوراً وسلوكاً، لحظة بعد لحظة، ويوماً بعد يوم، وكنْتُ أجد من الصفاء الروحي والرضا النفسي بسبب عيشتي لهذه الأفكار، ما يملأ حياتي غبطة، أن لا أجد ما يخجلني أمام نفسي من عزلة بين ما أقول للناس وما أزاوله في الحياة»^(١).

وبدأ يتخلص من أثر الثقافة الغربية عليه، ويزيل رواسبها شيئاً فشيئاً، فصار وهو في أمريكا يهاجم الحضارة الغربية في عقر دارها، ويكشف عوراتها ومساوئها، ويعلن بعزة وشجاعة تمسكه بالإسلام، ويدعو إليه على بصيرة.

نشاطه الإسلامي بعد عودته من أمريكا:

وعندما عاد إلى مصر، أدرك على هدي إيمانه الجديد، أنه لا بد أن يجند نفسه ووقته وطاقاته ومواهبه لخدمة هذا الدين، والدعوة إليه، وتحكيمه في واقع الحياة، فرأيناه جندياً عاملاً في الدعوة الإسلامية، حيث سخر كل ما يملك في سبيل الله، من خلال عمله مع جماعة الإخوان المسلمين.

تغيرت نغمة كتاباته بعدما تعمق الإيمان في قلبه، فانصرف عن نظم

(١) الكتاب: المجلد العاشر - الجزء الرابع - أبريل ١٩٥١م: ٣٩٠ - ٣٩١.



الشعر، وعن الاهتمامات الأدبية الأخرى، من مقالة أو نقد أو بحث، واتجه إلى الإسلام في مقالاته وبحوثه، يجلي محاسنه، ويبين مبادئه، ويعالج أمراض المجتمع على هديه، ويجاهد الجاهلية به، ويستخرج معالم الطريق منه.

وبمقدار ما أغاظ أعداء الإسلام في داخل البلاد وخارجها، باتجاهه الجديد، وبروحه الفتية التي توفرت لديه، بمقدار ما استحوذ على قلوب الشباب المؤمن، في الداخل والخارج، ووجدوا في مقالاته وبحوثه ومحاضراته ونشاطاته، زاداً لهم ومعرفة وثقافة، وجعلوه قدوة لهم، ورائداً يكشف أمامهم الطريق.

تحولت كلماته إلى معالم مضيئة، تنير الطريق للمجاهدين، وفي نفس الوقت تحولت إلى كوايسس مرعبة تقض مضاجع الظالمين، وإنذارات موجهة إلى أعداء الدين.

كلامه عن سرّ «قوة الكلمة»:

وقد كانت كلماته وأفكاره الوقود الذي أشعل الثورة المصرية، وقد عجب هو نفسه من قوة الكلمة، وكشف عن سر هذه القوة قائلاً: «إن السر العجيب ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات، إنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء الكلمات، إنه في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية، والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس، في هذا يكمن سر الكلمة، وفي شيء آخر: في استمداد الكلمات من ضمائر الشعوب، ومن مشاعر الإنسان، ومن صرخات البشرية، ومن دماء المكافحين الأحرار! إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين، فتحركها وتجمعها وتدفعها، إنها الكلمات

التي تقطر دماء، لأنها تقتات قلب إنسان حي، كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان، أما الكلمات التي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسنة، ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبراً واحداً إلى الأمام. إن أحداً لن يتبناها لأنها ولدت ميتة، والناس لا يتبنون الأموات، إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئاً كثيراً، ولكن بشرط واحد: أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم. أن يُطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم. أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق، ويقدموا دماءهم فداء لكلمة الحق، إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثاً هامة حتى إذا متنا في سبيلها وغذيناها بالدماء، انتفضت حية، وعاشت بين الأحياء.

فإلى الذين يجلسون إلى مكاتبهم ويكّدون قرائحهم، لينتقوا اللفظ الأنيق، وينمقوا العبارة الرنانة، ويلفقوا الأخيصة البراقة. إلى هؤلاء أتوجه بالنصيحة: وقّروا عليكم كل هذا العناء، فإن ومضة الروح، وإشراق القلب بالنار المقدسة. نار الإيمان بالفكرة.. هو وحده سبب الحياة حياة الكلمات وحياة العبارات»^(١).

بهذه الكلمات القوية، أبان لنا عن سبب تأثير كلماته، وأرانا روحها، وعلى هذا الهدي سار في بقية حياته، فعاش عزيزاً شجاعاً عاملاً، ولما ضيق عليه في دنياه، واكتوى بنار المحنة والابتلاء مع إخوانه، سخر بالجلادين والطغاة، واستعلى عليهم بإيمانه، وأراهم من نفسه العزة والكرامة، وعاش سنوات المحنة، في الزنازين والسجون، في جو آخر، وحلّق في آفاق شفافة عالية، عاش مع القرآن، وتفتياً



ظلاله، وتذوق ألفاظه ومعانيه وقيمه، وأخرج للعالم نتيجة نظراته ودراساته فيه، وبين لنا طرفاً من حياته معه، وكشف لنا عن سرو روحه ونفسه الراضية الآمنة.

وأخيراً بذل روحه في سبيل دينه، وقدم نفسه فداء لما يؤمن به، ولقي ربه شهيداً صادقاً وفيّاً، قال قبل أن يلقى الشهادة: «إن كلماتنا تبقى عرائس من الشمع، حتى إذا متنا في سبيلها دبت فيها الروح، وكتبت لها الحياة»^(١).

وما أن خرجت روحه من جسده، حتى دبت الحياة في كلماته، فتلقفها الشباب الطامئ إلى الإسلام، وراح يغترف من منهلها، ويحيي نفسه وفكره وروحه بمعانيها.

سيد قطب رائد الفكر الإسلامي المعاصر:

إن سيد قطب يمثل نموذجاً خاصاً، يذكرنا بالصحابة الكرام عند استقبالهم لهذا القرآن، فما أن يومض الإيمان في قلب أحدهم حتى يتحول إلى رجل جديد بملامح جديدة، وكيف سلوكه وواقعه وفق تعاليم الإسلام، ويخلع على عتبة الإسلام كل ماضيه.. وهكذا كان سيد قطب، لمسنا فيه آثار هذا الإيمان، وسار معه نقلة بعيدة، وهذا يبين لنا فضل الإسلام عليه، فلولاه ل بقي ضائعاً تائهاً قلقاً، وبه صار رائد أجيال، وقائد دعوة، ومدرسة جهاد ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[الحجرات: ١٧].



صار سيد قطب - بالإسلام - رائداً، والرواد في تاريخ الإنسانية قليلون، وقد بين لنا طبيعة هؤلاء الرواد بقوله: «إن الرواد دائماً كانوا وسيكونون هم أصحاب الطاقات الروحية الفائقة، هؤلاء هم الذين يحملون الشعلة المقدسة، التي تنصهر في حرارتها كل ذرات المعارف، وتنكشف في ضوئها طريق الرحلة، مزودة بكل هذه الجزئيات، قوية بهذا الزاد، وهي تجدد السير نحو الهدف البعيد! هؤلاء هم الرواد الذين يدركون ببصيرتهم تلك الوحدة الشاملة، المتعددة المظاهر في: العلم والفن والعقيدة والعمل...

إنهم قليلون، قليلون في تاريخ البشرية.. بل نادرين! ولكن فيهم الكفاية.. فالقوة المشرفة على هذا الكون هي التي تصوغهم، وتبعث بهم في الوقت المقدر المطلوب»^(١)!

* * *

(١) أفراح الروح: ١٩ - ٢٠.



الفصل الثاني

ملامح شخصيته وخصائص أسلوبه



المبحث الأول أهم ملامح شخصيته

إن المتتبع لسير سيد قطب في مراحل حياته المختلفة، منذ طفولته إلى استشهاده، والدارس لنتاجه وآثاره، والمطلع على مواقفه وأعماله، والمتذوق لأدبه وبيانه، يستطيع أن يرسم في مخيلته صورة واضحة القسّمات، تبدو فيها ملامح شخصيته، وتظهر فيها العوامل المؤثرة في نفسيته، كما تطل منها على السطح سجاياء ومزاياء وأخلاقه!

سيد قطب يحلل نفسه:

وقبل أن أوجز أهم ملامح شخصيته، أرى من المناسب أن أدعه يتحدث عن شخصيته، ويحلل نفسيته، ويرينا إياها واضحة، فأدري الناس بالنفس وخباياها هو صاحبها، يقول سيد متحدثاً عن نفسه:

نفسي خيرة محبة، يغمر الحنان جوانبها، تريد - لو استطاعت - أن تبسم لكل شيء، وأن يبسم لها كل شيء.. وهي تعشق الرضا والهدوء، وتتلمسهما في كل ناحية، وفي كل مظهر من مظاهر الحياة، وتود لو كانت الحياة منبسطة هادئة، لا عوج فيها ولا نتوء، ولكنها مع ذلك تحتفظ بخيرها وحنانها في أشد ساعات الغضب والانفعال والسخرية، وهي تود ألا تغضب ولا تنفعل في يوم من الأيام، حتى إذا انتهى ذلك الموقف عاد إليها حنانها، وعادت تبحث عن مظاهر الود والمحبة، بحث اللاهث المستزيد! وكل ذلك في غرارة بريئة مندفعة، في رضاها وسخطها على السواء، وفي طفولة كبيرة لا تخرج منها إلا وهي تحن إليها، وتسخط على الحوادث والتجارب التي فجعتها فيها.



ويعلل سبب ثورته وشكواه وغضبه وسخطه بأنه ناتج عن (التفاعل بين الحياة بقسوتها وسكونها وبين هذه النفس التي تُفجع في هدوئها وتُنكب في آمالها).

وبيّن آفاق حبه بقوله: «وهذا الحب الذي يخفق به قلب شاعرنا ليس مقصوداً على حب المرأة، ولا حب الأصدقاء، وما أردت ذلك فقط حين قلت إن نفسه (محبة)، وإنما قصدت إلى معنى أشمل، هو معنى الحب العام الذي يعمر النفوس، فلا يدع فيها مكاناً للبغضاء أو الحقد، والذي يجعلها نزاعة أبداً إلى الاجتماع والعطف، وتلقّي كل مظهر من مظاهر الحياة بنوع من القبول والرفق، فهو يود لو يشمل الكون جميعه بالحنان، وأن يشمل كل شيء في الكون بالحنان كذلك، وأن يكون بينهما تعاطف وتراحم وتوادّ.

ويكمل تحليل نفسيته بيتين من الشعر يقول فيهما:
هُوَ قَلْبٌ مَا دَرَى كَيْفَ الشُّرُورُ لَا وَلَا كَيْفَ يُرَائِي أَوْ يَخُونُ
يَحْفَظُ الْوَدَّ وَحَاشَا أَنْ يَجُورُ وَلَكُمْ يَبْكِي لِمَرَأَى الْبَائِسِينَ»^(١)
ونستطيع أن نُضيف إلى تحليله الذي ذكر فيه بعض ملامح شخصيته، وسمات نفسيته بعض الملامح الأخرى:

١ - الصدق:

غرس هذه السمة فيه منذ صغره، وبقيت ملازمة له طيلة حياته، فقد كان في طفولته صادقاً في كلامه، وفي معاملاته، وفي علاقته مع الآخرين، وعندما شب سيد قطب، وصار يمارس الكتابة ونظم الشعر،

(١) الأسبوع - المجلد الثالث - عدد ٣٧ تاريخ ٨ أغسطس ١٩٣٤م، صفحة ١١.



انصبغت آثاره كلها بهذه الصبغة، الصدق المطلق، الصدق في بواعث القول، والصدق في الإحساس الشعوري، فما كان ينظم قصيدة إلا بعد أن يعيشها في شعوره، وتتوهج نفسه في الإحساس بمعانيها، ثم تأتي الكلمات والأبيات الشعرية، تنقل هذه التجربة التي مرَّ بها بصدق، ولذلك ما رأينا سيد قطب - مثل بعض الشعراء - يقف في المجمع والاحتفالات، ينشد قصائده، يتزلف بها في مدح ملك أو عظيم^(١)، وما رأيناه - كغيره من الشعراء - يقول الشعر في معان لم تتفاعل بها نفسه، وقد عاب في مقالاته النقدية كثيراً على شعراء المناسبات، الذين تكون القوافي عندهم جاهزة للقول في أي غرض شعري.

انصبغت مقالاته بهذه الصبغة، فكان صادقاً في قول ما يريد، يقوله صريحاً فيه، غير عابئ بما يصيبه منه، المهم عنده أنه كان صادقاً مع نفسه، في التعبير عما تحس به، ولذلك ضاق الأدباء ذرعاً بمقالاته النقدية، التي وجهها لأدبهم وشعرهم، وحاولوا بشتى الوسائل أن يحملوه على أن يغير أحكامه، ولكنه كان يصبر عليها!

كذلك ضاق النظام الحاكم في مصر - وعلى رأسه الملك - بمقالاته الصادقة، التي بين فيها أمراض المجتمع، وأظهر فيها صوراً عديدة من الظلم الاجتماعي، يتجلى فيها الترف الفاجر في مقابل البؤس والحرمان.

(١) غير قصيدة نشرها سيد قطب في مجلة دار العلوم باسم (المهرجان)، قالها في مدح فاروق، ولا نعرف دوافعه إلى إنشادها، إلا أن مجلة دار العلوم خصصت ذلك العدد الذي نشرت فيه القصيدة بجلوس فاروق ملكاً على العرش، ونشرت فيه قصائد كثيرة منها قصيدة سيد قطب، هذا ولم أجد أختاً لهذه القصيدة فيما اطلعت عليه من شعره!!

انظر: مجلة دار العلوم - السنة الرابعة - مارس ١٩٣٨م، صفحات ٥٢ - ٥٤.



ولقد اتصفت بحوثه المختلفة بالصدق، وما سجّل أفكاره وآراءه إلا بعد أن عاشها في قلبه وواقعه، وما أعلنها للناس إلا بعد أن اقتات قلبه وتغذت بدمه، ولذلك أقبل عليها الدعاة العاملون، لأنها حية، حملت روحاً من روحه، واصطبغت بلهجته الصادقة.

ونتيجة لهذه الصفة صارَ تعاملُ رجال السياسة معه مستحيلاً، لأن حياتهم مبنية على الكذب والخداع، فلم يتمكن من الاستمرار في حزب الوفد، ولا حزب السعديين، ولم يكن مرضياً عنه عند رؤسائه في وزارة المعارف، ولا عند أصحاب الصحف، لأنهم لا يُطيعون إلا مَنْ يتزلف إليهم، وعندما قامت الثورة، لم يستطع أن يسير معهم في وظيفته الجديدة إلا عدة شهور، ولما استحال عليه بصفته هذه الاستمرار في حياته الوظيفية، اعتزل الوظائف كلها، وانصرف إلى الشباب المؤمن المجاهد، يربيه في صدق.

كان صادقاً في اتجاهه إلى الله، ففتح الله له المغاليق، وأنار له معالم الطريق، وأعانته على الصبر والثبات في المحنة، ووقفه في بحوثه الإسلامية الحركية الجادة!

وكان صادقاً في طلبه الشهادة، فرزقه الله إياها، وجاءته تسعى إليه في سجنه، وكتب الله له السعادة والحياة الأبدية على أيدي قوم بؤساء، كُتبت عليهم التعاسة والشقاء بإزهاقهم روحه الصادقة!

٢ - الجدية:

وكما اصطبغت شخصيته بالصدق، تميزت كذلك بالجدية، فهو جاد منذ صغره، لا مجال في حياته للهو أو لعب أو ترخص، وبينما كان لدائهُ الصغار من الأطفال ينصرفون إلى العبث واللعب، كان هو منصرفاً

إلى الجد والمثابرة، في مدارس كتبه، أو مداومة النظر في آيات القرآن يحفظها، أو مطالعة الكتب التي اشتراها، أو مشاركة الكبار أحاديثهم الجادة، أو السير في الحقول يتأمل خلق الله!

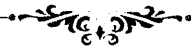
وعندما شب وكبر، وانصرف زملاؤه إلى العبث واللهو، انصرف إلى الجد، المتمثل في اهتماماته الأدبية، من مطالعة الكتب، أو كتابة البحوث والمقالات، أو نظم الشعر، فلم يجد متسعاً من وقته لللهو أو الترخص.

وكانت الجدية في البحوث التي اتجه إليها، حيث لم تكن اهتماماته الأدبية منصرفة إلى كتابة المقالة الساقطة، أو القصة المكشوفة، أو القصيدة العابثة، وإنما إلى البحوث الأدبية الجادة، ودراسة الشخصيات الأدبية، وتحليل نتائجها، ورسم ملامحها.

كان حريصاً على وقته أن يضيع، يقول في إحدى محاضراته مخاطباً جمهوراً من المثقفين: «أنا ممن يؤمنون إيماناً جازماً بأن أعمارنا القصيرة، وساعاتنا المحدودة في هذه الحياة العاملة، أقصر وأثمن من أن تضيع في التكرار، وكل مطلع شمس لا يغذيني بجديد، ويعوضني عن اليوم الفائت من عمري، عمقاً وسعة في فهم الحياة، هو خسارة لا تعوض»^(١).

وكانت الجدية في حياته الإسلامية الزاهرة، فلم تفارقه حتى وهو في أمريكا، البلد التي تغوي الكثيرين بمباهجها ومفاسدها، بل انصرف فيها إلى الحياة الجادة المستقيمة.

(١) دار العلوم - السنة السابعة - العدد الرابع - إبريل ١٩٤١م، صفحة ٣٩.



وتتمثل الجدية في مسيرته مع جماعة الإخوان المسلمين، قبل دخول السجن، وأثناء سجنه حيث صار - بجديته في مواقفه التي وقفها - منار جهاد للعاملين!

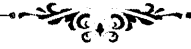
«وتظهر الجدية في الموضوعات التي عالجهها، والبحوث القيمة التي قدمها، حيث كان يكتب في مشكلات الساعة، وقضاياها الملحة التي يعيشها الناس، ويعانون من شرورها وآثامها، ووضع الحلول الصالحة التي يعتقد صوابها وجدواها»^(١).

كما «تظهر الجدية أيضاً في الاهتمام بالكلية والأصول، والابتعاد عن الجزئيات والفروع، التي تستهلك أوقات المسلمين وأعمارهم، في معارك كلامية جانبية، وجدل فارغ عقيم» حيث راح يركز في بحوثه وموسوعته (الظلال) على العقيدة، وترسيخها في القلب، ويعرضها عرضاً أخذاً بليغاً، يؤثر في الوجدان، متأثراً بأسلوب القرآن في العرض، ومبتعداً عن طريقة المتكلمين والفلاسفة العقلية الجافة.

٣ - الحركية:

لم يكتف سيد قطب بالنظر في نصوص القرآن، بقصد المتعة العقلية، والزاد الثقافي، وإنما نظر فيها بقصد العمل والحركة، ولذلك ما إن تعرف على هذا الزاد، وأضاء نور الإيمان جوانح نفسه، حتى سارع بالانضمام إلى الحركة الإسلامية، جندياً مع العاملين، وسخر كل إمكانياته الثقافية والعملية للإسلام، وعاش أقصى تجربة عملية حية، ولاقى الكثير، واحتمل أقصى ما يحتمله بشر، من صنوف الأذى

(١) فقه الدعوة، لأحمد حسن: ٧.



والعذاب، وقابل هذا بنفس راضية، وصبر عجيب، وفي سجنه، ومن خلال مواجهته للجاهلية التي كادت له، راح ينظر في نصوص القرآن، ويتذوقها على هدى تجربته الجديدة، ولابس الأحداث التي عاصرت نزولها أول مرة، وتنسم جوها الواقعي، انتقل بتجربته الجديدة إلى جو مكة، والدعوة مستضعفة، والمسلمون مسجونون في الشُّعب، وسمعت أذنه أصوات السياط تهوي على أجساد القلة المؤمنة، في جنبات مكة، ولذعت جسده بألمها وجراحها، ورأت عيناه الدماء تسيل من أجساد المجاهدين في مكة، وسار مع الحركة الإسلامية خطواتها الأولى، خطوة خطوة، وراح ينظر في نصوص القرآن على ضوء مسيرته الجديدة، فوجد له مذاقاً جديداً، وفتح الله عليه فهماً جديداً، وأنار له معالم الطريق اللاحب الطويل، فسار فيها بثبات وعزم ويقين.

وآتاه الله المفتاح الحركي، الذي فتح به كنوز القرآن الحركية، هذا المفتاح هو قوله: «إن المسألة - في إدراك مدلولات القرآن وإيحاءاته - ليس هي فهم ألفاظه وعباراته، ليست هي «تفسير» القرآن كما اعتدنا أن نقول! المسألة ليست هذه. إنما هي استعداد النفس برصيد من المشاعر والمدركات والتجارب، تشابه المشاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله، وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه في خضم المعترك. معترك الجهاد، جهاد النفس وجهاد الناس... إلخ»^(١).

وقد جعل هذا أساس تفسيره «في ظلال القرآن»، ودعا الذين يريدون فهم القرآن إلى الحركة به كما تحرك هو، ومواجهة الجاهلية بنصوصه كما واجه هو، والعيش في ظلاله كما عاش هو، وتتبع مسيرة الجماعة

(١) خصائص التصور الإسلامي: ٧ - ٨.



المسلمة الأولى كما تتبع هو، والصبر على مشاق الطريق كما صبر هو، وتحمل كل ما يلاقه أثناء المسير كما تحمل هو، وأعلن أنه بدون هذه الطريق، فإن القرآن لن يفتح كنوزه لأي باحث، مهما أُوتي من العلم والمعرفة والثقافة، وبَيَّنَ أنَّ هذا هو الميدان الذي يجب أن يدخله العاملون، ودعا العلماء والباحثين والمؤلفين إلى دخوله، وكشف النقاب عن أن العمل في الجانب الفكري النظري الإسلامي وحده، هو ضياع العمر والجهد فيما لا طائل تحته، وأن مَنْ يسلكه فإنه يتهرب من دفع ضريبة العزة، وإنما يُؤثِّرُهُ قاصداً الراحة، طالباً العاقبة المأمونة، وَنَصَحَ للذين يسلكون هذا الجانب وحده - وهم يظنون أنهم يخدمون الإسلام - بأن يشتغلوا بعمل آخر يتكسبون منه، كالزراعة والصناعة^(١).

٤ - العصامية:

وأعني بها دأبه ومثابرته، لتحصيل العلم والثقافة، والتزود كل يوم بجديد، وتثقيفه نفسه بنفسه، وإقباله على الثقافة ينهل منها، وخوضه غمار البحث والدراسة وحيداً دون معونة أحد.

فقد وهبه الله نبوغاً وذكاءً وعبقريّة، وفطره على محبة البحث والتحليل والمطالعة، ولو اكتفى بنبوغه وذكائه لما قدم لنا هذا النتاج الكبير، لأن النبوغ وحده لا يكفي، ولا العبقريّة كذلك، ولا بد من أن يتبعهما الدأب والثبات والمثابرة، وكثيراً ما تضيع المواهب الفنية؛ لأنها لم يواكبها الدأب والمثابرة.

أقبل سيد قطب على الكتب القديمة والحديثة، العربية والمعرّبة، وعلى المجالات في مختلف التخصصات، وكوّن منها رصيдаً ثقافياً

(١) انظر خصائص التصور الإسلامي: ٧ - ١١ والظلال ٤: ١٨٩٤ م ٤: ٢٠٠٣ - ٢٠٠٦.

كبيراً، استطاع به أن يكون أديباً وشاعراً، وقاصّاً وصحفيّاً، وناقداً ومصوراً وباحثاً، وما كان يترك كتاباً مهماً كان إلاّ ويطلع عليه، ولا يضيع لحظة من وقته في ليل أو نهار، بل عندما كان جسمه الناحل يعلن تمرده، ويصاب بالإعياء والتعب والمرض، وينصحه الأطباء بالإخلاء إلى الراحة، كان يجلس على سرير المرض متأملاً متفكراً، أو يتناول أوراقه ليسطر عليها قصيدة أو مقالة.

يقول سيد قطب مشيراً إلى عصاميته: «وأنا اليوم أحمد الله على أنني خطت طريقي بنفسي مستقلاً، وبجهدي خالصاً، لم يأخذ بيدي عظيم، ولم يقدمني إلى الناس أستاذ»^(١).

بهذه الهمة القوية والعصامية النادرة، شق سيد قطب طريقه في عالم الأدب والنقد، ففي الثلاثينيات كان من الشعراء الشبان الذين يشار إليهم بالبنان، ونظم قصائد ترقى إلى عيون الشعر العالمي، وفي الأربعينيات كان في طليعة النقاد المصريين المرموقين، بل كان ناقد مصر الأول، وهو لم يتخصص في دراسته بالنقد، ولم يتعمق في مناهجه، بل استصحب معه حاسة نقدية عميقة، وفطرة سليمة، وفي أوائل الخمسينيات كان في طليعة أدباء العربية.

وعندما اتجه وجهته الإسلامية، شق طريقه في عالم الفكر بنفسه، وأقبل على أمهات الكتب الإسلامية في مختلف التخصصات، وصار ينشر بحوثه الإسلامية التي أثّرت في الناس، وهزت عروش الظالمين.

وعندما ضاقوا به ذرعاً زجوا به في السجن، وصبوا عليه صنوف العذاب والاضطهاد، وما إن خف عنه، حتى عاد سيرته الأولى في عالم

(١) الثقافة - السنة الثالثة عشرة - عدد ٦٦٣ تاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥١م، صفحة ٨.



البحث والدراسة والتأليف، فوجد في سجنه خلوة، خلا فيها إلى نفسه وفكره، وأقبل على القرآن الكريم، وأصدر موسوعته الإسلامية (في ظلال القرآن)، وغيرها من البحوث الإسلامية الحركية الجادة، التي أثّرت في مسيرة الحركة الإسلامية!

إن الإنسان ليعجب من إنسان ينتج كل هذا النتاج في السجن! ولكن المطلع على حياة سيد قطب، والمتعرف على شخصيته، والمدرّك لعصاميته، يزول عنه هذا العجب، فهو طراز وحده، بين الأدباء والنقاد والباحثين، والعلماء والرواد والمفكرين.

هـ - العزة والشجاعة:

وقد جبلت نفسه عليها سجية، ونماها والداه فيه، فكان منذ صغره يأنف مواقف الذل والجبن، وينفر من المواقف التي تسيء له، أو تسبب له الضعف أو الغضاضة، كان معتداً بنفسه، واثقاً من شخصيته.

وقد سیرت هذه الصفة حياته العملية، في الوظيفة، والصحف والمجلات التي كان يعمل فيها، فما عرفنا عنه أنه وقف موقف ذل أو ضعف أو جبن أو استخذاء، بل كان عزيزاً ألياً، وهذا ما عقّد علاقته برؤسائه، الذين لم يتعودوا من المرؤوسين إلا السكوت أو الجبن والاستخذاء يقول سيد قطب: «أنا لا أؤمن بهذا الحياء، الذي يقعد بأصحاب الكفايات عن بلوغ حقهم، وترك الكلاب تلغ في الاستثناءات وغير الاستثناءات، بل أنا أشك في كفاية هذه الكفايات، التي ترى حقوقها تؤخذ وتعطى للكلاب من الوصوليين، ثم تتقبل ذلك وتستنيم»^(١).

(١) الرسالة - السنة الثامنة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٨٩١ تاريخ ٣١ يوليو ١٩٥٠م، ص ٨٧٢.



وعندما تعرّف على النور الإلهي، وسار في طريقه الإسلامي الواضح، نَمَى الإيمانُ هذه الصفة، وطبعها بطابعه، وأعطاهَا بُعْداً إسلامياً، وأغاظت هذه الصفة أعداءه، الذين عذبوه وساووه، ولكن الإيمان استعلّى في قلبه، والعزة والإباء تمكنت من نفسه، فصمد وصبر وثبت ووفى بالعهد، وعندما طلبوا منه أن يعتذر، واجههم بعزيمة الإيمان وعزة المسلم، وقال عبارته التي تقطر حروفها عزة وإباء: «لماذا أسترحم؟ إن سُجنت بحق، فأنا أقبل حكم الحق، وإن سُجنت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل»!

ومما يتعلق بالعزة الشجاعة النادرة التي نماها الإسلام، والتي تجلت في مواقفه بعد انضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين، ودخوله السجن، ومواقفه أمام المحققين، وأمام القضاة والمحلفين!

٦ - الكرم والسخاء:

ومنها الكرم والسخاء الذي اشتهر به، حيث كان ينفق ما يأتيه، ولم يدخر شيئاً من المال الوفير الذي يأتيه من ريع كتبه المطبوعة مرات ومرات.

وقد روى لي الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار حادثة غريبة، رآها بنفسه، تدل دلالة واضحة على كرمه، فقد كان العطار يزوره في منزله في حلوان كثيراً، وكان أثاثُ غرفة الاستقبال متواضعاً، لأنّ حالة سيد قطب المادية لم تكن تسمح له بتحسينه، وزاره ذات يوم فوجد عنده أثاثاً جديداً جميلاً، فسُرَّ بهذا التغيير، ثم زاره مرة أخرى فوجد أثاثاً قديماً! فاستغرب، وبعد إلحاح منه على سيد قطب ليعرف حقيقة الأمر، أجابه بأنه باع الأثاث الجديد، وقَدَّم ثمنه مساعدة لأحد إخوانه، ليتمم



مصروفات زواجه! وقال له: إن ما معك من المال لا يكفي لنفقات الزواج، فإذا أنفقتَه عشتَ فقيراً معدماً، فاستعن بمالك على حياتك العائلية القادمة، وأنا أتبرع بكل نفقات الزواج!

وكان الذي تبرع به هو ثمن أثاثه الجديد!

هذه هي القمة في الكرم، وهذا هو الإيثار - كخلق إسلامي - يقدمه سيد قطب في صورة عملية!.

وكان لأقاربه وللفقراء والمحتاجين من الناس عموماً، ومن الإخوان المسلمين على وجه الخصوص، ولأسر المعتقلين من الإخوان، كان لهم نصيب من ماله، وقد شمل كرمه المجرمين في السجن، كما شمل السجناء، وتعداهم إلى الحيوانات الأليفة كالقطط والكلاب!.

٧ - النزاهة والتجرد:

ومنها النزاهة: فقد عاش سيد قطب حياته كلها نزيهاً شريفاً نظيفاً، لم تمتد يده إلى مال بغير حق، ولا إلى عظيم أو كبير يتزلفه مادحاً، ليهب له بعض عطاياه، ولا إلى جهة ما، عارضاً عليها خدماته، مقابل حفنة من المال يبيع بها نفسه، كما فعل ويفعل كثير من قادة الرأي والفكر والأدب والثقافة! لقد عاش سيد قطب حياته فقيراً، حتى إنه - رغم المال الوفير الذي يأتيه من كتبه المطبوعة مراراً - لم يستطع أن يدخر من المال شيئاً، لكثرة أعبائه المالية، ولكرمه وجوده، وكان من الممكن أن تكون هذه نقطة ضعف، يستغلها من يودون استغلاله، وتسخير مواهبه لخدمتهم، ولكن نفسية سيد قطب الحساسة المرهفة، وشخصيته النزينة المستقيمة، تأبى عليه أن يحمل مواهبه إلى سوق المزايدات، التي تباع فيها الأفكار والقيم والمبادئ والمثل!.

وقد حدثني أحد الأساتذة الفضلاء - وقد كانت له بسيد قطب صلة وثيقة - عن حادثة تدل على نزاهة سيد قطب، وهي أقرب إلى الخيال! قال: «أتصل بي سيد قطب تلفونياً ذات يوم، وطلب مني أن آتي إلى منزله سريعاً، ورجاني - باستيحاء - أن أحضر معي بضعة عشر جنيهًا، لأنه مريض، ولا يملك ثمن الدواء! قال: فذهبتُ إلى منزله مسرعاً، ورأيت هناك مشهداً عجباً!، أقسم لقد دهشت مما رأيت! كان مع سيد قطب في الغرفة سفيرٌ دولة عربية بترولية، وأمامه حقيبة مليئة بالأوراق المالية، من مختلف الفئات! تبلغ عدة آلاف، وهو يرجو سيد قطب بحرارة أن يأخذها، فهي هدية من دولته له، لأنها تعرف منزلته ومسؤولياته، وتريده أن يستعين بها على أعباء حياته، ويمول بها مشروعاته الأدبية والفكرية.. ويتابع هذا الأستاذ الفاضل حديثه قائلاً: ونظرتُ إلى سيد قطب فإذا به حزين مكتئب.. ثم رد هدية السفير بحزم، وبدا الغضب عليه وهو يخاطبه: لا أبيع نفسي وفكري وعقيدتي بأموال الدنيا كلها، فأعدّ أموالك إلى حقيبتك! ثم التفت سيد قطب إليّ وقال: هل أحضرت ما طلبته منك؟ فناولته المبلغ، وفرح به كثيراً! ولما عرف السفير قصة المبلغ خرج محتاراً متعجباً مما رأى.

وقال: إن كثيراً من قادة الرأي والفكر والأدب يأخذون من دولتي هدايا مالية باستمرار، ولكن سيد قطب طراز وحده!.

وهذه الحادثة أثبتتها بدون تعليق، وأسوقها لمن يتناولون حياة سيد قطب وفكره وآراءه الحركية ومواقفه الجهادية بالتخطئة، وهم يعيشون في ترف ظاهر، ويلهثون وراء المال، ويرتبطون الارتباطات المشبوهة! وأقول لهم: قليلاً يا هؤلاء! فرحم الله امرأً عرف قدر نفسه! وأين أنتم من هذا الإمام الشهيد!

٨ - المثالية المثالية والثبات:

ومنها ما وصفه به الدكتور طه حسين - عندما قدمه إلى الحضور، ليلقي محاضراته في نادي الضباط بالزمالك - القاهرة، في أغسطس (آب) عام ١٩٥٢م - حيث قال: «إن في سيد قطب خصلتين هما: المثالية المثالية، والعناد...»^(١).

ويعني بالمثالية المثالية أن سيد قطب كان مثالياً، فكل سيرته وحياته ومواقفه مثالية، فهو فيها قدوة مثلى، ومثل عملي للمقتدين والعاملين والسائرين.

كما أنه مثالي في المثالية - وهذه قمة جديدة أسمى من كونه مثالياً - فهو ليس قدوة ومثلاً فقط، بل هو مثال رفيع في قدوته ومثاليته!

أما العناد: فيعني به أن سيد قطب كان يصر على ما يراه أنه الحق، إذا عرف حقاً اعتقده، وآمن به، وثبت عليه، فكان عنيداً في الحق، عنيداً في مواقفه، عنيداً في كفاحه وجهاده، عنيداً في مواجهته مع الجاهلية من حوله، فلم يثن عزيمته وعناده أمر من الأمور، التي تحطم الرجال الأشداء الأقوياء! وهذه الصفة جرّت عليه أذى كثيراً من قبل الطغاة، لأنهم حاولوا - بشتى الوسائل - تحطيم عناده في الحق، ولكنهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً!

ومنها تواضعه الجم، فرغم منزلته البارزة في عالم الفكر والبحث والتأليف، وفي عالم العمل والحركة والجهاد، وفي عالم العذاب والأذى والابتلاء، إلا أنه لم يدُلّ بما قدم، ولم يمن على العاملين، كما

(١) انظر مجلة (كلمة الحق) العدد الثاني: صفر ١٣٨٧، مايو ١٩٦٧م، صفحة ٣٧ - ٣٨.



يمن كثير من أدعياء التقوى والتواضع، بل كان من العباد الأتقياء
الأخفياء، لأنه قدم ما قدم وهو يرجو الثواب من الله.

ومنها حبه ووفاءؤه، وإخلاصه ويقظته، وجرأته وإقدامه، وسمو روحه
ورضا نفسه، ووضوح الرؤية لديه، والعمق في فكرته، والشمول في
معالجاته، والثورية في فكره وشخصه، وغير ذلك من السمات الواضحة
في شخصيته التي سirt خطاه في حياته، وحددت له مواقفه^(١).

* * *

(١) من الذين تحدثوا عن صفاته أحمد حسن في تقديمه لكتاب (فقه الدعوة)، وزين العابدين
الركابي في تقديمه لكتاب (معركتنا مع اليهود) ومحمد علي قطب في كتابه (سيد قطب)،
ويوسف العظم في كتابه الذي هو تحت الطبع، وأحمد عبد الغفور عطار في مجلته (كلمة
الحق) العدد ٢.

المبحث الثاني أهم خصائص أسلوبه

إذا كان أسلوب الكاتب انعكاساً لشخصيته، فإن هذا يصدق صدقاً كاملاً على سيد قطب وأسلوبه، حيث نجد أبرز ملامح شخصيته التي أشرنا إليها، تظهر على أسلوبه واضحة، وتصبغه بصبغتها.

من المعروف أن سيد قطب كان تلميذاً من تلاميذ المدرسة العقادية في الأدب، وهي المدرسة التي حملت لواء التجديد، وبخاصة التجديد في المعاني والأساليب.

وقد عني هو بالتجديد في الأسلوب، حيث خرج على الأساليب القديمة، التي كانت تعتمد على الزخارف اللفظية، وتبالغ فيها، على حساب المعاني والأفكار، وقد دعا كناقذ أدبي ذواقة إلى اعتماد الأسلوب الجميل في الصياغة، وإلى المعاني الصادقة القيمة التي يحويها.

إن أهم مميزات أسلوبه هي:

١ - التصوير:

وقد استفاد هذه السمة، من طبيعته الفنية الشاعرة، وذوقه العميق، وخياله المتناسق، ونفسه المصورة الحالمة، كما استفادها عندما أقبل على القرآن الكريم وهو صغير، فكان له أكبر الأثر في تنمية مواهبه المصورة، وعندما سطع نجمه في أفق الأدب، أقبل على القرآن يتذوقه من جديد، وخرج بنظريته التي اكتشفها فيه، وهي (التصوير الفني)، وراح في أسلوبه ينسج على منواله، ويترسم طريقته في التعبير والعرض.

٢ - الوضوح:

وهي سمة ناتجة عن وضوح الفكرة في الذهن أولاً، الناتج عن المعاناة والمعايشة والتفكير فيها، فيأتي تعبيره واضحاً كوضوح الفكرة نفسها؛ لأنه صادق في الدلالة على ما في ذهنه.

٣ - السلاسة:

حيث كان يُعنى دائماً، ببيان فكرته، والتدليل عليها، ويستخدم في ذلك الألفاظ الموحية، والتراكيب المتقاربة، وقد أُوتي في هذه الناحية مقدرة فائقة، وكأن اللغة العربية أسلمت له قيادها، فراح ينتقي من مستودعها، ما يحلو له من الألفاظ والتراكيب، التي يراها تجلو فكرته.

وبما أنه قد أتى بأفكار جديدة، غريبة على الوسط الذي يعيش فيه، سواء في النقد الأدبي الذي تربع على عرشه، أو في الفكر الإسلامي الذي صار رائداً له، فإنه كان يحتاج إلى بيان وإسهاب في شرح هذه الأفكار، والتدليل لها، لتحظى بالقبول عند القارئ، الذي يستغربها لأول وهلة، ولولا مقدرة سيد قطب في اختيار الألفاظ والتراكيب المناسبة لما نجح في بسط أفكاره هذه، وقد عد البعض هذا عيباً في أسلوبه، واعتبروه تكراراً يؤدي إلى الضيق في نفس القارئ، ولكن الأمر ليس كما ظنوا، إذ أنه سلاسة في الأسلوب، لا تكرار في الأفكار.

٤ - الثورية:

يمتاز أسلوبه كذلك بالثورية، وأعني بها الهجوم والحدة، وهذا ناتج عن الثقة بالنفس إلى درجة كبيرة، وقد خاض في المرحلة الأدبية من حياته معارك أدبية عديدة، ضد أدباء كبار، وتمتع بنفس طويل في الهجوم، وكان



يخرج من كل معركة منتصراً، ويرتفع بأسلوبه هذا كثيراً في أعين الأدباء والقراء والدارسين، الذين يتشوقون لهذا الأسلوب الحاد في الكتابة، وعندما انصرف إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي لم تفارقه صفة الثورية في الكتابة، وبهذه الصفة غزا قلوب القراء، وأحفظ قلوب الأعداء، وأوقع الغيظ فيها، وعندما اتجه إلى الفكر الإسلامي راح يهاجم الحضارة الغربية، والجاهلية بأفكارها ومؤسساتها، بل إنه قاد هذا الفكر من مرحلة الدفاع على استحياء، إلى مرحلة الهجوم المباشر، وصار بهذه الصفة هو الكاتب المفضل عند الجماهير، التي تفضل هذا اللون من الكتابة.

إنه مهاجم في كل حالاته، فهو يهاجم مهاجماً، ومدافعاً ومجادلاً، ولكنه لم يسف في استخدام ذلك، ولم يخرج إلى حد المهارات والسباب، وإنما كان له من عقله الواعي وفكره المتزن عاصماً يعصمه من الوقوع في هذا.

وهذه السمة في أسلوبه، أوقعت القارئ في خطأ، عندما يرسم له في مخيلته صورة لشخصيته، إذ يتصوره ضخم الجسم، عريض ما بين المنكبين، قوي البنية، مفتول العضلات، ولكنه يفاجأ عندما يراه، ضعيف البنية، ناحل الجسد، تبدو عليه سيما المودعة والطف والود والليناس. كذلك يمتاز أسلوبه بالبساطة والحيوية والعمق، والجاذبية والصدق، وقوة العاطفة والإشراق^(١).

* * *

(١) أنظر فقه الدعوة، لأحمد حسن: ٩ - ١٠، وسيد قطب لفضل الله: ٦٦ - ٦٨ وسيد قطب، لبركات ١٧ - ١٩.



الفصل الثالث

مواهبه



المبحث الأول سيد قطب الأديب

حبا لله سيد قطب مواهب كثيرة، مثل الذكاء والنبوغ، ومحبة البحث والدراسة والتحليل، ولم يكتف سيد بهذه المواهب، أعني لم يعتمد عليها، ويجعلها سلاحه في خوضه غمار الثقافة والمعرفة، إذ هي وحدها لا توصل صاحبها إلى شيء، وكثيراً ما رأينا أناساً اعتمدوا على مواهبهم الفطرية وحدها، فضيعوها، وسيطر عليهم الكسل والخمول. ولم يتقدموا إلى الأمام خطوات تذكر.

سيد يحسن استخدام مواهبه:

أما سيد قطب فإنه استخدم هذه المواهب خير استخدام، وغذاها بهمته وعصاميته وجهده، فكان يُصبر نفسه على البحث والدراسة، ويشدها إليه، حتى أسملت له قيادها، وأشغلها بدأه ومثابرتة وجهده، فصار يقرأ، ويُمضي الساعات الطويلة في القراءة والاطلاع، وراح يكتب، ويقف عند الفكرة وقفة المتأمل المتعمق، ينظر فيها، ويُقلب وجوه النظر، ويُركّز ذهنه عليها، ويخرج بعد هذا كله بالتحليل الصائب الشامل العميق.

ما ترك سيد قطب مجالاً من مجالات الأدب والفكر إلا تحدث فيه، ولا ميداناً إلا خاضه بهمة عالية، وثقة أكيدة، ونظرة فاحصة، ورأي سديد، كان له دراساته المتنوعة، وإطلاعه الواسع على شتى أنواع المعارف والآداب والفنون، وثقافته العريضة، وعقليته الكبيرة، التي تستوعب ما يصلها، وتزوده بما عندها من آراء، وتدفعه إلى أسلوبه



الرصين، الذي يحسن التعبير عن مضمون ما فيها، ويخرجه إلى رواد الأدب والثقافة فينال ثقتهم ويحظى بإعجابهم.

إن الناظر في تراث سيد قطب ليعجب من المساحة العريضة الفسيحة التي جعلها ميداناً له، والتي أجاد فيها بما قدمه لعشاق الأدب والفكر والمعرفة.

تفتحت مواهب سيد قطب الأدبية في القرية، وغذاها ونماها بدراساته واطلاعاته، وفي القاهرة درس الأدب في تجهيزية دار العلوم ثم في الكلية، وبدأ حياته الأدبية في مدرسة العقاد، التي كانت تعنى بالتجديد في المشاعر والأساليب.

ما هو الأدب عنده؟

الأدب عنده ليس ترفاً ولا إشغالاً للوقت، ولا مجرد صياغة لفظية مزركشة، ولا بضاعة يحملها صاحبها ويبدلها لمن يدفع الثمن، ويبيع أدبه ومواهبه له!.

إن الأدب عنده هو «التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية»^(١). فالتجارب الشعورية هي مادة التعبير، وإذا لم يُستمد منها، صار مجرد صياغة، تعتمد على رصيد صاحبها من الألفاظ والعبارات، لا شأن لها بالمشاعر والأحاسيس، وهي بهذا بعيدة عن أن تسمى عملاً أدبياً موحياً.

كذلك يُشترط للعمل الأدبي عنده كي يكون أدباً أن يكون صاحبه صادقاً في تجربته الشعورية صدقاً واقعياً وفنياً، بحيث عندما تقرأ

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه: ٧.



للأديب تشعر أنه صادق في معاناته وتفكيره، صادق في مشاعره وأحاسيسه، وأن الفكرة قد اقتاتت قلبه، وتغذت بدمه، وسيطرت على عالمه، وتوهجت بها نفسه، وأن يرزق هذا الأديب موهبة في التعبير الجميل الأخاذ، بصورة موحية مؤثرة، ينقل بها تجربته الحية، ومعاناته الحقيقية إلى القراء، ليتذوقوها ويعيشوها، فإذا لم يُرزق هذه الموهبة، لم تخرج عن إطار التجربة الشعورية، وبقيت مختصة بصاحبها، لم يشاركه فيها أحد.

سيد عاش أدبه عملياً:

وقد كان سيد قطب خير من تمثل هذه الحقيقة في أعماله الأدبية المختلفة، فهو لم يُخرج لنا عملاً أدبياً إلا بعدما عاش تجربته في نفسه، وعاناه معاناة حقيقية، في مشاعره وأحاسيسه ووجدانه، وقد كان صادقاً في نقل هذه التجربة كاملة إلى القراء، ليطلعهم على تطورها في نفسه، ويصور لهم مشاعره وأحاسيسه وهي تعيشها.. ولم ترض نفسه الأدبية الصادقة أن ينافق في نتاجه الأدبي، أو يتزلف به إلى ذوي المكانة والنفوذ، كما فعل كثير من الأدباء، كما رزق سيد قطب موهبة فطرية، وقدرة فائقة على اختيار الصورة الموحية، التي ينقل بها تجربته الأدبية إلى القراء، حيث يؤثر في وجدانهم ومشاعرهم، ويسحرهم بأسلوبه السلس الجميل.

المبحث الثاني

سيد قطب الشاعر

بدأ اهتمام سيد قطب بالشعر منذ صغره، فقد أخبرنا أنه عندما كان في القرية، وأثناء ثورة عام ١٩١٩م، راح يخطب في مساجد القرية، وينظم الشعر وينشده فيها، لم يكن شعراً قوياً رصيناً، ولكن محاولاته الشعرية هذه تدل على تفتح حاسته الشعرية مبكراً.

وفي القاهرة صار ينشر قصائده في الصحف والمجلات، وقد عُرف في الأوساط الأدبية كشاعر موهوب قبل دخوله كليه دار العلوم. واصطفى في الكلية شاعرين موهوبين مثله، هما عبد العزيز عتيق وفايد العمروسي، وصار الثلاثة يلتقون وينشدون قصائدهم، وينشرونها في المجلات.

وبعد أن تخرج في الكلية تابع نشر قصائده في المجلات، وقد اشتهر في الثلاثينيات، وكان في مقدمة الشعراء الشبان، وقد شهد له النقاد بالنبوغ والعبقرية والشاعرية الفياضة.

لقد كان سيد قطب شاعراً حقيقياً، لأنه أحس بالحياة إحساساً عميقاً، وكان إحساسه بها دقيقاً وبارزاً وعميقاً، ومتميزاً عن إحساس الآخرين، كما أنه عبّر عن إحساسه هذا تعبيراً عالياً سامياً، ترجم فيه عن نفسه، وسجل تأثره بما حوله، ولمسنا في شعره فلسفة خاصة له، فسّر الحياة على ضوءها، وقد كان شاعراً مصوراً، يصور أفكاره وأحاسيسه وانفعالاته، في صور فنية رائعة، تستحوذ على قلوب القراء، وتتفاعل معها مشاعرهم وأحاسيسهم.

ما هو الشعر عنده؟:

الشعر عنده تعبير عن الحياة، بل هو تعبير عن اللحظات الأقوى والأملأ بالطاقة الشعورية في الحياة، وهو: «هتاف حياة، ودعوة حياة، وتعبير حياة، الشعر طاقة فائضة، تريد لها متنفساً وحيوية دافقة، تبتغي لها مسيلاً، الشعر تعبير أحرار يملكون التعبير، لا جمجمة عبيد أو أسرى خلف القضبان، الشعر انتفاضة قلب، وتحليق روح، لا وسوسة السلاسل، ولا جرجرة الأغلال»^(١).

ولكي يكون الشعر شعراً، فلا بد أن يكون صادقاً في التعبير عن المشاعر والأحاسيس، صادقاً في الدلالة على ما تجيش به نفس الشاعر من خواطر وانفعالات، صادقاً في تصوير شعور صاحبه ومعاناته، وما عدا ذلك فليس بشعر.

وموضوع الشعر عنده ووظيفته هي: (الغناء المطلق، بما في النفس من مشاعر وأحاسيس وانفعالات، حين ترتفع هذه المشاعر والأحاسيس عن الحياة العادية، وحين تصل هذه الانفعالات إلى درجة التوهج والإشراق، أو الرفرفة والانسياب على نحو من الأنحاء)^(٢).

ديوانه «الشاطئ المجهول»:

جمع مجموعة من قصائده، ونشرها في أول ديوان له وسماه «الشاطئ المجهول» وقد صدر في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٣٥م،

(١) الرسالة - السنة العشرون - المجلد الأول - عدد ٩٨٥ تاريخ ١٩ مايو ١٩٥٢م ص ٥٤٦.

(٢) العالم العربي - المجلد الأول - جمادى الأول ١٣٦٦، صفحة ٤١.



كما وعد بإخراج دواوين جديدة مثل (أصداء الزمن)، و(حلم الفجر)، و(قافلة الرقيق)، و(الكأس المسمومة) ولكنه صرف النظر عنها في النهاية.

وبالاطلاع على قصائده ودراستها، نلمح فيها ملامح شخصيته، وحالات نفسه، ومشاعره وأفكاره، واهتماماته وقضاياه، فهي سجل أمين لحياته الشخصية والفكرية، وإن الإنسان يستطيع أن يدرك مراحل حياته الأدبية وسماتها من الاطلاع على قصائده، وإن ترتيب هذه القصائد حسب تاريخ نشرها يفيد في معرفة المراحل التي قطعها، وحالته النفسية والفكرية في كل مرحلة.

بقي يقول الشعر إلى أن اتجه الوجهة الإسلامية، عندها عزف عن قوله، وصارت عنده اهتمامات جديدة، وإن الإنسان ليعجب، ويحтар في معرفة الصارف له عن نظم الشعر! هل وجد نفسه؟ وعرف غايته وسر وجوده؟ وانحلت العقدة الكبرى التي كانت تقلقه، وتدفعه إلى التوهج، فتنساب القوافي على لسانه؟ هل انتهت الأزمة الكبيرة، أزمة الشعور بالضياع الكامل في الحياة، وعبث الجهد المبذول فيها؟ وهل انتهت رحلة الضياع عنده، وانتهى بانتهائها نظم الشعر؟ فأحس بالوجود الكبير! ^(١).

قد يكون الجواب على كل هذه التساؤلات بالإيجاب، وقد يكمن في هذا الجواب السبب الذي ترك الشعر من أجله!.

(١) انظر منهج الفن الإسلامي، لمحمد قطب: ٩ - ١١.

الإسلام وعوالم الشعراء:

قد يكون اتجاهه الإسلامي الواضح، هو الصارف الذي صرفه، لأن طبيعة الإسلام التي تعرّف هو عليها، هذه الطبيعة العملية الحركية الجادة الثابتة لا تتفق مع طبيعة الشعراء، لأنهم (أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة، تتحكم فيها مشاعرهم، وتقودهم إلى التعبير عنها كيفما كانت، ويرون الأمر الواحد في لحظة أسود، وفي لحظة أبيض، يرضون فيقولون قولاً، ويسخطون فيقولون قولاً آخر.

ثم هم أصحاب أمزجة لا تثبت على حال، هذا إلى أنهم يخلقون عوالم من الوهم يعيشون فيها، ويتخيلون أفعالاً ونتائج، ثم يخالونها حقيقة واقعة يتأثرون بها، فيقل اهتمامهم بواقع الأشياء، لأنهم يخلقون هم في خيالهم واقعاً آخر يعيشون عليه)!

وهم يهيمنون في كل واد من وديان الشعور والتصور والقول، وفق الانفعال الذي يسيطر عليهم، في لحظة من اللحظات، تحت وقع مؤثر من المؤثرات، وهم يقولون ما لا يفعلون، لأنهم يعيشون في عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم، ويؤثرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم، ومن ثم يقولون أشياء كثيرة، لا يفعلونها، لأنهم عاشوا في تلك العوالم الموهومة، وليس لها واقع ولا حقيقة في دنيا الناس المنظورة.

«إن طبيعة الإسلام - وهو منهج حياة متكامل، معد للتنفيذ في واقع الحياة، وهو حركة ضخمة في الضمائر المكنونة، وفي أوضاع الحياة الظاهرة - إن طبيعة الإسلام هذه لا تلائمها طبيعة الشعراء، كما عرفتكم البشرية - في الغالب - لأن الشاعر يخلق حلماء في حسه، ويقنع



به، فأما الإسلام فيريد تحقيق الحلم، ويعمل على تحقيقه، ويحوّل المشاعر كلها لتحقيق في عالم الواقع ذلك النموذج الرفيع^(١).

«ومن ثم لا تبقى في الطاقة البشرية بقيةٌ للأحلام الموهمة الطائفة، فالإسلام يستغرق هذه الطاقة في تحقيق الأحلام الرفيعة، وفق منهجه الضخم العظيم»^(٢).

وقد آثرنا نقل فقراته كاملة - على طولها - لنذكر طبيعة غالبية الشعراء، وطبيعة الإسلام المخالفة لها، فقد يكون تركه للشعر ناتجاً عن صدق اتجاهه نحو الإسلام، وشعوره بأن هذا الإسلام قد ملأ حياته، واستوعب فكره وعقله، وأحلامه وانفعالاته، ومن ثم لم يبق في طاقته الضخمة بقية للخيالات والأوهام، لأنه صرفها إلى الجهد العملي الحركي الواقعي الجاد!

قصيدتان إسلاميتان له:

ولم نعرف له بعد اتجاهه الإسلامي إلا قصيدتين، قالهما وهو يكتوي بنار المحنة والابتلاء، وكانتا من عيون الشعر العالمي، وهما:

١ - (هُبَل. هُبَل): يصور بها مفاصد الطاغوت الجاهل ومآسيه، والأعداء التي استغلت سذاجته، فصنعت له (الأمجاد زائفة فصدقها الغبي) والجماهير المسحوقة التي انسأقت وراءه بلا روية.

٢ - (أخي): وهي النشيد الإسلامي الهادر، الذي رسم به معالم طريق الدعوة، وصور أشواكها، وبين عاقبتها، وقد وعته قلوب الشباب العاملين، وتردد على شفاههم، وقد قاله في لحظة انفعال ظاهر،

(١) في ظلال القرآن: ٥ : ٢٦٢١ طبعة الشروق.

(٢) في ظلال القرآن: ٥ : ٢٦٢٢.



إذ إنه عندما كان خارجاً من زنزانه إلى ساحة السجن، لمح يد أحد إخوانه تحييه بحرارة ظاهرة من إحدى الزنازين، ولم يعرف صاحبها، ولكن حركتها نقلت إلى قلبه كل ما يريد أخوه أن يقوله، فتجاوبت روحه، وانفعلت أحاسيسه، وتوهجت نفسه، وانطلق لسانه بذلك النشيد.

* * *

المبحث الثالث

سيد قطب الناقد

مارس سيد قطب الكتابة في النقد والتحليل في وقت مبكر، شديد التبكير من حياته الأدبية، وكان ظهوره كناقد يوازي ظهوره كشاعر، وعندما اشتغل في صحيفة الأهرام، عهدت إليه إدارتها تحرير صفحة النقد والأدب فيها، وقام بالمهمة بنجاح، وهو ما يزال طالباً في كلية دار العلوم.

أول كتاب له في النقد:

بل إن أول كتاب مطبوع له، هو كتاب في النقد، وهو «مهمة الشاعر في الحياة» حيث أعده وألقاه محاضرة في مدرج كلية دار العلوم، وكان لا يزال طالباً في السنة الثالثة فيها، وقدمه أستاذه (محمد مهدي علام) كما قدم كتابه عندما قدمه للطبع، وأشاد بمناقبه، وسجل إعجابه بشخصيته وشجاعته وثقته واتزانه، وإن خالفه في بعض آرائه، واعتبره مفخرة من مفاخر دار العلوم، وصرح بأنه يسره أن يكون سيد قطب أحد تلاميذه، بل قال: (إنه لو لم يكن لي تلميذ سواه، لكفاني ذلك سروراً وقناعة، واطمئناناً إلى أنني سأحملُ أمانة العلم والأدب من لا أشك في حسن قيامه عليها)^(١).

وقد كان عنيفاً في نقده، جريئاً في عرض آرائه، صريحاً في تسجيل أفكاره، موفقاً في الموضوعات التي طرقتها، والنماذج التي استدل بها.

(١) مهمة الشاعر في الحياة: ٩.

انظر: مقدمته للكتاب وللمقدمة في تقديمه وتعقيبه عليها: ٧ - ١١.

وشهدت المجلات الأدبية - بعد تخرجه من الكلية - صولات له وجولات، في معاركه الأدبية النقدية التي أثارها، وقادها بجرأة وشجاعة^(١). سواء في مجلة (الأسبوع) أو (الأهرام) أو (الرسالة) أو (الثقافة) أو (العالم العربي)، أو غيرها.

كما نشر مقالات نقدية كثيرة في هذه الصحف والمجلات، وألقى محاضرات نقدية في الجامعات الأدبية، وقد نالت مقالاته ومحاضراته استحسان وإعجاب جمهور المثقفين والأدباء.

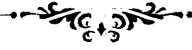
نشر أربعة كتب نقدية:

جمع بعض هذه المقالات في كتابه (كتب وشخصيات)، وهو ثالث مؤلف نقدي له، إذ سبقه كتابان (مهمة الشاعر في الحياة) و(نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر) للدكتور طه حسين، وكان في نيته أن يجعل (كتب وشخصيات) مؤلفاً من أجزاء، وكان ينوي أن يصدر هذه الأجزاء تباعاً، ولكنه لم يُصدر إلا الجزء الأول^(٢).

وفي نهاية حياته الأدبية، أصدر كتابه النقدي الرابع الرائع (النقد الأدبي أصوله ومناهجه) الذي وضع فيه خلاصة آرائه في أصول ومناهج النقد الأدبي، والذي خرج به على كل المدارس الأدبية المعاصرة، واعتُبر نواة لمدرسته الخاصة في الأدب والنقد، وكان في هذه الفترة متربعاً على عرش النقد الأدبي في مصر، بعدما انصرف عنه النقاد الأوائل مثل العقاد والمازني وشكري وطه حسين.

(١) أشرنا - بمنتهى الإيجاز - إلى بعض هذه المعارك في مبحث «... في الصحف والمجلات» من هذا الكتاب.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.



وكان متوقِعاً أن يُرسي دعائم مدرسته الأدبية الجديدة، ويبين مناهجها وآراءها، لولا انصرافه إلى اهتمامات جديدة، أثرت حياته الفكرية والعملية فيما بعد.

وخطة سيد قطب في مقالاته النقدية، أنه كان يقدم لمقاله بمقدمة يذكر فيها بعض آرائه في طبيعة العمل المنقود، قصة أو شعراً أو بحثاً، ثم يتناول هذا العمل بالنقد!

وقد بيّن أن للناقد عمليْن أساسيين هما: (عمله في الجو العام، وعمله مع كل مؤلف على حدة، فأما عمله في الجو العام فهو التوجيه والتقديم، ووضع الأسس وتشخيص المذاهب، وتصوير أطوارها ومناهجها.

وأما عمله مع كل مؤلف، فهو وضع «مفتاحه» في أيدي قرائه، الذين يقرؤون أعماله متفرقة، ولا يدركون الطبيعة الفنية التي تصدر عنها هذه الأعمال، ولا يتعرفون إلى شخصيته المميزة الكامنة وراء كل عمل^(١).

سيد يُفصّل مفاتيح للشخصيات المنقودة:

وقد وفق سيد في تفصيل مفاتيحه للشخصيات الأدبية المختلفة، ودل هذا على موهبته الفنية، وذوقه السليم، وتقديره الصحيح، وتشخيصه الصادق.

ولم يكن من همه القيام بدراسات مفصلة مطولة عن الشخصيات، وإنما يكتفي بتفصيل المفتاح المناسب لها، ووضعه في يد القارئ،

(١) كتب وشخصيات: ٦.

والمساحة العريضة التي جال فيها سيد، تدل على باعه الطويل، وذوقه السليم، ودأبه العجيب، وثقافته الواسعة، فقد نقد مختلف التخصصات العلمية: الشعر والقصة، والرواية والدراسة، والمسرحية والترجمة، والتاريخ والدراسات النفسية والفلسفية والإنسانية، والتراجم والسير، والبحوث والمقالات، وغير ذلك من فنون الأدب والعلم والمعرفة.

عقبات في طريق النقد:

لم تكن طريق النقد ممهّدة أمامه، فمنذ أن ابتدأت مقالاته النقدية في الثلاثينيات بُذلت محاولات كثيرة لإغرائه واحتوائه، من مختلف الأدباء والمدارس الأدبية، وقام بعضهم بمساع حثيثة لثنيه عن مواقفه، أو تغيير أحكامه وآرائه، والضغط عليه بمختلف الوسائل، كي يغيرها أو يتراجع عنها، ولكن نفسه الأبية العزيرة، وشخصيته القوية، وإيمانه بمبادئه وثباته عليها، أَبَتْ عليه الاستسلام للإغراءات، أو الرضوخ للضغوط، وكان نتيجة لذلك يفقد أصدقاءه ومعارفه من الأدباء، الواحد تلو الآخر، لأنهم لم تعجبهم أحكامه على نتاجهم، حيث كانوا يتوقعون منه أن يراعي صداقتهم وزمالتهم، وأن يخالف ما يراه ويعتقده من أجلهم، ولما كان يأبى هذا، ويجهز برأيه صراحة، أنفضوا عنه، وكالوا له التهم، وقد كان يعز عليه ويؤثر في نفسه فقد هؤلاء، ولكنها ضريبة النقد، التي لا بد من دفعها!

يقول: (ومن يومها - يوم تصدى للنقد - وأنا أفقد الأصدقاء واحداً إثر واحدٍ، لأكسب عدداً معادلاً من الخصوم! بل عدداً أكبر، لأنني أضُمُّ إليه كل يوم خصوماً، ولكنني أعاهد القراء على أنني سأمضي في الطريق، فحسبي أن أعوض ما أفقد من بين القراء المحايدین وهم بحمد الله كثيرون)^(١)

(١) الرسالة - السنة الثانية عشرة - المجلد الثاني - عدد ٥٩٥ تاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٤٤م، صفحة ١٠٤٤.

ما يحتاجه النقد من وقت وجهد:

وقد كان ينفق الكثير من وقته - المزدحم بالأعمال - في النقد، حيث كان يقرأ كل ما أنتجته المطابع من الفنون الأدبية المختلفة، وإذا أراد نقد عمل شخص، فإنه يحرص على قراءة كل ما أنتجه من بحوث ومقالات، ليتعرف على شخصيته، ويفصل مفتاحه، ويكتب عنه مقالة معدودة الصفحات.

يقول عن الوقت والجهد الذي ينفقه: (النقد ضريبة وتضحية، فما أحسب الناقد في الشرق العربي إلا خاسراً، لو حسب المسألة بالقياس إلى نفسه: إنه لا يُرضي أحداً إلا القليلين، وإنه لينفق من الجهد ليقول شيئاً ذا قيمة - أكثر مما ينفقه في أي فن آخر من الفنون الأدبية، فكتابة مقال تستأديه على الأقل قراءة كتاب، أو عشرة كتب أو عشرين في بعض الأحيان)!

ويدلل على صحة دعواه بتجربته قائلاً: (لقد صنعتُها، حينما كتبتُ في الرسالة منذ عام أربعة فصول عن: الدكتور طه حسين ومدرسة الأسلوب التصويري، والأستاذ توفيق الحكيم ومدرسة التنسيق الفني، والأستاذ المازني وطريقة الحركة الحيوية، والأستاذ العقاد ومدرسة المنطق الحيوي، ولقد كلفتني كل مقالة قراءة كل كتاب لهؤلاء الأربعة، ومعظم ما كتبوه من مقالات، ولم أكن لأزيد على هذا الجهد شيئاً لو اعتزمت أن أولف عنهم كتاباً، وكل ما يعزيني عن هذا الجهد أن هؤلاء الأربعة هم مع آخرين عندي اليوم موضوع كتاب)^(١).

(١) الرسالة - السنة الثانية عشرة - المجلد الثاني - عدد ٥٩٥ تاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٤٤م، صفحة ١٠٤٥ وهو كتاب (المذاهب الفنية المعاصرة) ولكنه - للأسف - لم ينشره!

تقويمه لأشهر الأدباء المصريين:

ويصرح سيد بأنه لا يوجد في مصر في منتصف الأربعينيات ناقد يؤدي ضريبة النقد من جهده ووقته: (ولكنني أصرح - وليقل من شاء ما شاء - بأنه ليس هناك الآن ناقد يؤدي هذه الضريبة، كان هناك رجلان يستطيعان أداءها - على اختلاف في النوع والطاقة - هما العقاد والمازني، فانصرفا - وحق لهما ذلك - إلى الخلق والابتكار.

ثم تصدى لها الدكتور مندور، والدكتور مندور من خيرة الشبان المثقفين، ومن القلة النادرة بين الجامعيين في مصر، الذين لديهم ما يقولونه، وما يزدون به شيئاً غير الفهارس والعنوانات، ولكنه - مع هذا كله وعلى الرغم من كتابه «الميزان الجديد» - لا يصلح ناقدًا، إنه ناقل ثقافة وشارح آداب، أما النقد فلا.

إن الحاسة الأولى للناقد تنقصه: حاسة التفرقة لأول وهلة بين الأصالة والزيف، وبين النضج والفجاجة^(١).

كان الناقد الأول في مصر:

ونستنتج من كلامه هذا، أنه بعد انصراف العقاد والمازني عن مهمة النقد، صار سيد قطب الناقد الأول في مصر، ولم ينازعه على هذه المنزلة إلا الدكتور محمد مندور، وقد عرفنا من كلامه هذا منزلة الأخير في عالم النقد.

انتهى المطاف الأدبي النقدي بسيد قطب إلى هذه المنزلة، وقد كان في نيته أن يُصدر عدداً وفيراً من البحوث والدراسات النقدية.

(١) الرسالة - السنة الثانية عشرة - المجلد الثاني - عدد ٥٩٥ تاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٤٤م، صفحة ١٠٤٦.

ولكنه أعلن تخليه عن هذا الطريق، بعدما وصل إلى نهايته، وصار الأستاذ الرائد فيه، وراح يبحث عن طريق جديد، يبدأ فيه السير من أوله، لينتهي به إلى الريادة!

عَجَبًا بِأَنَّكَ سَالِمٌ مِّنْ وَحْشَةٍ فِي غَايَةِ مَا زِلْتَ فِيهَا مُفْرِدًا

يقول: «النقد ضريبة، يؤديها الناقد من وقته وجهده! - وأنا أؤديها قدر ما أستطيع - وإنني لأرغب في التخلي عن أدائها، لأنشئ أعمالاً أدبية أخرى، فلولا إجازة أعطيْتُها لنفسي في صيف هذا العام ما استطعت أن أولف كتاباً، وأشهد أنني لم أتعب فيه أكثر من تعبني في إعداد مقالة من مقالات النقد الصغيرة»^(١).

* * *

(١) المرجع السابق صفحة ١٠٤٦ ولعل الكتاب هو (التصوير الفني في القرآن) الذي صدر في أبريل ١٩٤٥ م.

المبحث الرابع سيد قطب القاص

تمتع سيد قطب بموهبة فنية في مجال كتابة القصة، وقد كتب عدة قصص فنية رائعة، منها ما نشره، ومنها ما عدل عن نشره.

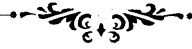
وقد كان ينشر مقالاته في المجلات، ينقد بها بعض القصص المطبوعة لبعض الكتاب، مثل محمود تيمور، ومحمود بدوي، وعبد الحميد جودة السحار، ونجيب محفوظ، والعقاد، وطه حسين، والحكيم، وغيرهم، وتميز في نقده بحاسة فنية، دلت على مقدار اطلاعه على القصص العربي والعالمي، ومعرفته بمواطن الجمال والنقص فيها، وكيفية صياغتها، ورسم أدوارها، وتحريك الشخصيات فيها، والتنسيق الفني بينها.

جناح القصص في مكتبته ضخمة:

وقد كان جناح القصص في مكتبته ضخماً، يكاد يحوي كل القصص والأقاصيص المؤلفة بالعربية، يقول - بعدما فوجئ بأقصوصة «وسوسة الشيطان» لعبد الحميد جودة السحار -: «وقادتني هذه المفاجأة إلى أن أراجع كل ما تحويه مكتبتي من الأقاصيص المؤلفة بالعربية - وهي تكاد تشمل كل ما تحويه المكتبة العربية في هذا الباب -».

ثم يتابع الموازنة بين أقصوصة السحار، والقصص المترجمة في مكتبته: «وأردت أن أتابع الموازنة فعدتُ إلى ما تحويه مكتبتي من الأقاصيص المترجمة - وهي تكاد تشمل كل ما نُقل إلى اللغة العربية-»^(١).

(١) الرسالة - السنة الرابعة عشرة - المجلد الأول - عدد ٦٦٨ تاريخ ٢٢ أبريل ١٩٤٦م، صفحة ٤٣٣.



فإذا كانت مكتبته تكاد تحوي كل ما صدر من القصص والأقاصيص مؤلفاً بالعربية أو مترجماً إليها - وهو عدد ضخمة! - فكم تحوي من مختلف الفنون الأدبية الأخرى؟ وكم تحوي من مختلف العلوم؟ كم سيكون حجمها؟ ولا شك أن سيد قد قرأ كل ما تحويه هذه المكتبة!! واستوعبه وتفاعل معه! ولعلنا بهذا نحاول أن ندرك ثقافته الواسعة الناتجة عن هذا الاطلاع!

قصص ألفها وقصص أراد تأليفها:

دخل سيد قطب عالم القصة بخطى ثابتة، وموهبة عالية، وثقافة واسعة، وقد ألّف بعض القصص: ففي الواقعية كتب قصته المصورة «طفل من القرية»، وفي الرمزية «المدينة المسحورة»، وفي الرومانسية «أشواك»... وقد أحدثت هذه القصص فور صدورهما، وبخاصة «أشواك» أثراً كبيراً في عالم الأدب، واستقبلها الأدباء والمثقفون، واكتشفوا بها موهبة سيد قطب الجديدة في عالم القصة، وأضافوها إلى مواهبه الفنية الأخرى.

كان في نيّته أن يصدر عدداً من القصص مثل «من أعماق الوادي» و«القطط الضالة»، وبحثاً عن «القصة الحديثة»، ولكنه عدل عنها في النهاية.

وقد كان سيد قطب قبل دخوله عالم التأليف في القصة يحجم عن دخول هذا الميدان الجديد، ويخشى على نفسه أن يفشل فيه.

يقول: «القصة أمر عسير، إذا أريد لها أن تكون عملاً فنياً كاملاً، وعن نفسي أذكر: إن القصة هي العمل الفني الوحيد الذي كنت أستهو له، وأحجم عن محاولته، طالما أنا أقرأ القصص الأوروبي والروسي خاصة - ثم انصرفت بعض الوقت لقراءة القصص الموضوعية في العربية، فرأيتني أنسى إحجامي، وأحاول كتابة القصة القصيرة، فهذه المجموعة

الجديدة (قصص روسية وفرنسية وإسبانية ترجمها للعربية عبد الرحمن صدقي تحت عنوان «ألوان من الحب») قد رَدَّتْ عليَّ إحجامي، وتركتني أُقدِّرُ الموهبة والمهارة اللازمتين لكتابة القصة الفنية^(١).

الأسس الفنية لصياغة القصة:

وبين سيد قطب الأسس الفنية اللازمة لتأليف القصة ونجاحها، واعتبارها قصة فنية: «إن الفكرة فيها ليست كل شيء، إنما طريقة التعبير عن هذه الفكرة: الأسلوب، اللمسات، الكلمات، الانسجام الخفي بين التوقيعات المختلفة الصادرة عن المنظر والحادثة والعبارة والأثر النفسي».

والقصة في رأيه - بعد الفكرة الجيدة والتعبير الجميل - هي: (عملٌ في حاجة إلى مَلَكَةِ التنسيق، القائمة على التصوير والموسيقى في آن، التصوير الذي يُعوِّدُ العين انسجام الألوان، والموسيقى التي تُعوِّدُ الأذُنَ انسجام الألحان، وبعد أن توجد الفكرة يجب أن تشترك اللمسة واللفظة في تكوين الجو المناسب لها، فكل منظر يُشار إليه، وكل حادث يتضمنه السياق، يجب أن ينسجم مع رنة الأسلوب، وإيحاء الألفاظ، ويجب أن يبرز كذلك أثره في الانفعالات النفسية المصاحبة، ويؤلف ذلك كله اللوحة التي نسميها القصة الفنية)^(٢).

بهذا البيان الدقيق، كشف لنا عن موهبته في عالم القصة، تأليفاً ونقداً وتحليلاً، وعلى هذه الأسس الفنية سار في قصصه المؤلفة، فجاءت لوحات فنية رائعة.

(١) الثقافة - السنة السادسة - المجلد الأول - عدد ٢٧٢ تاريخ ١٤ مارس ١٩٤٤م، صفحة

العدد ٢٠، وصفحة الجزء ٢٦٠.

(٢) المرجع السابق.

المبحث الخامس

سيد قطب المحاضر

تفتحت موهبة سيد قطب في الخطابة والتحديث والمحاضرة، منذ صغره، فعندما كان في القرية كان يقف في وسط الأهالي، الذين يأتون إلى منزل أسرته، يقرأ عليهم الجريدة السياسية اليومية، بنفس واثقة، ويشاركهم أحاديثهم وكأنه شاب. وعندما قامت ثورة الشعب سنة ١٩١٩م اعتلى منابر مساجد القرية، ينفخ في بوق الثورة، ويستمتع أهالي القرية حديث الصغير مندهشين معجبين.

وفي القاهرة صار يلقي المحاضرات وهو ما زال طالباً في الكلية، منها محاضراته «مهمة الشاعر في الحياة» التي ألقاها على مدرج كلية دار العلوم، وأعلن فيها آراءه الأدبية بثقة وجرأة وقوة، أثارت إعجاب الجميع.

محاضراته عديدة متنوعة:

ثم تعددت محاضراته وندواته الأدبية، منذ أن تخرج في الكلية في عام ١٩٣٣م، وإلى أن سافر إلى أمريكا عام ١٩٤٩م، وقد كان يلقي هذه المحاضرات في جمهور كبير من الأدباء والمثقفين، وكان فيها - كعادته - يعلن آراءه بشكل صريح وجريء، وقد نشرت له مجلة «دار العلوم» عدداً من هذه المحاضرات.

وعندما اتجه وجهته الإسلامية، صار يلقي محاضرات عديدة في مختلف النوادي والجمعيات والمؤسسات.

وقد حضر أبو الحسن الندوي محاضرة له، تحدث فيها عن فرنسا فقال عنه إنه «قرأ كلمة بمناسبة هذه الحفلة (استنكار اعتداء فرنسا

على المغرب عام ١٩٥١م) كانت موجهة إلى عبيد فرنسا، وكانت كلمة أدبية تهكم فيها بهؤلاء العبيد، الذين يُسبحون بحمد فرنسا بكرة وأصيلاً».

وبين أثر كلمته في الجمهور فقال: «وكانت الكلمة تقاطعُ بهتافات صارخة، وتصفيقات حارة، وكان الجمع يهتف بين حين وآخر (تسقط فرنسا العاهرة)»^(١).

وصف لطريقته في المحاضرة:

ووصفت مجلة (الدعوة) ندوة لسيد قطب أقيمت في قاعة المحاضرات في الجامعة الشعبية في القاهرة في ١١ أبريل ١٩٥٣م، وكانت حول (الصحافة والرأي العام أيهما يوجه الآخر؟) اشترك معه فيها) فكري أباطة مدافعاً عن الصحافة، وحافظ محمود منتقداً انتقاداً ليناً، وتوفيق دياب الذي وقف بينَ بينَ).

أما هو فقد: «هاجم الصحافة هجوماً عنيفاً، لأنها صاحبة الجلالة، ويجب أن تضحي، ولا تتعامل بحساب الربح والخسارة، وأشار إلى أنها دائماً مع العهد القائم، وتقوم بتضليل الرأي العام، لا توجيهه، وانتقد الانحدار الأخلاقي في المقالات والتحقيقات الصحفية، وعزا السبب في هذا كله إلى أن دَخَلَ الصحافة من الإعلانات أولاً، ومن المصروفات غير المنظورة من أصحاب الملايين، هو الذي يوقعها في هذا المأزق، فهي تعطي أهل الملايين بقدر ملائمتهم، وأهل الملايين بقدر ملائمتهم!

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي: ١٢١.



ثم أجاب سيد قطب بعد ذلك عن أسئلة الحاضرين بنفس الصراحة التي انتقد فيها الصحافة^(١).

أسلوبه الناجح في المحاضرات:

أما أسلوب سيد قطب في محاضراته، فقد أوضحه تلميذه الأستاذ يوسف العظم، وهو أدرى الناس به لطول صحبته له، ونترك له المجال ليحدثنا عنه. يقول:

«لأستاذ سيد قطب موهبة في الحديث، تجذب كل من يستمع إليه، فهو لا يعد في الخطباء إذا انصرف المفهوم الخطابي إلى العاطفة الثائرة، ولكنه في طليعة المتحدثين إذا تصورنا المنطق السليم والحجة الدامغة والتسلسل فيما يورد من أفكار، وما يدلي به من آراء.

وحديث الأستاذ سيد حين يقابل جمهوره، يبدأ هادئاً، ولكن في ثقة، بسيطاً، ولكن في عمق، سلس العبارة، ولكن في غير سوقية ولا تبذل، وقد يهاجم الأستاذ خصومه، ويبكت من ينصرفون عن الحق، ممن يعبدون الرجال والمال، ولكن في أدب وعفة مقال.

من أروع ما يُعرف عن أستاذنا، وما لمسناه فيه، أنه قد ير إلى أبعد حدود القدرة على مهاجمة الحاكم بصورة تثير الجمهور، وتحرك فيه كوامن السخط والغضب على الظالمين، دون أن يؤخذ على الأستاذ المتحدث مأخذ واحد، بأنه سب أو شتم، أو خرج عن حدود اللياقة والذوق، بل النظام والقانون.

(١) الدعوة: عدد ١١٢ تاريخ ٦ أبريل ١٩٥٣م صفحة ٣.



والذين استمعوا لأستاذنا سيد على مدرج الجامعة، أو في المركز العام للإخوان المسلمين في القاهرة، أو في المتديات والمؤتمرات يُجمعون على أن لدى الرجل حجة قوية وأسلوباً منطقياً، ونبرة صوته معبرة، تأخذ بالألباب، وتسيطر على السامع، وتَحمله بأسلوب لا قسر فيه ولا رهق، أن يستجيب للرجل، وأن ينقاد لما يقول»^(١).

* * *

(١) بحث الأستاذ يوسف العظم ضمن كتاب (الشهيد سيد قطب) صفحة ٣٤ - ٣٥.

المبحث السادس

سيد قطب الباحث

شغفت نفس سيد قطب بالبحث والتحليل منذ مطلع حياته الأدبية، وكان يجد لذة عجيبة في هذا المجال، ويُمضي الساعات الطوال في مكتبته، في صحبة كتاب علمي أو أدبي، وما كان يحس بالزمن وهو يمر، وعندما كان جسمه يعلن التمرد، ويوقعه في المرض، كان الطبيب يُلزمه بترك البحث والدراسة، وعدم بذل أي مجهود، راحة لأعصابه، ولكن نفسه ترفض الالتزام بهذا، فيقضي وقته على السرير في صحبة الكتاب.

كانت المقالات الأدبية التي ينشرها في مختلف المجلات، حصيلة بحث طويل، وكان بعضها يستأديه قراءة كتاب، وبعضها الآخر يستأديه قراءة عشرة كتب، باحثاً محللاً لها، ومن المعروف أن هذه القراءة الفاحصة الواعية تأخذ من وقته الكثير.

يستوفي ما يحتاجه البحث من وقت وجهد:

إذا أراد بحث موضوع، فإنه يستوفي كل خصائص البحث، بهمة عالية، ودأب ومثابرة، ولم يكن يكتب بحثه، إلا بعد أن يرجع إلى كل المراجع عنه، وبعد أن يفكر فيه ويتأمله، ويلاحظ قضاياها، ويعيشها، لم يكن يسلقه سلقاً، وإنما ينضجه على نار هادئة، ولهذا كان يستحوذ على إعجاب القراء.

عندما نشر بحثه «المرأة لغز بسيط» في ست حلقات في مجلة (الأسبوع) قال: (ولقد عنيتُ منذ عشر سنوات تقريباً في أن أدرس هذا

الموضوع، بمقدار ما تُهيء الظروف لشاب، وحاولت أن أجد اللغز فيمن عرفتهن، أو عرفهن أصدقائي، وفيمن قرأت عنهن أو قرأت لهن، فكان بحثي عن اللغز هو اللغز نفسه»^(١).

وعندما أعد بحثه عن (الصور والظلال في الشعر العربي) واستقصى البحث فيه قال: «رجعتُ فيه إلى كل ما يملك فرد أن يرجع إليه من مصادر الشعر العربي»^(٢).

بحثه يستغرق سنوات:

وعندما أعد بحثه عن «المدارس الأدبية المعاصرة» اعتذر عن الوقت الطويل الذي استغرقه هذا البحث قائلاً: «ومنذ عامين لديّ كتاب عن (المدارس الأدبية المعاصرة) وما يؤخرني عن كتابته إلا استيفاء بعض الدراسات الشخصية لأبطاله، وقد استطعت أن أجمع عن كُتب معظم ما أريد جمعه عن العقاد وتوفيق الحكيم، وشيئاً مما أريد جمعه عن طه حسين والمازني، وقليلاً عن المنفلوطي والزيات، ومتفرقات عن تميور وحقي ولاشين وآخرين.

وبعدما أستوفي هذه الدراسات - لا قبله - سأخذ في الحديث عن المدارس الأدبية المعاصرة، ولو صرفت عامين آخرين، فأنا أقدرُ قيمة هذا العمل، وأعرف ما هو مطلوب مني إزاءه»^(٣).

(١) الأسبوع - المجلد الرابع - عدد ٤٥ تاريخ ٣٠/١٠/١٩٣٤م، صفحة ٩.

(٢) الرسالة - السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٧٠٤ تاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٤٦
صفحة ١٤٥٧.

(٣) الرسالة - السنة الثالثة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٢٩٧ تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤م
صفحة ١٠٨٨.

يطلب من المؤلفين مؤلفاتهم ليدرسها:

وعندما أعد بحثين، عن «الشعر المعاصر» وعن «القصة الحديثة» استوفى بحث كل أشعار وقصص الأدباء المصريين، ولكن هذا لم يكفه، وإنما كان يريد الحصول على نتاج الشعر والقصة في العالم العربي كله!! فاستخدم طريقة غريبة للحصول عليه، وهي طريقة لم يستخدمها أي أديب أو باحث!! فقد نشر إعلاناً في «مجلة الرسالة» قال فيه:

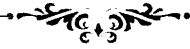
«إلى أدباء البلاد العربية... لم تبق إلا هذه الوسيلة! إنَّ لديَّ بحثين معطلين عن «شعر الشباب» وعن «القصة الحديثة»، لأنني لا أستطيع الحصول على أعمال المعاصرين من الشعراء والقصاص في البلاد العربية.. ولا أحب أن أقصر بحثي على أعمال الأدباء المصريين، فرجائي إلى كل شاعر وكل قصاص في البلاد العربية أن يتفضل فيرسل إليَّ بأعماله في هذين البابين محولاً بثمانهما على البريد^(١).

فماذا حدث نتيجة هذا الإعلان؟ يقول: «حدث أن تفضل بعض الشعراء والأدباء في فلسطين والعراق والحجاز بإهداء دواوينهم وقصصهم إليَّ، ولكن البقية لم تصلني، كما أن سورية ولبنان لم يسمعا النداء^(٢).

إن هذا الإعلان الجريء، يطلعنا على مقدار عناية سيد قطب بالبحوث التي يعُدُّها، وحرصه على أن تكون نتيجة بحث مستوفى، ودراسة شاملة مستوعبة.

(١) الرسالة - السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٦٧٧ تاريخ ٢٤ يونيو ١٩٤٦م صفحة ٧٠٥.

(٢) الرسالة - السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني - عدد ٦٩٨ تاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٤٦م صفحة ١٢٧٩.



وعندما اتجه وجهته الإسلامية، صار يبحث ويتعمق في البحث، ويتوسع فيه، ويستقصي جوانبه، فكتاب مثل «خصائص التصور الإسلامي» استغرق إعداداه أكثر من عشرة أعوام^(١)، وكتاب «نحو مجتمع إسلامي» بدأ إعداد موضوعه منذ أوائل الخمسينيات، واستشهد عام ١٩٦٦م ولم يتمه!!!

وكما كان باحثاً أديباً وإسلامياً، كان باحثاً اجتماعياً، فعندما سافر إلى أمريكا، عني بدراسة المجتمع هناك دراسة فاحصة، وبذل في ذلك جهداً كبيراً. وأعد كتابه «أمريكا التي رأيت» ولكنه لم ينشره.

* * *

(١) أعلن عنه في بداية الخمسينيات وصدرت طبعته الأولى في أوائل الستينيات.

المبحث السابع

سيد قطب المحلل السياسي

دخل معترك الحياة السياسية منذ صغره، وقد كان له في قريته مشاركة سياسية محلية، ثم انضم إلى حزب الوفد فترة طويلة، ثم انفصل عنه وانضم إلى حزب السعديين فترة قصيرة، ثم هجر الأحزاب السياسية كلها بعد ذلك.

تحليلاته السياسية في الأربعينيات:

اشتهر في الأربعينيات بتحليلاته السياسية الصائبة، والتي نشرها على صورة مقالات في المجالات، مثل (الرسالة) و(العالم العربي) و(الفكر الجديد)، وتحدث فيها عن الاحتلال الإنجليزي لمصر، وعن فشل الأحزاب السياسية في مصر في نهضة المجتمع وتحرير البلاد، كما تحدث عن مشكلات العالم العربي الأخرى، مثل قضية فلسطين، وفضائح فرنسا في سورية، ومذابحها في المغرب العربي.

وفي أمريكا تمعّن في الحياة السياسية هناك، وعرف بعض مخططات أمريكا في العام العربي، وأدرك حربها الشرسة ضد الحركة الإسلامية بوجه خاص، وعرف خلفيات قادتها السياسية، ودور الصليبية واليهودية في توجيه السياسة هناك.

وعندما عاد إلى مصر، اعتقد أن طريق الإسلام هو طريق الخلاص، وأنه متمثل بالحركة الإسلامية، فانضم إليها، ووضع كافة قدراته في خدمتها، وصار يكتب المقالات السياسية، ويحلل فيها الأحداث الجارية.

دعوته إلى قيام الكتلة الثالثة:

وأهم آرائه السياسية، التي تبناها ودافع عنها ودعا إليها، وتبنتها جماعة الإخوان المسلمين كذلك «الكتلة الدولية الثالثة» التي دعا إلى قيامها، وألقى المحاضرات عنها، وكتب المقالات موضحاً أبعادها، والتي تضم العالم الإسلامي كله، وتقف في وجه القوتين العظميين «الكتلة الغربية بزعامة أمريكا»، و«الكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفياتي»، وأعلن أنها تُقدّر على الصمود بسبب ما يملكه العالم الإسلامي من ثروات طبيعية مكنوزة، ومدد بشري هائل، ومركز استراتيجي حساس، وقبل هذا كله عقيدة إسلامية محركة، ومنهاج إسلامي حضاري، وتوفيق الله في النهاية، ولكنه أعلن كذلك أن الطريق أمام قيامها صعب وشاق، وأن القوى العظمى لن تسمح به!! وقد صدق ما توقعه، إذ قامت بعد ذلك «منظمة دول عدم الانحياز» وضمت مختلف الدول الآسيوية والأفريقية والأمريكية، ولكن الولايات المتحدة، تمكنت من احتوائها!!!

حديثه عن الحرب الأمريكية للسيطرة على العرب:

وقبل قيام الثورة في مصر عام ١٩٥٢م، أصدر كتابه (السلام العالمي والإسلام) بيّن فيه رغبة الشعوب كلها في السلام، كما بيّن أن هذا السلام لا يوجد إلا في الإسلام، وقد تجلت في هذا الكتاب موهبة سيد قطب في التحليل السياسي.

وقد كشف يوسف العظم النقاب عن ما قامت به المخابرات الأمريكية من حذف تحليل سياسي رائع، كتبه سيد قطب في الفصل الأخير من الطبعة الأولى من الكتاب، بعنوان (الآن)، حيث صدرت طبعته الثانية خالية منه!!!



وقد ذكر يوسف العظم بعض محتويات هذا التحليل، وحيث لم نستطع الوقوف عليه، فسنكتفي بإيراد كلام العظم في هذا المقام: قال على لسان سيد قطب:

«إن رؤوس الأموال الأمريكية بحاجة ملحة إلى حرب جديدة...»

«ومن هنا كان مشروع (مارشال) وكانت لهذا المشروع غايات أساسية ثلاثة»:

الغاية الأولى: كانت هي تصريف الإنتاج الأمريكي الفائض.

والغاية الثانية: هي القضاء على حالة التبطل بين عمال أمريكا.

والغاية الثالثة: كانت هي تعمير أوروبا، تحقيقاً للنشاط الاقتصادي العالمي كله، من ناحية، ومقاومة للشيوعيين في أوساط المتعطلين من ناحية أخرى.

ومن هنا يُعدُّ (مارشال) صاحب هذا المشروع، في نظر الأمريكان أحد رجال التاريخ الأميركيين، وقد عدته بعض الصحف الأمريكية أحد العشرين الذي صاغوا القرن العشرين، لا في أمريكا وحدها، بل في العالم على الإطلاق.

وتناول الأستاذ سيد قطب موضوع المساعدات الاقتصادية الأمريكية، وموضوع النقطة الرابعة من مشروع ترومان، والصراع بين الكتل الشيوعية والغربية.. وحديث الحرب، سواء كانت حرباً محلية، وكأنما يشير إلى حرب فيتنام، أم حرباً عالمية شاملة... تناول كل ذلك بصورة مدروسة واعية، لفتت نظر المخابرات الأمريكية، التي أشارت بدورها إلى السلطات المصرية أن تحذف كل هذا التحليل من الكتاب في طبعاتها التالية^(١).

(١) الشهيد سيد قطب: ٤٣ - ٤٤.

وقد نقلنا كلام سيد قطب لحافظ الشيخ - أحد أعضاء اتحاد جامعة الخرطوم - عندما زاره في منزله، الذي تحدث فيه عن خطر أمريكا والصهيونية على هذه المنطقة وعن بعض مخططاتها للسيطرة عليها، وعلل فيه أسباب قيام الوحدة بين مصر وسورية وأسباب فشلها، وبها تتجلى موهبته الرائعة في التحليل السياسي^(١).

سيطرة المخابرات على الصحف العربية:

وبَيَّنَ سيد قطب دور المخابرات الأجنبية في تمويل وتوجيه الصحف المصرية بقوله: «إن الصحف المصرية - إلا النادر القليل - مؤسسات دولية، لا مصرية ولا عربية! مؤسسات تساهم فيها أقلام المخابرات البريطانية والأميركية والفرنسية والمصرية والعربية أخيراً!! مؤسسات تحرَّرُ صفحات كاملة فيها بمعرفة أقلام المخابرات هذه، لتروج دعايتها في أوساط الجماهير، مؤسسات تخدم الرأسمالية العالمية أكثر مما تخدم قضايا الشعوب العربية، وتخدم الاستعمار الخارجي والجهات الحاكمة، قبل أن تخدم أوطانها وشعوبها الفقيرة، وهذا هو السر في أن الدولة لا تفرض عليها القيود التي تفرض على الكتب، لأن وراءها أقلام المخابرات ومصالح الرأسمالية العالمية، وهي كفيلة بأن تسندها، وتذل لها العقبات، وتفسح لها الطريق، لنشر دعايتها المستوردة في أطراف البلاد العربية جميعاً»^(٢).

* * *

(١) انظر مبحث «استشهاده» من هذا الكتاب.

(٢) الرسالة - السنة التاسعة عشرة - المجلد الأول - عدد ٩٤٣ تاريخ ٣٠ يوليو ١٩٥١م صفحة ٨٥٤.



الفصل الرابع تراثه الأدبي والفكري





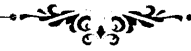
المبحث الأول أهمية نشر تراثه كله

ترك سيد قطب تراثاً أدبياً وفكرياً كبيراً، فقد عرفنا أنه ظل يكتب المقالات الأدبية المتنوعة في مختلف المجالات، مدة تزيد على خمسة وعشرين عاماً، وهذه المقالات مملوءة بالكنوز المخبوءة، والمعلومات المفيدة، وتدل على موهبته الفذة في عالم الأدب، وهي تراث أدبي مجهول، ضمته صفحات مجلات عديدة، هي بدورها مجهولة لنا، حيث وضعت على أرفف المكتبات ودور الكتب، وإن أي محاولة لإخراج هذه الكنوز هي محاولة شاقة ومضنية، وتحتاج إلى صبر وأناة، ودأب ومثابرة، وإذا تمت فسيكون فيها إضافة جديدة لسجل الأدب والثقافة، ومنتعة للأدباء ومحبي الثقافة، وكشفاً لصفحات مجهولة من حياة هذا الرجل النابغة، وبياناً لبعض ملامح شخصيته، وإظهاراً لبعض مواهبه.

كذلك ترك لنا تراثاً فكرياً كبيراً، يتمثل في دراساته وبحوثه الإسلامية العميقة، التي نشرها في موسوعته (في ظلال القرآن)، وقد أعد عدة بحوث إسلامية أخرى، ولكن الطغاة أتلّفوها، ولم يسمحوا لها أن ترى النور!!!

سيد قطب: قِمةٌ عُرِفَتْ ولم تُكتشف:

إن سيد قطب شخصية عجيبة حقاً، والأعجب من شخصيته هو الجحود الذي قوبل به في حياته، من الأدباء والدارسين، والتجاهل الذي لحقه بعد استشهاده، وكان حرياً بعشاق الثقافة والأدب، أن



يُعدّوا دراسات عن شخصيته وفكره وتراثه الأدبي، كما كان حرياً بمريديه الإسلاميين أن يُعدّوا دراسات عن فكره الإسلامي، وشخصيته الحركية، ومواقفه البطولية، وما أضافه إلى الفكر الحركي الإسلامي من أفكار!! ولو كان سيد قطب عند غيرنا، لكتبوا عنه الكثير، وفاخروا به الدنيا، إنهم يجعلون من بعض رجالهم علماء وعباقره وفلاسفة، وقادة رأي ورواد فكر، وهم بجانب سيد قطب أقزام أقزام!!!

إن سيد قطب قمة عالية، قمة عُرفت ولم تُكتشف حتى الآن، وليس عجباً أن يكون قمة، ولكن الغريب أنها لم تُثر في نفوس المعجبين حوافز لاستكشافها، حيث اكتفوا بالنظر إليها من بعيد، معجبين مبهورين مندهشين.

وقد وجه لسيد قطب كيد ماهر من أعدائه، انتهى به إلى القضاء على حياته، كما لفه جهل كبير من كثير من إخوانه!! وبهذا وقع بين كيد هؤلاء وجهل هؤلاء، وبقيت محاولات استكشافه في مراحلها الأولى، تستنهض همم الدارسين.

لئن كان أدباء آخرون، مثل العقاد وطه حسين، قد وجدوا من تلاميذهم من يدرسهم ويجمع تراثهم - حتى المقالات الصغيرة التي كتبوها في المجلات - فأعتقد أن سيد وهو يوازي قادة الأدب والفكر هؤلاء، يوازيهم في المجال الأدبي والفكري، ويزيد عليهم في المجال الإسلامي والحركي، بل لا مقارنة بينه وبينهم في هذا المجال! إنني أعتقد جازماً أنه أولى منهم بالعمل على جمع تراثه كله، سواء كان بحوثاً أم قصائد أم مقالات!

رد الدعوة إلى إلغاء تراثه الأدبي والفكري:

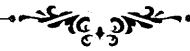
ومن أغرب الدعوات التي ظهرت بعد استشهاده، دعوة صدرت عن بعض مريديه وتلاميذه، يدعون فيها إلى إلغاء كل تراثه الأدبي، السابق على اتجاهه الإسلامي الجاد، بل إلى إلغاء كتبه الإسلامية الأولى، التي أصدرها قبل إدخاله السجن عام ١٩٥٤م.

ويعلمون لدعوتهم هذه بأن اهتماماته الأولى اهتمامات أدبية، ليست إسلامية حركية جادة، فكأنها لهو وتسلية، ولا يجوز أن يُضَيِّع الوقت فيها، كما أن في هذا التراث الأدبي، اتجاهات باطلة لسيد قطب، مخالفة للإسلام، ونشرها سييء إلى شخصيته، ويؤثر على صورته في نفوس مريديه، ثم إن سيد نفسه، أعلن عن تخليه عن هذه البحوث والكتب والمقالات، في أواخر حياته، وأثبت في آخر الجزء الثالث عشر من «في ظلال القرآن» قائمة بالكتب التي تبناها. وترك ما عداها!!

ونحن نحسن الظن بهؤلاء، ونلمح صدق النية في دعواهم هذه، ولكننا نرى ضرورة وأهمية إخراج هذا التراث المطمور، ونشره للأدباء والمثقفين، خدمة للأدب والثقافة، وإضافة جديدة لعشاق الأدب، وكشفاً لبعض مواهب الرجل الأدبية.

لا يوجد في حياة سيد قطب ما يُخجل، كما لا يوجد في تراثه ما يُستحيا من نشره، لأنه كان صادقاً في حياته، صادقاً مع نفسه، صادقاً في أدبه.

إن هذا التراث الأدبي الذي يدعو الداعون إلى أهماله، أخذ من وقت وجهد سيد قطب الكثير، وملاً ما يقرب عن أربعين سنة من حياته، وهي سنوات طويلة لها أثر عميق في شخصيته.



تراثه غطى أربعين سنة من عمره:

يقول سيد قطب عن نفسه في «معالم في الطريق»:

«إن الذي يكتب هذا الكلام (ضرورة الاعتماد على الإسلام فقط كمصدر وحيد للثقافة) إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة، كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع، في معظم حقول المعرفة الإنسانية، ما هو من تخصصه وما هو من هواياته، ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوره، فإذا هو يجد كل ما قرأه ضئيلاً إلى جانب ذلك الرصيد الضخم، وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره، وإنما عرف الجاهلية على حقيقتها، وعلى انحرافها، وعلى ضآلتها، وعلى قزامتها، وعلى جعجعتها وانتفاشها، وعلى غرورها وادعائها كذلك!»^(١).

وإذا أسقطنا ما قدمه في هذه السنين، واكتفينا بما وصل إليه من فكر ناضج ورأي سليم، فإن صفحات عديدة ستطوى من حياته، وإن جوانب كثيرة ستكون مجهولة، إن كل جانب من جوانب حياته يمثل صورة أو فصلاً، لا بدّ من معرفته وإدراك خفاياه، ولا نعرف هذا إلا بالاطلاع على تراثه الأدبي الضخم، غير معقول أن نقف مع سيد قطب على القمة دون أن نعرف الرحلة التي قطعها حتى وصل إلى هذه القمة، ولا ملامح الطريق التي سار فيها!! وإن في آثاره الأدبية وصفاً للطريق، وبياناً للزاد الذي حمله معه في هذه الرحلة!!

أما إن في هذا التراث اتجاهات جاهلية مخالفة للإسلام، فنحن نُقرُّ بها ونعترف بوجودها، ولكن هذا لا يعيب الرجل، بل على العكس

(١) معالم في الطريق: ١٧٥ - ١٧٦.

يرفع قدره في أعين الناس، ويدل على أنه لم يقطف ثمرة المعرفة واليقين إلا بعد جهد ومعاناة، وإن في بيان بعض ملامح رحلة الضياع التي قطعها، والته الذي تاه فيه، بيان لقيمة النقلة البعيدة التي نقله إليها الإيمان، والآفاق السامية التي حلق فيها على هدى هذا النور - ولا يُعرف فضل الإيمان عليه إلا بالاطلاع على صفحات من حياته السابقة - وبيان لعقيدة الإيمان الفاعلة المحركة، وبيان لميزة جديدة من مزايا سيد قطب في التفاعل مع هذا الإيمان.

تاريخ حياة الصحابة قبل الإسلام:

إن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، لم يكتف المؤرخون المسلمون بذكر سيرتهم الإسلامية فقط، ولم يهملوا حياتهم الجاهلية الأولى، حفاظاً على صورتهم الوضيئة في أعين المسلمين، لا بل ذكروا كل ما وصل إليهم من صور حياتهم الجاهلية، واعتبروا ذكرها أمراً ضرورياً، لبيان فضل الإسلام الذي نقلهم هذه النقلة، وبيان فضلهم في التفاعل مع الإسلام.

أفلا يكون عمل المؤرخين هذا قدوة لنا حين نتحدث عن سيد قطب، ودافعاً لنا إلى بيان ملامح حياته الأولى، وما خَلَفَ فيها من تراث؟!!!

وحين نجد أنّ سيد قطب نفسه قد أعلن عن تخليه عن بعض كتبه الأولى، فهذا دليل على أن الرجل - وقد وصل إلى الريادة - أراد أن يبيّن للدعاة الكتب الناضجة، التي تمثل لهم زاداً فكرياً وحركياً في طريق العمل الإسلامي، وأن بعض ما قدمه في السابق قد أدى غرضه في حينه! ولا يعني هذا إعدام كل هذا التراث الكبير!!



ولا تعني دعوتنا إلى نشره أننا نعتقد أن كل فقرة منه تصلح زاداً للدعاة العاملين، لأن بعض تراثه أدبي محض، ولكنه زاد للأدباء والمثقفين، ولا بد كذلك من إلقاء الضوء على الكتاب الذي تبناه سيد قطب، والكتاب الذي تخلى عنه وتبرأ منه.

ثم إن معرفة حياته الأدبية الأولى، والاطلاع على تراثه الأدبي الضخم، ضروريان لمعرفة خلفيته الأدبية والفكرية، ولكشف مواهبه ومزايا شخصيته، هذه الحياة وهذا التراث مدخل لمعرفة نتاجه الإسلامي: «فلولا تكوين سيد الأدبي في سابقة حياته، وتحليه بقوة عارضة، ورصانة لغة، وفكر مفتوح على آفاق المعرفة، وتعمق في الفهم.. لما وصل سيد إلى قوة هذا العطاء، وإلى هذا الفكر الناضج.

إن تكوينه السابق لدخوله إلى ميدان الدعوة الإسلامية كان فاتحة عمل عظيم.. وقدرة معطاءة»^(١).

تصنيف آثاره وأبحاثه وكتبه:

ولا أعني بالتصنيف ذكر الفنون التي كتب فيها، فقد ذكرنا سابقاً أنه ما ترك فناً من فنون الأدب، ولا حقلاً من حقول المعرفة إلا وكتب فيه.

وإنما أعني بالتصنيف تقسيم هذا التراث إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: مقالاته المختلفة في المجالات، والتي استمرت ما يزيد على ثلاثين عاماً، وهي مقالات مختلفة، منها الأدبية، ومنها السياسية، ومنها الاجتماعية، ومنها النفسية، ومنها الإسلامية.

(١) المجتمع: عدد ١٦٦ تاريخ ٤ سبتمبر ١٩٧٣م: صفحة ٢٨.

القسم الثاني: البحوث الكثيرة التي أعدها، ولم ينشرها!!

القسم الثالث: مؤلفاته المطبوعة.

بالنسبة إلى القسم الأول لن أتحدث عنه هنا، لأن هذه الدراسة لا تستوعبه، ولأنني لم أتمكن - رغم ما بذلت من جهد - من الاطلاع على كل المجلات التي كتب فيها، حيث لم أطلع إلا على نتاجه في مجلات: «الأسبوع» و«الرسالة» و«الثقافة» و«العالم العربي» و«الكتاب المصري» و«دار العلوم».

وبالنسبة إلى القسم الثاني سوف أذكرُ البحوث التي أشار هو نفسه إلى أنها قيد البحث، أو قيد التحرير، أو تحت الطبع، وأغلب الظن أن هناك بحوثاً أخرى أعدها، ولكنني لم أجد إشارته إليها، لأنني لم أطلع على كل مقالاته!!

أهمية ترتيب كتبه حسب صدورها:

وبالنسبة إلى القسم الثالث، فسوف أعرفُ تعريفاً موجزاً جداً بهذه الكتب، وأتناولها حسب تاريخ صدور طبعاتها الأولى، لا حسب موضوعاتها، لأنني رأيت بعض من كتبوا عن سيد قطب، لم يعرفوا السابق من هذه الكتب، ومن ثم لم يرتبوها حسب ظهورها، وأرى أن معرفة أسبقها ظهوراً يفيدنا فائدة كبيرة في معرفة التطور الفكري الذي مر به سيد قطب ولا بد لمن يريد دراسة هذه الكتب أن يصنفها حسب صدورها، كما لا بد لمن يريد دراسة مقالاته أن يرتبها حسب تاريخ نشرها.

وقد عانيتُ كثيراً في ترتيبها على هذا الأساس، وبهذه المناسبة أقرر أن دور النشر العديدة التي نشرت هذه الكتب - سواء بطريق مشروع أو



غير مشروع - وقعت في خطأ فاحش، وهو عدم إشارتها إلى تاريخ الطبعة الأولى للكتاب، مع أن الطريقة المثلى هي الإشارة إلى تاريخ الطبعة الأولى عند إعادة طبعه، وذلك حتى يكون القارئ على بينة، وحتى لا يقع الباحث في حيرة، لأن أفكار الكاتب في تطور، فقد يسجل رأياً في الكتاب، ثم يتخلى عنه في طبعة لاحقة له، والتطور أبرز ما يكون في أفكار سيد قطب، ولا يُعرف هذا إلا بتصنيف كتبه على هذا الأساس. وأنصح كل من يريد أن يقف على التطور في أفكار سيد قطب أن يرتب كتبه ومقالاته حسب صدورها!!

* * *

المبحث الثاني تعريف بكتبه المطبوعة

تأخر سيد في نشر الكتب:

تأخر سيد قطب في تأليف الكتب ونشرها، حيث أمضى أكثر من عشرين سنة من حياته الأدبية يكتب البحوث والمقالات والقصائد، وبعد أن أنس من فكره نضجاً صار يؤلف الكتب.

يقول في خطابه إلى الدكتور أحمد أمين: «لقد كنتُ مريداً بكل معنى كلمة المريد لرجل من جيلكم تعرفونه عن يقين، (يعني العقاد) ولقد كنت صديقاً أو ودوداً مع الآخرين من جيلكم كذلك، لقد كتبت عنكم جميعاً بلا استثناء، شرحت آراءكم وعرضت كتبكم، وحللت أعمالكم بقدر ما كنت أستطيع، ثم جاء دوري.. جاء دوري في أن أنشر كتباً بعد أن كنت أنشر بحوثاً ومقالات وقصائد، لقد جاء دوري في نشر الكتب متأخراً جداً، لأنني آثرت ألا أطلع المئذنة من غير سلم، وأن أترث في نشر كتب مسجلة حتى أحس شيئاً من النضج الحقيقي، يسمح لي أن أظهر في أسواق الناشرين»^(١).

تجاهل كبار المؤلفين له غيرة منه:

وبعد أن قرر تأليف الكتب عام ١٩٤٥م، صار يصدرها تباعاً، فأصدر عشرة كتب في أقل من خمس سنوات، مما رفع منزلته في أوساط المثقفين والأدباء، وصار في فترة وجيزة في طليعة الأدباء والمفكرين في العالم العربي، واستحوذ على قلوب عشاق الأدب

(١) الثقافة - السنة الثالثة عشرة - عدد ٦٦٣ تاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥١م صفحة ٨.



والثقافة والفكر، لكن الأدباء الآخرين فوجئوا بهذا الصعود المفاجئ، وصاروا ينفسون على سيد قطب مكانته الجديدة، وتجاهلوا نتاجه الغزير - وكأنهم تواصلوا بذلك - وكان في مقدمتهم أستاذه العقاد.

يقول في حديثه إلى الدكتور أحمد أمين: «فماذا كان موقف أستاذي؟ (يعني العقاد)، وماذا كان موقف جيلكم كله! ماذا كان موقف جيل الشيوخ لا من هذا الكتاب وحده (يعني التصوير الفني في القرآن) ولكن من الكتب العشرة التي نشرتها حتى الآن؟

أراجع كل ما خطته أقلام هذا الجيل كله عن عشرة كتب، فلا أعثر إلا على حديث في الإذاعة لفقيد الأدب المرحوم الأستاذ المازني، وإلا إشارة كريمة للأستاذ توفيق الحكيم في أخبار اليوم»^(١).

وقد زاد تجاهل الأدباء والمفكرين له بعد اتجاهه الإسلامي، وبعد اصطلائه بنار المحنة والعذاب في سجون الطغاة!!

وفيما يلي نقدم تعريفاً موجزاً بكتبه، ونتحدث عنها حسب تاريخ صدورها:

١ - مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر:

أعده في الأصل محاضرة، ألقاها في مدرج كلية دار العلوم، عندما كان طالباً في السنة الثالثة فيها، وقدمه إلى الحضور أستاذه محمد مهدي علام، كما قدم الكتاب عندما دفعه سيد إلى المطبعة، وقد أثنى في تقديمه على سيد قطب، وبيّن اعتزازه بأن يكون أستاذاً له، وأنه لو لم يكن له تلميذ سواه لكفاه ذلك سروراً، كما بيّن في تقديمه إعجابه

(١) الثقافة - السنة الثالثة عشرة - عدد ٦٦٣ تاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥١م صفحة ٨.

بجرأته الرشيدة، واستقلاله بالرأي، وعصبية البصيرة، وسجل توفيقه في بحثه، وإن خالفه في بعض آرائه، واعتبره مفخرة من مفاخر دار العلوم. وقال سيد قطب في تقديمه: (هذا مجهود ضئيل الحجم، أُعد ليكون محاضرة فحسب، فلا يحتاج إلى مقدمة تبين أغراضه وتوضح اتجاهه، فهو ذاته يصح أن يكون مقدمة لمبحث كامل في موضوعه هذا «مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر» وسيكون).

وقد بيّن في كتابه مهمة الشاعر في الحياة، ومنزلة الشعر بين الفنون الجميلة، ثم بيّن من هو الشاعر، وفرّق بينه وبين المصور، وتحدث عن الخيال في الشعر، وعن تناسق الخيال، وتحدث عن ذوق الشاعر، وأثر البيئة في الذوق والخيال، وتحدث عن التعبيرات الشعرية، وفرّق بين التعبيرات الشعرية والتعبيرات النثرية، وختمه بالحديث عن شخصية الشاعر، وصلته بالعصر الذي يعيش فيه، ومكان العاطفة في نفسه وشعره. وهو أول مؤلف نقدي له، وكوّن أول مؤلفاته كتاباً في النقد الأدبي له دلالة خاصة على تفتح مواهبه النقدية مبكراً. وقد طبع كتابه عام ١٩٣٣م.

٢ - الشاطئ المجهول:

هو أول ديوان مطبوع له، وهو الأخير!! إذ لم يطبع دواوينه الشعرية الأخرى، التي أعلن أنها تحت الطبع، وقد صدرت طبعته الأولى في أول يناير ١٩٣٥م^(١). وهو الكتاب الوحيد الذي لم يطبع طبعة أخرى، لا في حياته، ولا بعد استشهاده، ولذلك أصبح الحصول على نسخة

(١) مجلة دار العلوم - السنة الأولى - العدد الثالث - يناير ١٩٣٥م صفحة ٨٢.



منه شبه مستحيل، وقد بيع منه ألفاً وخمسمائة نسخة، وبلغ عدد صفحاته مائتين وثمانين صفحاتاً^(١).

وحيث لم أتمكن من الاطلاع عليه - رغم ما بذلت من جهد - فسأكتفي للتعريف به بنقل فقرات من مقال محمود الخفيف في الرسالة، ينقد به هذا الديوان.

ابتدأ سيد قطب ديوانه بمقدمة نقدية بقلمه هو، نقل الخفيف بعض ما جاء فيها: «ففي الديوان نظريات علمية وفلسفية، والشاعر ملم بها، والشاعر متصل بالعوامل المجهولة، تربط قواه الروحية بالوحدة الكونية الكبرى، وللشاعر إحساس متيقظ بالزمن ومروره، ويملاً الشغف بكشف المجهول والحديث عن السر حيزاً كبيراً في ديوانه، والشاعر في هذا الديوان يقف موقف المصور في كثير من القصائد، وفي الديوان ظاهرة تستحق التسجيل، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقى يتفشى فيه كله، كذلك تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار»^(٢).

القسم الأول من كتابه سماه (ظلال ورموز) نشر فيه بعض قصائده التي يحاول بها كشف المجهول مثل (الشعاع الخابي) و(خراب) و(في الصحراء) و(في خريف الحياة) و(غريب) و(الإنسان الأخير) و(الشاعر في وادي الموت)، ولعله لهذا السبب أطلق عليه اسم (الشاطيء المجهول) حيث لم يتمكن من كشف سر الحياة المجهولة.

أما بقية ديوانه فيشتمل على بعض قصائد ريفية، وقصائد غزلية، وقصائد وطنية، هي في الجملة جيدة، تحس أنها صادرة حقاً عن قلب»

(١) الرسالة - السنة الثانية - المجلد الثاني - عدد ٦٩ تاريخ ٢٦ أكتوبر ١٩٣٤ صفحة ٢١٢.

(٢) الرسالة - السنة الثالثة - المجلد الأول - عدد ١٠١ تاريخ ١٠ يونيو ١٩٣٥ صفحة ٩٥٩.

«ولقد أعجبتني بنوع خاص قصائده (توارد خواطر) و(سر انتصار الحياة) و(المعجزة) و(الليلات المبعوثة)، وطربت كثيراً لها، ولو نظر الشاعر أو الناقد سيد قطب معي نظرة حق لفهم السر في نجاحه في تلك القصائد، التي يستحق من أجلها أطيب الثناء، ولولا هنأت في بعض تعبيراته لعدت هذه من عيون الشعر»^(١).

وبعض قصائده أنشدها وهو في رحلة الضياع، ويبدو فيها قلقه وحيرته وشكه وضياعه، ولذلك لم يرض عنه بعد اتجاهه الإسلامي - ولعل هذا هو السر في عدم إعادة طبعه - وقد قال يوسف العظم عنه: «غير أن أستاذنا في أخريات عهدنا به كان يصرح بأن الديوان أثر من آثار جاهليته، وكم كان يحب أن تصل يده لكل ما جاء فيه في كل نسخة وصلت أية بقعة في الأرض حتى يأتي عليه»^(٢).

٣ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر:

عندما أصدر الدكتور طه حسين كتابه عن (مستقبل الثقافة في مصر) عام ١٩٣٧م قامت حوله ضجة كبيرة، لأن الدكتور كان جريئاً جداً في عرض آرائه، التي تدعو إلى اعتبار مصر جزءاً من الحضارة الغربية، وإلى أخذ هذه الحضارة بحلوها ومرها، وخيرها وشرها، وقام المفكرون والأدباء في مصر، ينقدون هذا الكتاب، ويظهرون زيفه^(٣).

(١) الرسالة - نفس المرجع: ٩٦٠. وانظر: دراسة عن الغزل في الديوان نشرها فايد العمروسي في دار العلوم - السنة الأولى - العدد الرابع - أبريل ١٩٣٥م صفحات ٢٢٠ - ٢٢٥.

(٢) مقال يوسف العظم في كتاب (الشهيد سيد قطب) ٣٦ - ٣٧.

(٣) انظر: نقد كتاب مستقبل الثقافة: ١٠ - ٣٣.



وكان سيد قطب في طليعة مَنْ تصدوا لنقده فور صدوره، وكان نقده له من وجهة نظر تربوية، لا إسلامية، إذ راح يفند آراءه تربوياً وتعليمياً، ونشر هذا النقد في حلقات مسلسلة في صحيفة «دار العلوم». وقد تبنت جريدة (الإخوان المسلمون) - التي كانت تصدر في هذه الفترة - هذا النقد، ونشرته على صفحاتها^(١).

وبعد انتهاء هذه المقالات جمعها سيد قطب في كتاب، وأصدر طبعته الأولى عام ١٩٣٩م، يُعرّف سيد قطب بهدف الدكتور طه حسين من كتابه «للمرسم هذا الكتاب الضخم سياسة التعليم فحسب، أو سياسة الثقافة المدرسية فحسب، ولكنه تجاوزها إلى ما بعد مراحل التعليم كلها، إلى ثقافة المجتمع وعواملها؛ إلى المسرح والخيالة والمذيع والصحافة، وتجاوزها إلى الأدباء والجو الأدبي، وإلى واجب الدولة والهيئات للبحث العلمي والنشاط الفكري، وإلى كل ما يتصل بكلمة (ثقافة) بأوسع معانيها، وفي أوسع حدودها، ملائماً بين كل مرحلة والتي قبلها والتي تليها»^(٢).

ولم يكن سيد قطب معارضاً لكل آراء طه حسين. يقول: «وفي هذا الكتاب ما نوافق الدكتور فيه أشد الموافقة، وفيه ما نخالفه فيه أشد المخالفة، ومنه ما يحتمل الأخذ والرد والزيادة والنقصان»^(٣).

٤ - التصوير الفني في القرآن:

وهو أول كتاب إسلامي له، كما هو أساس مكتبته القرآنية، وبه تعرّف إلى القرآن، فأضاء الإيمان جوانب نفسه، ولولا هذا الكتاب ما

(١) انظر: مبحث «سيد قطب مع جماعة الإخوان المسلمين».

(٢) انظر: كتاب مستقبل الثقافة: ٦.

(٣) المرجع السابق: ٨.

عرفنا كيف ستكون مسيرة سيد قطب المستقبلية، وقد صدرت طبعته الأولى في أبريل عام ١٩٤٥م.

وتكفينا هذه الإشارة الموجزة هنا، لأننا خصصنا له دراسة مستقلة هي كتاب «نظرية التصوير الفني عند سيد قطب» والحمد لله.

٥ - الأطياف الأربعة:

صدرت طبعته الأولى عام ١٩٤٥م عن لجنة النشر للجامعيين، وقد اشترك في تحريره سيد قطب وإخوته: حميدة وأمينة ومحمد قطب. حيث شغل كل منهم حيزاً من الكتاب.

ابتدأت حميدة قطب الكتاب بقصتها (غربة) ثم مقطوعاتها (عبادة الحياة) و(أيها القبر) و(غرور) و(قلب متمرّد) و(الحلم واليقظة) و(إلى المجهول) و(الزمن الساحر) و(في الليل) و(في ضوء القمر) و(اليد الخفية) و(عظمة الليل) و(أرنب يستغيث).

ثم تبعها الطيف الثاني (أمينة قطب) التي ساهمت بقصصها (المنوال المسحور) و(رحلة إلى الماضي) و(خريف وربيع) و(رسول الفناء) و(ثياب العيد) و(أختان).

ثم ساهم الطيف الثالث محمد قطب في صورته النفسية (ذكريات الطفولة) وقصته القصيرة (في الامتحان) وصورته النفسية: (بين الأرض والسماء) و(الزمن).

وختم الطيف الرابع سيد قطب الكتاب بمقالات مختلفة الاتجاهات سبق له نشرها في (الرسالة) بدأها بأربع مقطوعات في رثاء أمه التي توفيت عام ١٩٤٠م، نشرها تحت عنوان (أماء)، وأتبعها بلفتاته في



(الزمن الساحر) وهفتاته في (الفاكهة المحرمة) وسبحاته في (في التيه) وصلواته في (عبادة الأصنام) وخطراته في (مع نفسي).

وقد أهدى هؤلاء الأطياف كتابهم إلى أمهم التي تأثروا كثيراً بوفااتها.

وقد عرّف سيد قطب بالأطياف الأربعة بقوله: «صبية وفتاة، وفتى وشاب. أولئك هم الأطياف الأربعة! إخوة في الدم، إخوة في الشعور. كلهم أصدقاء، وذلك هو الرباط الأقوى، إنهم يقطعون الحياة كأنهم فيها أطياف، هم أنفسهم، كل ما يملكون في الكون العريض! كل ما يربطهم بالكون أن يتطلعوا إليه هنيئة، ليردوه صوراً في عالمهم المسحور.. إنهم أبداً يحلمون، وقد يتفزعون في الحلم. ولكنهم إليه يعودون»^(١).

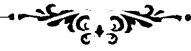
وبعد أن يرسم صورة خاصة لكل طيف من الأطياف الأربعة يختم تعريفه بقوله: (أولئك هم الأطياف الأربعة وهذه خطراتهم في كتاب، إنها عصارة من نفوسهم، وظلال من حياتهم، إنها أطياف الأطياف)^(٢)!!

والحق - كما يقول وديع فلسطين في تعريفه بالكتاب - «إن كتاب الأطياف الأربعة ممتع يلتذ القارئ بقراءته، حتى ليكاد يستعيد بعض فصوله مرات ومرات، فإن الصور الخاطفة التي ساقها مؤلفه، والمشاعر السامية التي أودعوها صفحاته، دلت على قدرة مشاعة بين إخوة أربعة، وفطنة مشتركة بينهم، ولباقة أدبية يتميزون بها ويتحلون»^(٣).

(١) الأطياف الأربعة: ٧.

(٢) نفس المصدر: ٨.

(٣) انظر تعريفه في الرسالة - السنة الثالثة عشرة - المجلد الأول - عدد ٦١٨ تاريخ ٧ مايو ١٩٤٥م صفحة ٤٩٠.



٦ - طفل من القرية:

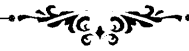
أصدرته لجنة النشر للجامعيين عام ١٩٤٦م^(١) وأهدى الكتاب إلى الدكتور طه حسين، صاحب كتاب (الأيام)، وكان سيد قطب معجباً بكتاب طه حسين إلى حد كبير، كما كان معجباً بكتاب توفيق الحكيم (يوميات نائب في الأرياف) وعلى منوالهما نسج كتابه هذا.

وكتابه هذا صور ريفية، قال في المقدمة: (هذه صور من حياة القرية، عاصرت طفولتي منذ ربع قرن من الزمان، لم أنمق فيها شيئاً، ولم أصنع أكثر من نقلها من صفحة الذاكرة إلى صفحة القسطاس)^(٢).

وقد سجل فيه حياته تسجيلاً وافياً، حيث صور بيئته في القرية، ووضع أسرته الاجتماعية والاقتصادي والعلمي والسياسي، كما صور المدرسة ونظامها ومدرسيها، ومستوى التعليم فيها، وصور الحالة الصحية في القرية، واعتقادات أهلها في المرض والعلاج، وصور الخرافات السائدة في القرية عن العفاريت والجن، والرعب الذي تثيره هذه الخرافات في النفوس، وصور الحالة الاجتماعية في القرية، وعلاقات أهلها ببعض، وقوانين اللصوص فيها، وسرقاتهم وأنواع السرقات ودوافعها وأصحابها، وصور المستوى الديني لأهل القرية، واعتقاد أهلها بالأولياء الأحياء والأموات، وصور حال الأحياء منهم وشخصياتهم وسلوكهم، كما رسم صورة للقرية وحقولها ومزروعاتها ومياه الفيضان فيها، والعمال الأغراب فيها، ووضعهم الاجتماعي والاقتصادي السيء.

(١) الكتاب: ٣: ٤٦٥.

(٢) طفل من القرية: ٥.



وهو في تسجيل حياته، في طفولته في القرية، لم يرتب الحوادث ترتيباً تاريخياً وإنما اتبع فيها الطريقة التصويرية، فكان فيها أقرب إلى الرسام المصور منه إلى الكاتب، وقد استطعنا أن نعرف من صورته ملامح شخصيته في القرية وتركيبها وما أثر فيها.

وفصول الكتاب هي: «المجذوب» و«ضابط الجمباز» و«المدرسة المقدسة» و«بعثة طيبة» و«سيد الحكيم» و«العفاريت» و«حركة ثقافية» و«قانون اللصوص» و«جمع الأسلحة» و«الحصاد» و«أحزان الريف» و«الرحيل».

وأكثر الفصول تسجيلاً لحياته هي «المدرسة المقدسة» و«العفاريت» و«حركة ثقافية» و«أحزان الريف».

٧ - المدينة المسحورة:

ألفه في عام ١٩٤٦م، ونشرته له دار المعارف بمصر في سلسلة (اقرأ)^(١) وهي قصة خيالية رمزية، ألفها على غرار قصص (ألف ليلة وليلة)، حيث بعث (شهرزاد) و(شهريار) بطلا قصص ألف ليلة وليلة الأسطورية، وراحت شهرزاد تقص على مسامع الملك شهريار قصة (المدينة المسحورة).

وقد تجلت في هذه القصة الخيالية موهبته القصصية، ورأيناه في أسلوب جديد، يختلف عن الأسلوب الذي عهدناه فيه، كناقد أو أديب (ذلك أنه ينطوي على سلاسة في السرد، وإشراق في العبارة، ويسر في التناول، يبلغ في نفس القارئ وقلبه ووجدانه ما يحب أن يبلغه كاتب القصة من قرائه)^(٢).

(١) الكتاب: ٣: ٤٦٥.

(٢) مقال يوسف العظم في (الشهيد سيد قطب): ٣٤.

كانت شخوص القصة تتحرك وتتكلم، وكان يختفي خلف المسرح، وبيده الخيط الدقيق يحرك به هذه الشخوص، ويهمس لها بما يريد من معانٍ وأفكار لتتطرق به، ولكنه كان أحياناً يظهر من خلف المسرح، ويقف أمام النظارة، ويسمعهم بعض مشاعره وأفكاره، من هذه المشاهد التي ظهر فيها قوله: «كم يفقد الإنسان حينما يفقد الأحلام.. إن هذا العالم ضيق ضيق، تافه تافه، حقير حقير، إن ما تبلغه الحواس لهو أمد قصير، وإن ما يبلغه الوعي لهو أفق قريب، وإن الخيال والأحلام ليبلغان بهذا المخلوق الإنساني المحدود أبعد الآمال وأوسع الحدود، ألا ما أشقى الإنسان الذي لا يملك من هذا العالم إلا ما تبصره عيناه»^(١)!!

ومنها قوله: «الحقيقة الكبرى لن تَحُدَّها نظرة جيل، والواقع الأصيل لن يحصره إدراك فرد.. إن الحقيقة أعلى بكثير وأكبر بكثير من كل ما يتصوره فرد أو جيل، وإن الواقع لأعمق بكثير وأفسح بكثير مما تحده الأبصار والحواس، وإن ما يسميه أبناء الفناء بالواقع والحقيقة إن هو إلا طرف صغير ضئيل من الواقع ومن الحقيقة... إنهم لن يصلوا إلى شيء إلا بالوجدان والخيال والأحلام، هذه هي الأشعة السحرية التي تكشف الآباد والآفاق»^(٢)...

وقد تأثر سيد قطب في مدينته المسحورة بينابيع ثلاثة كانت مصدر إلهامه ومنطلق عطائه:

١ - قصص ألف ليلة وليلة.

(١) المدينة المسحورة: ٧١.

(٢) المرجع السابق: ١١.



- ٢ - القصص الفرعوني الأسطوري، المليء بالحديث عن السحر والتمايم.
- ٣ - قصة أهل الكهف الواردة في القرآن الكريم، حيث سحر المدينة، وجمد الحياة فيها مئات السنين، ثم دب الحياة فيها فجأة، ثم مات أهل المدينة جميعاً بعد ذلك مباشرة. تماماً كأصحاب الكهف^(١).

٨ - كتب وشخصيات:

هو ثالث كتاب نشره عام ١٩٤٦م، إذ سبقه «طفل من القرية» و«المدينة المسحورة». وقد أهدى كتابه إلى الأدباء والشعراء والقصاصين والباحثين، الذين نقد أعمالهم الأدبية، وبيّن في إهدائه أن كتابه (مرآة) يرفعها لهم، ليروا فيها صفحتي الوجه.

وبيّن في تقديمه وظيفته النقد. وأشار إشارة موجزة إلى وضع النقد في مصر في العصر الحديث. كما بيّن عمل الناقد على وجه التحديد، وأنه يتحدد في ناحيتين: الأولى عمله في الجو العام وهو التوجيه والتقويم، ووضع الأسس وتشخيص المذاهب، وتصوير أطوارها ومناهجها.

والثانية عمله مع كل مؤلف، وهو وضع (مفتاحه) في أيدي قرائه، ليتعرفوا به على ملامح شخصيته.

يقول عن خطته في الكتاب «على هذه الأسس سرت في هذه الفصول، وأسميتها (كتب وشخصيات) لأنني حاولت أن أصور (شخصية) كل أديب، تناولت أحد كتبه بالنقد، فالكتاب وصاحبه في هذا الكتاب موصوفان مرسومان مميزان»^(٢).

(١) يوسف العظم في بحثه الذي أعده عنه، وهو تحت الطبع الآن.

(٢) كتب وشخصيات: ٧.

وكل فصول الكتاب سبق نشرها في المجلات، في صورة مقالات.

قسم الكتاب إلى أقسام رئيسة:

القسم الأول أسماه (في أصول النقد) تحدث فيه عن (النقد والفن) و(طريقة الأداء في الفن) و(الصور والظلال في الفن).

والقسم الثاني (في عالم الشعر) تحدث فيه عن (الوعي في الشعر) و(النفس الإنسانية في الشعر العربي) و(الطبيعة في الشعر العربي) ونفحات من فارس) و(العقاد الشاعر)، وقد ظهر في هذا القسم في آراء في الشعر جديدة، خالف فيها - مخالفة صريحة - أستاذه العقاد، بل ونقده في بعض آرائه، وكانت هذه بذور مدرسته الأدبية الجديدة.

والقسم الثالث (في عالم القصة والرواية) تحدث فيه عن كثير من القصص والروايات الأدبية.

والقسم الرابع (في النفس والعالم) خصصه لكتب الدراسات النفسية والإنسانية.

والقسم الخامس (في البحوث والدراسات)، والقسم السادس (في التراجم والتاريخ).

وقد نشر على غلاف الكتاب الأخير قائمة بالكتب التي ألفها، أو التي في طريقه إلى تأليفها، وبلغت ثلاثة وعشرين كتاباً.

٩ - أشواك:

قصة حب رومانسية، ظهرت في مايو عام ١٩٤٧م^(١).

(١) الكتاب: ٤: ١٢٩٢.



وقد سجل فيها بأسلوبه الأدبي الرفيع، وموهبة القصاص المصور، حوادث قصة حب حقيقية، بينه وبين فتاة قاهرية، أحبها من كل قلبه، فتقدم إلى خطبتها، وراح يتخيل في أحلامه عش الزوجية الهانئ، وفي ليلة الخطبة - وهو يلبسها خاتم الخطوبة - اعترفت له بأنها كانت على علاقة حب مع أحد الشبان، وكان هذا النبأ هو الخطوة الأولى التي سار فيها الاثنان في طريق الأشواك، هي تحب خطيبها الجديد، وهو يحبها من كل قلبه، وما يطيق فراقها أو الانفصال عنها، ولكن كبرياءه لم تقبل أن يقترن بفتاة ليست عذراء القلب، وتمزق بين هتاف قلبه ونداء كبريائه، ألف جاذب يجذبه إليها، وألف دافع يدفعه عنها، وفي هذه الفترة أنشد قصائد فنية رائعة، صادرة عن معاناة حقيقية صادقة.

وانتصر كبريائه في النهاية، وانفصل عنها، وقلبه يتمزق، ونفسه شاردة، وقد تركت في نفسه أثراً بقي لفترة طويلة، وبقي يتحسس وخز الأشواك التي أدمته.

أما هي فقد اقترنت بشاب جديد، وعاشت معه حياتها الزوجية، وأما هو فقد بقي على حالته بدون زواج.

وقد ألف قصته (أشواك) يتحدث فيها عن تجربته معها، ويصورها بمختلف مراحلها، فأساس القصة واقعي حقيقي، ولكنه أضاف إليها ما أوحاه إليه خياله، بأسلوب تصويري رائع.

وقد أهدى قصته إلى صاحبتة، وشريكته في قطع طريق الأشواك، وقال في إهداءه:

«إلى التي خاضت معي في الأشواك، فدميت ودميت، وشقيت

وشقيقتُ، ثم سارتُ في طريق، وسرْتُ في طريق: جريحين بعد المعركة. لا نفسها إلى قرار، ولا نفسي إلى استقرار^(١).

والقصة تحفة أدبية وفنية رائعة، وقد أحدثت فور صدورها ضجة في دنيا الأدب والنقد، لروعة الأسلوب الأدبي الموثر الذي كتبت به.

١٠ - مشاهد القيامة في القرآن:

صدرت طبعته الأولى في أبريل عام ١٩٤٧م عن دار سعد مصر بالفجالة بالقاهرة^(٢) وهو الكتاب الثاني في (مكتبة القرآن)، التي كان ينوي إصدارها، وقد ألفه على طريقة (التصوير الفني)، فعندما أصدر (التصوير الفني في القرآن) عام ١٩٤٥م، تحدث فيه عن فكرة التصوير، وخصائصها في التصوير والتخييل والتجسيم والتناسق... إلخ، وآفاقها في القصة والمثل والحوادث الماضية ومشاهد الطبيعة ومشاهد القيامة... إلخ، وعند الحديث على مشاهد القيامة في (التصوير الفني) قال: «ومشاهد القيامة هي أكثر المشاهد تنوعاً في القرآن، حتى لهمت أن أفرد لها فصلاً خاصاً لولا تضخم الكتاب»^(٣). ثم صح عزمه على إفرادها بكتاب مستقل هو هذا الكتاب.

وقد استعرض في كتابه (خمسين ومائة مشهد، موزعة في ثمانين سورة)^(٤).

(١) أشواك: ٥.

(٢) الكتاب: ٥: ١٦٨.

(٣) التصوير الفني في القرآن: ١١١.

(٤) مشاهد القيامة في القرآن: ٨.



والمشاهد التي استعرضها، هي التي تتفق مع تعريفه للمشهد (وهو الذي تتوافر فيه الصورة والحركة والإيقاع، أما المواضع التي ورد فيها ذكر اليوم الآخر مجرداً، أو ذكر الجنة تجري من تحتها الأنهار، أو ذكر العذاب الأليم أو المهين أو العظيم، دون أن يرسم منها مشهد شاخص أو متحرك، فلم أتعرض لها، وهي كثيرة جداً، فلا تكاد سورة واحدة من سور القرآن تخلو من ذكر أو إشارة أو تلميح، وكذلك أغفلت القليل من المشاهد القصيرة»^(١).

وقد بيّن طريقته في استعراض المشاهد وتبويبها، وهي: (الطريق الاستعراضى، مراعيًا الترتيب التاريخي - على قدر الإمكان - لورودها، فعرضتها بترتيب السور التي وردت فيها.

وربّت هذه السور حسب نزولها.. وذلك عمل تقريبي لا جزم فيه)^(٢) وقد عدل عنه عند كتابة (الظلال) حيث فسر السور القرآنية حسب ترتيبها في القرآن لا حسب نزولها.

خصص الفصل الأول من (المشاهد) للحديث عن (العالم الآخر في الضمير البشري) حيث استعرض فيه هذه الفكرة استعراضاً سريعاً، عند الوثنيات والجاهليات القديمة، وعند الأمم الأولى: المصريين القدماء، والفرس والإغريق والرومان، وعند اليهودية والنصرانية.

وخص (العالم الآخر في القرآن) بفصل مستقل، تحدث فيه عن سمات هذا العالم كما وردت في القرآن.

(١) المرجع السابق: ٨.

(٢) المرجع السابق: ٩.



١١ - روضة الطفل:

سلسلة ألفها سيد قطب، بالاشتراك مع أمينة السعيد ويوسف مراد، وأصدرتها دار المعارف بمصر، وقد صرد منها حلقتان: الأولى (أرنبو والكنز) والثانية (كتكت المدهش) ونالتا إعجاب الأطفال^(١).

ولم أتمكن - رغم ما بذلت من جهد - من الحصول على هاتين القصتين، ولا معرفة ما إذا أصدر حلقات أخرى من هذه السلسلة.

١٢ - القصص الديني:

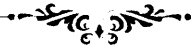
سلسلة قصص دينية كتبها للأطفال، بالاشتراك مع عبد الحميد جودة السحار.

وبما أنني لم أتمكن من الاطلاع على هذه السلسلة، ولا معرفة عدد حلقاتها، فسأكتفي بنقل تعريف يوسف العظم لها: (تناول فيها أنبياء الله نبياً نبياً، وأكثر من الحديث عن الرسول الأعظم ﷺ، بأسلوب قصصي جذاب، يستميل به عقل الطفل ونفسه، وينمي في فكره الخلق والفضيلة والمثل، من خلال حكاية تحكى، أو قصة تروى في يسر وسهولة وإشراق).

وإبداع أستاذنا سيد يقوم على جمال العرض وسهولة الكلمة وتسلسل الفكرة، منذ آدم أبا البشر رسولاً ونبياً، حتى محمد صلوات الله عليه خاتماً للأنبياء والمرسلين.. وقصة الرسول الكريم منذ ولد حتى التحقق بالرفيق الأعلى^(٢).

(١) مجلة الكاتب المصري - المجلد الخامس - عدد ١٨، مارس ١٩٤٧م صفحة ٣٨٦ - ٣٨٧.

(٢) مقال يوسف العظم في كتاب (الشهيد سيد قطب): ٣٦.



١٣ - الجديد في اللغة العربية:

وقد ألفها بالاشتراك مع آخرين، ويبدو أنه كتاب منهجي قررته وزارة المعارف على المدارس، كمنهج دراسي للغة العربية.

١٤ - الجديد في المحفوظات:

ألفه مع آخرين، وهو كتاب منهجي آخر، مقرر على المدارس التابعة لوزارة المعارف، كمنهج دراسي للمحفوظات.

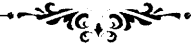
وهذه الكتب الأربعة، كتب تربوية له، تتعلق بالتربية والتعليم، ولم أتمكن من الاطلاع عليها لمعرفة موضوعاتها، لأنها لم تُعَدَّ طباعتها كسائر كتبه، ولم توجد في الأسواق أو المكتبات نسخ عن طباعتها الأولى^(١).

١٥ - النقد الأدبي أصوله ومناهجه:

أصدر سيد قطب كتابه (النقد الأدبي) في يونيو ١٩٤٨ م^(٢). وقد ضمنه آخر آرائه النقدية، وهو الكتاب النقدي الرابع والأخير له، وفي كتابه هذا تظهر أصالة سيد قطب في النقد، وقد أرسى به دعائم مدرسة أدبية جديدة في النقد والشعر والفن، كان هو رائدها، وكان متوقفاً أن يدعمها بالمزيد من دراساته وبحوثه ونظراته، لولا أنه انصرف عن هذه الناحية، إلى الاهتمام بالفكر الإسلامي والعمل الإسلامي، انصرف عن

(١) أشار سيد إلى هذه الكتب الأربعة في نهاية الجزء الثالث عشر من تفسيره في ظلال القرآن من الطبعة الثالثة المنقحة، ضمن الكتب التي لم يتخل عنها، وأثبتت القائمة دار الكتاب العربي في لبنان، في نهاية المجلد الثامن من الظلال، بينما أسقطتها دار الشروق في طبعتها للظلال.

(٢) الكتاب: ٦: ٢٨٨.



عالم الأدب والنقد وهو في قمة العطاء والحيوية والفاعلية، ليدخل عالم الفكر الإسلامي الذي انتهى به إلى الريادة والقيادة والشهادة. قسم كتابه إلى قسمين:

القسم الأول: خصصه للحديث عن أصول النقد الأدبي، وقد تحدث فيه عن العمل الأدبي وصلته بالحياة، كما تحدث عن القيم الشعورية والقيم التعبيرية في العمل الأدبي، وبين أنه لا انفصال بينهما، وإنما هما مرحلتان متعاقبتان، القيم الشعورية تحدث أولاً في النفس، وتنتج عن تجربة شعورية ومعاناة حقيقية، ثم تليها القيم التعبيرية، حيث يعبر الأديب وهو في حالة شعورية متوهجة، يعبر عما عاناه وأحس به، فتكون هذه التعابير صادقة في الدلالة على شعور صاحبها.

وقد تحدث في القيم التعبيرية عن الألفاظ، وكيفية دلالتها على المعاني الذهنية أولاً، ثم على الصور والظلال المصاحبة لها ثانياً، ثم بين كيف يستخدم الأديب - الناجح الصادق - الألفاظ للدلالة على تجاربه الشعورية.. وقد استفاد سيد قطب في هذا الفصل عن القيم الشعورية والقيم التعبيرية، استفاد من طريقة القرآن الكريم في التعبير، وهي طريقة التصوير، تلك الطريقة التي خصص كتابه (التصوير الفني في القرآن) لبيانها.

ثم تحدث عن فنون العمل الأدبي، وهي الشعر والقصة والأقصوصة، والتمثيلية والترجمة والسيرة، والخاطرة والمقالة والبحث، وقد خالف في كلامه على هذه الفنون بعض آراء المدارس الأدبية المعاصرة.

والقسم الثاني: من الكتاب خصصه للحديث عن مناهج النقد الأدبي، وهي المنهج التاريخي، والمنهج النفسي، والمنهج المتكامل.



وقد تحدث عن قواعد كل منهج ومن اعتمده من الأدباء والنقاد العرب في القديم والحديث، واستشهد بأقوالهم، وبَيَّن المآخذ على كل منهم، ثم بيَّن أنه يفضل المنهج المتكامل الذي يجمع حسنات المناهج الثلاثة كلها، ويتلافى المآخذ التي أخذت عليها.

١٦ - العدالة الاجتماعية في الإسلام:

ألَّف كتابه هذا قبل إفاده إلى أمريكا، وقبل سفره عهد إلى شقيقه محمد قطب بمهمة طبعه، وقد صدرت طبعته الأولى في أبريل ١٩٤٩م^(١).

وهو أول كتاب له في الفكر الإسلامي، والكتابان الإسلاميان اللذان سبقاه هما (التصوير الفني في القرآن) و(مشاهد القيامة في القرآن) كتابان أدبيان، عني فيهما ببيان طريقة القرآن في التعبير، والوقوف على خصائص أسلوبه.

قلنا سابقاً إن سيد قطب أقبل أول مرة على القرآن، يطالعه لدواعٍ أدبية، عندما كان يعد كتابه (التصوير الفني في القرآن)، ولكن الرجل فوجئ بوجود قواعد ومناهج في هذا القرآن، تصلح أساساً لإنشاء مجتمعات، وإقامة حياة، وقد استرعت هذه انتباهه، وشدته إليها شداً، فكتب عنها ملاحظات صغيرة، وراح يكمل بحوثه وكتبه الأدبية - التي أشرنا إليها - وفي نيته أن يعود إلى هذه القواعد والمناهج ليدرسها ويتمعن فيها، ويظهرها للناس، ويحاول أن يجعلها الأسس المتينة لإقامة المجتمع الإسلامي المنشود.

(١) الكتاب: ٧: ٧٥٦.

الجو الذي أُلِف فيه الكتاب:

وقد اختار ميدان العدالة الاجتماعية، يكتب فيها، ويبين منهج القرآن في إقرارها، وقواعده في تحقيقها، لأن البلاد كانت تمر في مرحلة اجتماعية حرجة، فقد خرجت مصر من الحرب العالمية الثانية محطمة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وتزلزلت بُنية المجتمع المصري، فبالإضافة إلى طبقات الإقطاعيين والباشوات وكبار الملاك، الذين استحوذوا على غالبية الثروة في البلاد، ظهرت طبقات أغنياء الحرب والمستغلين والمنتفعين، وبقيت غالبية الشعب المصري في فقر مدقع، لا تجد قوت يومها، وتبيت ليلتها طاوية، وحدثت هزات اجتماعية، وانتشر المتسولون وقطاع الطرق، وراح الشعب يئن تحت وطأة الظلم الاجتماعي.

ونشط الشيوعيون في مصر في الدعاية لمذهبهم، وراحوا يمتنون الفقراء والعمال والفلاحين المعدمين بجنتهم الموهومة، ويزينون لهم الشيوعية، فأقبل عليها الناس، ومعروف أن دعاة الشيوعية كالحشرات والديدان لا تنشط إلا على الأوساخ والنفايات.

كان سيد قطب يعيش هذه المأساة، ويزعجه المظاهر الاجتماعية الشائثة، ويزعجه نشاط الشيوعيين، فراح يبشر بالعدالة الاجتماعية التي وضع يديه على خطوطها العريضة في القرآن، وأنشأ مجلة (الفكر الجديد) التي بَشَّر فيها بهذه العدالة، ونقد فيها المظاهر الاجتماعية الشائثة، وحارب الشيوعيين والقصر والطبقات التي تتحكم في البلاد.

ثم أكبَّ على القرآن الكريم، وأظهر مناهجه وقواعده في العدالة الاجتماعية، وبيّن للشعب الفقير المحروم المظلوم أن العدالة



الاجتماعية الصحيحة الصادقة، ليست عند الشيوعيين ولا عند الغربيين، وإنما هي واضحة في الإسلام، وأن الإسلام وحده هو طريق الخلاص مما يعانون من ظلم اجتماعي وفقر اقتصادي.

أحدث الكتاب ضجة في مختلف الأوساط:

وقد أحدث كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) فور ظهوره ضجة في مختلف الأوساط: فالأوساط الشيوعية اعتبرته عدوها الرئيسي، لأنه يفتح عيون الشعب المحروم المظلوم على باب جديد للعدالة الاجتماعية غير الباب الذي يدعونهم هم إليه.

والأوساط الحكومية الرسمية، اعتبرته انتصاراً لخصومهم (الإخوان المسلمون) الذين كانوا في هذا الوقت وراء جدران السجون والمعتقلات، وكان سيد قطب قد أهدى كتابه إلى طليعة الشباب المؤمن المجاهد، الذين يلمحهم - بعين الخيال - قادمين، ليرفعوا عن الشعب ألوان الظلم والحرمان، ويعيدوا المجتمع الإسلامي حقيقة واقعة.

وللحقيقة نقول إنه لم يكن يقصد في هذا الإهداء جماعة الإخوان المسلمين بعينها، وإنما يرى أن وجود هؤلاء الشبان أمر ضروري، تحتمه طبيعة الظروف الراهنة - وهو ما لمسّه بعد ذلك متمثلاً في جماعة الإخوان المسلمين - ولكن الحكومة ظنت أنه يقصد بإهدائه هذا الجماعة، فصادرت الكتاب بعدما طُبِع، ولم تسمح له بالظهور إلا بعد إلغاء الإهداء.

والأوساط الإسلامية اعتبرته فتحاً جديداً في المكتبة الإسلامية، ونصراً مؤزراً للفكر الإسلامي، في صراعه مع الأنظمة الفكرية



الأخرى، واعتبرت مؤلفه مفكراً إسلامياً كبيراً، يتمتع بالإيمان والصدق والإخلاص، مما قرب المسافة بينه وبين الحركة الإسلامية، لقد كان الكتاب إرهاصاً لانضمام صاحبه إلى الحركة الإسلامية بعد ذلك!

طُبِعَ كتابه عدة طبعات في حياته، والطبعة الأخيرة هي الطبعة السادسة التي صدرت عن دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة عام ١٩٦٤م، وهي طبعة جديدة منقحة، أضاف إليها آخر أفكاره، وحذف منها بعض الأفكار الأخرى التي تبين له خطأها، ومما أضافه إليها فصل (التصوير الإسلامي والثقافة) وهو أحد فصول (معالم في الطريق)^(١).

١٧ - معركة الإسلام والرأسمالية:

انقطع سيد قطب عن التأليف طوال عامين، أثناء وجوده في أمريكا، وعندما عاد إلى مصر وجد الأوضاع الاجتماعية والسياسية تزداد سوءاً، وفي هذه الفترة تعرف على جماعة الإخوان المسلمين.

وفي فبراير ١٩٥١م، ألّف كتابه (معركة الإسلام والرأسمالية) وقد صدر عن دار الكتاب العربي بمصر^(٢).

وبما أنه يتحدث في كتابه عن المعركة الطاحنة بين الإسلام والرأسمالية فقد كتبه بأسلوب المعركة، وهو أسلوب قوي موج، أسلوب

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام: ٢٦٦ - ٢٧٨ دار الشروق.

(٢) الكتاب: المجلد العاشر - الجزء الرابع - تاريخ أبريل ١٩٥١م صفحة: ٤٥٠ وانظر تعريفاً به في مجلة الكتاب - المجلد العاشر - الجزء السابع - يوليو ١٩٥١م صفحة ٧٣٧ - ٧٣٨.



الحدة والثورة والجرأة، وكأنه يصدر بلاغات عن سير المعركة، ويحدد المشتركين فيها، ويُعرف بصفاتهم وملامحهم.

أطلق في الفصل الأول (صيحة النذير) في وجوه المتحكمين: إن الوضع الاجتماعي السيء في البلاد لا بد أن يتغير، ولا بد من حدوث هزة تُزلزل البنية الاجتماعية بكاملها.

وفي الفصل الثاني (إني أتهم) توجه بأصابع الاتهام إلى الأوضاع الاجتماعية والقائمين عليها، بأنها تشل قوى الأمة عن العمل والإنتاج، وأنها تهدر الكرامة الإنسانية، وأنها تشيع الفساد في المجتمع، وأنها تدفع الشعب دفعاً للارتقاء في أحضان الشيوعية.

وفي فصل «في الإسلام خلاص» بين وبوضوح أن الإسلام وحده هو القادر على علاج كافة المشكلات الاجتماعية الخطيرة، والقضاء على كافة المظاهر الاجتماعية الشائنة، وإيجاد الحلول الناجعة، هذا إذا استلم سدة الحكم، وتسلم القيادة والتوجيه.

وفي فصل «شبهات حول حكم الإسلام» عالج بعض هذه الشبهات وقضى عليها مثل (بدائية الحكم) و(حكم المشايخ والدراويش) وطغيان الحكم، وغموض النصوص والحريم والأقليات.

وفي الفصل الأخير (عداوات حول حكم الإسلام) كشف عن هذه العداوات، وبين بواعثها، وأظهر خفاياها، وأبان عن خطرها، واستعرض أهم أصحابها (عداوات الصليبيين) و(عداوات المستعمرين) و(عداوات المستغلين والطغاة) و(عداوات المحترفين من رجال الدين) و(عداوات المستهترين والمنحليين) و(عداوات الشيوعية والشيوعيين).

١٨ - السلام العالمي والإسلام:

صدر في أكتوبر عام ١٩٥١م، عن دار الكاتب العربي بالقاهرة^(١).

ألف سيد قطب كتابه هذا في فترة اضطراب عالمي، اضطراب في الأحوال السياسية، وتغير معدلاتها وموازينها ومراكز الثقل الدولية فيها، واضطراب في الأحوال الاجتماعية، وتمزق الروابط بين كافة أفراد المجتمع الدولي، تمزق الروابط بين أفراد البيت والأسرة والمدينة والقطر، واضطراب في الأحوال الاقتصادية، وسوء توزيع الثروات، وتفشي الأمراض الاقتصادية كالربا والاستغلال والاحتكار، والمشاكل والأزمات الاقتصادية الدورية.

وقد عانى العالم كله من حربين عالميتين، أكلتا الأخضر واليابس، وراح ضحيتها الملايين من القتلى، والملايين من الجرحى، ومئات الملايين من الأموال التي أنفقت فيها، ونتجت عنها الآثار الخطيرة في كافة المجالات والأنشطة، نتج عنها القلق والأمراض النفسية، ونتج عنها الفساد الأخلاقي، وتغير الموازين والمقاييس والمعايير الأخلاقية، ونتج عنها تغير المعادلات الدولية، هزيمة دول عظمى، وظهور أمم أخرى فتية، واكتوت الإنسانية كلها بنار هذه الحروب، وظهرت فيها آثارها ونتائجها بشكل واضح.

ولم يصل المجتمع العالمي إلى السلام بعد هاتين الحربين العالميتين، بل استمرت الحرب الباردة بين الدول العظمى، وتوزعت الكتلتان الشرقية الروسية والغربية الأمريكية، اقتسام باقي العالم، وبسط نفوذهما عليه.

(١) الكتاب: المجلد العاشر - الجزء التاسع - نوفمبر ١٩٥١م صفحة ٩٣٠، والمجلد الحادي عشر - الجزء السادس - يونيو ١٩٥٢م صفحة ٧٤٩ - ٧٥٠.



ولم يتحقق تبعاً لذلك السلام السياسي والاجتماعي والنفسي والاقتصادي.

وسيد قطب الذي عاصر هاتين الحربين، وأحس بالمشكلات الدولية المختلفة، ورأى بؤر الصراع التي تهدد بنشوب حرب عالمية ثالثة، أو حروب محلية مختلفة، وشاهد القلق والاضطراب مرتسماً على الوجوه البشرية، وعان الآثار الاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن هذا كله.

ووازن بين هذا الاضطراب العالمي، وبين السلام الذي يحققه الإسلام، فقدم خدمة عظمت للبشرية المنكودة، وأظهر لها ملامح هذا السلام في الإسلام، حيث تحدث عن أثر العقيدة ووظيفتها، وتحدث عن سلام الفرد مع نفسه وضميره، وسلام البيت، وسلام المجتمع، وسلام الدولة، والسلام الدولي، وبين أن هذا كله لا يتحقق إلا بالإسلام. ودعا البشرية كلها إلى الالتزام بالإسلام، ليتحقق هذا السلام. وبين في كتابه أن التكتلات المستفيدة من الحروب هي التي تحول بين البشرية وبين السلام، ولذلك فهي تحارب الإسلام بعنف كي تحجب نوره عن العالم، وقد ضاقت المخابرات الأمريكية بتحليلات سيد قطب السياسية الموفقة في الكتاب، فأوحت إلى الحكومة المصرية بحذف هذه التحليلات من طبعاته اللاحقة^(١).

١٩ - في ظلال القرآن:

عندما أَلَف سيد قطب كتابه (التصوير الفني في القرآن) عام ١٩٤٥م وبين فيه طريقة القرآن في التعبير، وأظهر فيه المجال الفني المتناسق

(١) انظر صفحات مبحث «سيد قطب المحلل السياسي» من هذا الكتاب.

العجيب، كانت إحدى أمانيه في ذلك الوقت أن يعرض القرآن كله في ذلك الضوء، وأن يتناوله سورة سورة، وآية آية، يبين فيه خصائص وسمات هذا الجمال الفني، ويظهر آفاقه ومجاليه، ويسجل ما تحسه نفسه، وما يتذوقه قلبه، وما توحيه إليه خواطره، من هذا الجمال المعجز^(١).

وبقيت هذه الأمنية كامنة في شعوره فترة من الوقت طويلة.

الظلال في مجلة المسلمون:

وفي ديسمبر (كانون الأول) ١٩٥١م، أصدر سعيد رمضان مجلة (المسلمون)، وكانت مجلة فكرية شهرية، ويكتب فيها قادة الفكر والرأي في العالم الإسلامي، وطلب سعيد رمضان من سيد قطب أن يشترك فيها بمقال شهري، وأبدى رغبته أن لو كان هذا المقال في موضوع مسلسل، أو تحت عنوان دائم.

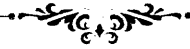
وفي هذا الوقت ظهرت رغبة سيد قطب الكامنة، وقفزت إلى ذهنه، فصار يفسر القرآن تحت عنوان دائم (في ظلال القرآن).

كتب الحلقة الأولى في العدد الثالث من المجلة في شهر فبراير (شباط) ١٩٥٢م^(٢) وابتدأ بسورة الفاتحة، ثم ثنى بسورة البقرة، وقد نشر في المجلة سبع حلقات.

وفي نهاية الحلقة السابعة في العدد التاسع من المجلة، أعلن عن إيقاف نشر هذه الحلقات في المجلة، لأنه سوف يقوم بتأليف التفسير وطبعه في كتاب مستقل، في أجزاء تظهر تباعاً؛ وقال: (بهذا الدرس

(١) في ظلال القرآن - الطبعة الثانية - عيسى البابي الحلبي - القاهرة: ٦.

(٢) المسلمون: السنة الأولى - المجلد الأول - العدد الثالث - فبراير ١٩٥٢م صفحة ٢٨ - ٣٢.



ينتهي ما قُدر له أن ينشر من هذه السلسلة في (المسلمون)... وذلك أن (في ظلال القرآن) ستُنشر مستقلة في ثلاثين جزءاً على التتابع، تظهر كل حلقة على رأس شهرين، ابتداءً من شهر سبتمبر القادم بإذن الله، تنشرها دار إحياء الكتب العربية لعيسى الحلبي وشركاه، أما (المسلمون) فتأخذ في نشر بحث آخر تحت عنوان (نحو مجتمع إسلامي)^(١).

الظلال قبل سجن سيد:

وفعلاً ظهر الجزء الأول من (الظلال) في أكتوبر عام ١٩٥٢م^(٢).

وقد وُفي سيد قطب بتعهده مع القراء، حيث راح بهمة عجيبة يصدر كل شهرين جزءاً من هذه الظلال، بل كان يزيد على هذا أحياناً، ويُصدر الجزء من (الظلال) في أقل من شهرين، وفي الفترة الواقعة ما بين أكتوبر ١٩٥٢م، إلى أول يناير ١٩٥٤م كان قد أصدر ستة عشر جزءاً من (الظلال)، أي في سنة وأربعة أشهر.

وقد اعتُقل سيد قطب للمرة الأولى مدة ثلاثة شهور، من يناير إلى مارس ١٩٥٤م، وأصدر وهو في السجن الجزئين السابع عشر والثامن عشر.

وبعدما خرج من السجن لم يصدر أجزاء جديدة، حيث أشرف على مجلة (الإخوان المسلمين) وكان مهتماً بأمور الدعوة، ولم تسمح له كثرة المشاغل أن يصدر من (الظلال) شيئاً.

(١) المسلمون: السنة الأولى - المجلد الأول - العدد التاسع - يوليو ١٩٥٢م صفحة ١٥.

(٢) مجلة الكتاب - المجلد الحادي عشر - الجزء التاسع - نوفمبر ١٩٥٢م صفحة ١١٣٧.

ولم يلبث طويلاً خارج السجن، إذ أُعيد إليه هو والألوف من أفراد (جماعة الإخوان المسلمين) في نوفمبر ١٩٥٤م.

وفي الفترة الأولى من سجنه لم يكتب شيئاً من (الظلال)، لأنه كان يُنقل من سجن إلى آخر، وقد صب عليه من صنوف العذاب ووسائل التعذيب ما لا يوصف، ولم يستطع معها أن يكتب شيئاً.

وبعد أن صدر عليه الحكم بالسجن خمسة عشر عاماً، وتوقف عنه التعذيب، واستقر في السجن، وتكيفت نفسه مع الوضع الجديد، انصرف إلى إكمال ما بدأ به، وكتب الأجزاء الباقية من الظلال.

كانت اهتمامات سيد قطب في غالبية الأجزاء، من الأول إلى السابع والعشرين من الطبعة الأولى، كما حددها هو في مقدمة هذه الطبعة بقوله: «وما جاوزت أن أسجل خواطري وأنا أحيّا في تلك الظلال، كل ما حاولت ألا أغرق نفسي في بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية، تحجب القرآن عن روحي، وتحجب روحي عن القرآن، وما استطردت إلى غير النص القرآني ذاته، من خاطرة روحية أو اجتماعية أو إنسانية، وما أحفل القرآن بهذه الإيحاءات، كذلك حاولت أن أعبر عما خالج نفسي، من إحساس بالجمال الفني العجيب في هذا الكتاب المعجز، ومن شعور بالتناسق في التعبير والتصوير»^(١).

وفي الأجزاء الثلاثة الأخيرة من الظلال، بدأ يبرز عند سيد قطب الاتجاه الحركي، الذي تولد عنده نتيجة لتجربته العملية في الحركة بالإسلام، ونتيجة لنظراته المتجددة في القرآن، وكان لا بد من أن يُعيد النظر في (الظلال)، ويُعيد كتابته على أساس من اتجاهاته الحركية الجديدة.

(١) في ظلال القرآن ٦/١ - ٧ الطبعة الثانية - عيسى الحلبي - بمصر.



الطبعة المنقحة من الظلال:

فكان أن أصدر سيد قطب الطبعة المنقحة من الظلال، وهي الطبعة الثالثة، وقد أصدرتها دار إحياء الكتب العربية في القاهرة.

كتب سيد قطب الأجزاء العشرة الأولى من الطبعة الثالثة المنقحة بتركيز شديد، وكان يقف عند الآيات طويلاً، ويسجل حولها خواطره، ويتعرض للحديث عن ما تشير إليه، من أمور في العقيدة أو الفقه أو التشريع أو المعاملات أو السياسة أو الاقتصاد أو التاريخ أو الفلسفة أو التربية أو الاجتماع أو غير ذلك، ويقف طويلاً على إحياءاتها الحركية، ويسجل للعاملين للإسلام موحياتها، ويرسم لهم على ضوئها معالم الطريق، كما كان أكثر تركيزه على قضايا العقيدة، وبخاصة الألوهية والحاكمية والتشريع.

ولذلك تضاعف حجم الطبعة المنقحة هذه، إذ كان حجم الجزء منها يزيد على ضعف حجمه في الطبعة الأولى.

وكان الجزء السابع أكثر هذه الأجزاء العشرة تركيزاً، إذ توسع في الحديث عن قضايا العقيدة أثناء مقدمته المطولة لسورة الأنعام.

وفي الأجزاء الثلاثة الباقية من الحادي عشر حتى الثالث عشر، لم يقف طويلاً عند الآيات، لأنه قال أكثر ما يريد قوله في الأجزاء العشرة الأولى، ومع ذلك جاءت موسعة أكثر منها في الطبعة الأولى، وكتبها على نفس المنهج الذي كتب به الأجزاء العشرة، وكان النضوج واضحاً في أفكاره في هذه الأجزاء، وقد كتب هذه الأجزاء الثلاثة الأخيرة في الفترة التي أطلق فيها سراحه، وهي بضعة شهور من عام ١٩٦٥م.

وقد كان سيد قطب يتمنى أن يعيد كتابة باقي الأجزاء من الثالث عشر إلى السابع والعشرين على هذا المنهج الجديد، ويترك الأجزاء الثلاثة الأخيرة بدون إعادة، لأنها كتبت على ضوء هذا المنهج، ولكن الطغاة عجلوا بالقضاء عليه قبل أن يحقق هذه الأمنية، التي ضاعت مع الكثير من أمانيه الأخرى، وحالت المؤامرة المرسومة للقضاء عليه بينه وبين تحقيقها.

لماذا سمحوا لسيد بالكتابة في السجن؟:

قبل إدخال سيد قطب السجن - في المرة الأولى - كان قد تعاقد مع دار إحياء الكتب العربية على نشر (الظلال)، ولما أدخل السجن مُنِع من الكتابة، فرفعت الدار الناشرة دعوى على الحكومة، تطالبها بدفع تعويض قيمته عشرة آلاف جنيه، لأنها تضررت من عدم السماح لسيد قطب بالكتابة، وأراد الله (للظلال) أن يظهر، فسمحت الحكومة لسيد قطب بالكتابة في (الظلال)، وعينت الشيخ محمد الغزالي رقيباً دينياً، يُعرض عليه ما كتبه سيد قطب قبل طبعه، وباشر الغزالي مهمته، وصارت تُعرض عليه كتابات سيد قطب، وقد أجاز الغزالي كل ما كتبه، وأذن له بالطبع، ولم يحذف إلا فقرات من تفسير سورة البروج، أشار فيها سيد قطب إلى التعذيب الذي لاقاه هو والمجاهدون في السجون. هذه هي المراحل التي مرّ فيها تأليف (الظلال) باختصار^(١).

الظلال لون جديد في التفسير:

لم يعتبر كتابه تفسيراً للقرآن فقط، لذلك أطلق عليه اسم (في ظلال القرآن) وهو لم يتكلف إطلاق هذا العنوان عليه عندما بدأ في كتابته!!

(١) أفادني بهذه المعلومات الأستاذ محمد قطب - أحسن الله جزاءه -



واعتبر كتابه تسجيلاً لحياة هائلة عاشها (في ظلال القرآن) يقول: (في ظلال القرآن، عنوان لم أتكلفه فهو حقيقة عشتها في الحياة)، وكانت تعنُّ له في هذه الحياة «خواطر في العقيدة، وخواطر في النفس، وخواطر في الحياة، وخواطر في الناس... كنت أكتفي بأن أعيشها ولا أسجلها»^(١) ويقول عن (ظلاله) «وبعد: فقد يرى فريق من قراء هذه الظلال أنها لون من تفسير القرآن، وقد يرى فريق آخر أنها عرض للمبادئ العامة للإسلام كما جاء بها القرآن، وقد يرى فريق ثالث أنها محاولة لشرح ذلك الدستور الإلهي في الحياة والمجتمع، وبيان الحكمة في ذلك الدستور.. أما أنا فلم أتعمد شيئاً من هذا كله، وما جاوزت أن أسجل خواطري وأنا أحياء في تلك الظلال»^(٢).

وفي الحقيقة إن (الظلال) ليس تفسيراً للقرآن، بالمعنى التقليدي لكلمة تفسير، وإنما هو موسوعة تعرّض فيها سيد قطب لكافة فنون المعرفة والثقافة على ضوء الإسلام، وعلى منهج القرآن، كما تعرّض لمناهج الحياة في الإسلام، المناهج السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية والحركية، والأهم من هذا كله أن (ظلاله) حياة في (ظلال القرآن) بكل ما تحمله كلمة حياة من معنى، إنه وهو يتحدث عن الآيات يتحدث عن حقيقة لمسها، وحياة عاشها، وتجربة واقعية مرّ بها، وحلاوة تذوقها، ونعمة أحس بها. ولذلك هو ليس تفسيراً للقرآن فقط، بل هو أكثر من التفسير بكثير.

(١) في ظلال القرآن ٥/١ من الطبعة الأولى بمصر.

(٢) المرجع السابق: ٦/١.

ولقد لقي (الظلال) رواجاً كبيراً في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، لأن صاحبه يتحدث عن تجربة، ويصف حياة، وقد بذل نفسه في سبيل ما يؤمن به، وقد طُبِعَ عدة طبعات باللغة العربية، منها الشرعية ومنها المسروقة، ومن أهم هذه الطبعات الطبعة اللبنانية التي ظهر فيها في ثمانية مجلدات ضخمة، وطبعة دار الشروق الأخيرة التي ظهر فيها في ستة مجلدات ضخمة.

وقد صدرت عن الظلال دراسات قيمة وجيدة منها (فقه الدعوة) جمع أحمد حسن، و(طريق الدعوة في ظلال القرآن) جمع أحمد فائز في جزئين، و(اليوم الآخر في ظلال القرآن) لأحمد فائز أيضاً.

٢٠ - دراسات إسلامية:

صدرت طبعته الأولى عن مكتبة لجنة الشباب المسلم عام ١٩٥٣م، والكتاب عبارة عن مقالات إسلامية مختلفة، كتبها سيد قطب في أوقات مختلفة، ونشرها في مجلات مختلفة، مثل الرسالة والكتاب والدعوة، في الفترة ما بين ١٩٥٠م وعام ١٩٥٣م.

وقد بلغ مجموع هذه المقالات التي ضمها الكتاب ستاً وثلاثين مقالة، منها (خذوا الإسلام جملة أو دعوه) و(إلى النائمين في العالم الإسلامي) و(إسلام أميركاني) و(ضريبة الذل) و(العبيد) و(قوة الكلمة) وسلسلة (المسلمون متعصبون) و(حسن البناء وعبقريته البناء).

وقد قَدِّمَ للكتاب محب الدين الخطيب، واعتبر أهم مميزات أدب سيد قطب هي القوة، وأطلق على أدبه لقب (أدب القوة)، وبَيَّنَّ كيف أن قوة الكلمة أزعجت قوى الطغيان في البلاد، وتمنى على سيد قطب أن يصدر كتاباً مثله في مطلع كل عام، يتحف به القراء والمثقفين والعاملين.



٢١ - هذا الدين:

بعد أن أُدخل (الإخوان المسلمون) في سجون عبد الناصر، ولاقوا صنوف التعذيب والعذاب، وفُجِعوا في آمالهم وأمانهم، فَقَدَ البعض منهم الثقة بنفسه أولاً، وبهذا الدين وقدرته على مواجهة الجاهلية ثانياً، وبإمكانه تحقيق غاية الحركة الإسلامية القريبة ثالثاً.

أدرك سيد قطب، وهو القائد المربي، ما يعانيه إخوانه، وما تختلج به نفوسهم، وخشي أن تكون النتائج سيئة، أن تؤدي بهم إلى ترك راية الجهاد، فألّف كتابه (هذا الدين)، بيّن فيه خصائص هذا الدين، وأنه منهج للبشر، وأن الله قادر على أن ينصره بجنود من الملائكة، ولكنه شاء أن ينتصر بجهود البشر لِجَحَم كثيرة، وأن هذا الدين منهج متفرد، لا يماثله منهج آخر، وأنه منهج ميسر، لا عسر فيه ولا مشقة، ويسهل على النفوس الجادة النهوض بتكاليفه، وأنه منهج مؤثر، يُحدث أثره الفعال في النفس والمجتمع، متى ما حملته نفوس صادقة، عازمت على التضحية.

كما بيّن أنّ لهذا الدين رصيذاً من النجاح، وأن هذا الرصيد يتمثل في رصيد الفطرة، لأنه بعقيدته وشريعته ونظامه يوافق الفطرة الإنسانية المستقيمة، كما يتمثل في رصيد التجربة، حيث أن مبادئه ليست مثالية خيالية غير صالحة للتطبيق العملي الواقعي، فقد طبق ونجحت التجربة، وكانت الفترة المحدودة التي طبق فيها أثقل من عمر البشرية كلها، وأكثرها سعادة وطمأنينة.

إن كتاب (هذا الدين) يعتبر مرحلة جديدة في فكر سيد قطب وأسلوبه، فهو بداية اتجاهه الحركي الإسلامي، حيث أدرك به الخصائص الحركية لهذا الدين، وبهذا أظهر أن المستقبل لهذا الدين.

وكما كان كتاب (التصوير الفني في القرآن) أساس منهجه الجمالي الفني في فهم القرآن وتفسيره جمالياً، كذلك كان كتاب (هذا الدين) بداية استخدامه المفتاح الحركي لفتح كنوز القرآن الحركية المذخورة، التي لم يطلع عليها قبل سيد قطب أحد سواه، ولذلك رأيناه بعد تأليف هذا الكتاب يعيد النظر في الظلال، ويُصدر الطبعة الجديدة المنقحة منه، على أساس منهجه الحركي في التفسير!!

٢٢ - المستقبل لهذا الدين:

وهو يكمل مهمة الكتاب السابق (هذا الدين)، فبعد أن أعاد ذلك الكتاب الثقة في نفوس العاملين، ورسم لهم ملامح الإسلام وخصائص منهجه، بيّن في هذا الكتاب أن المستقبل هو لهذا الدين.

كما بيّن كيف أن الإسلام منهج حياة شامل كامل، يستوعب مختلف شؤونها وقيمها على أسسه ومبادئه، ويلبي كافة حاجات الإنسانية، ولا يوجد أي دين يؤدي هذه المهمة، وتتوفر فيه هذه الخصائص سواه؛ ولذلك - وبهذا الاعتبار - فإن المستقبل إنما هو لهذا الدين فقط، وتحدث في كتابه عن الفصام النكد الذي تمّ بين الديانة النصرانية المحرفة وبين العلم الحديث، وأنه تمّ لملايسات خاصة هناك، وأن الإسلام لن يقع خصام بينه وبين العلم، كما بيّن أن الرجل الأبيض الذي يقود الحضارة الغربية قد انتهى دوره، واستنفذت الحضارة الغربية أغراضها، وسجل بعض صيحات الخطر أطلقها بعض علماء الغرب، يُحذرون فيها من المصير البشع الذي تقود الحضارة الغربية البشرية إليه. وأعلن أنه لا بد من مخلص يغير مسار القافلة، ويخلصها من ما هي فيه، وأنه لن يكون إلا الإسلام.

٢٣ - خصائص التصور الإسلامي ومقوماته:

خصصه للحديث عن العقيدة الإسلامية وخصائصها، وقد أعلن عنه أولاً باسم (فكرة الإسلام عن الكون والحياة والإنسان) ولكنه عدل عن هذا الاسم، وأطلق عليه اسم (خصائص التصور الإسلامي)، وقد جعل هذه الدراسة في قسمين: القسم الأول عن (خصائص التصور الإسلامي) والقسم الثاني عن (مقومات الصور الإسلامي)، ولم يظهر من هذه الدراسة إلا القسم الأول فقط.

لقد أمضى سيد قطب وقتاً طويلاً وهو يبحث ويدرس، حتى أخرج هذا الكتاب، وقد استغرق تأليفه حوالي عشر سنوات، من عام ١٩٥١م حتى عام ١٩٦٠م ولا غرابة في ذلك؛ فالعقيدة الإسلامية هي التي أنهت رحلة الضياع التي قطعها سيد قطب لفترة من الوقت، وهي التي نقلت خطاه هذه النقلة البعيدة.

والكتاب من أعمق كتب سيد قطب، وقد تحدث عن العقيدة بأسلوبه المعهود، بسلاسة ووضوح وجاذبية، وهو قد أفاد كثيراً من أسلوب القرآن في عرض العقيدة.

تحدث عن أسلوب القرآن في عرض العقيدة، ثم بين الركائز التي أوجدها البشر في إضافاتهم للعقيدة، والتيه الذي ساروا فيه، ثم تحدث ببيان ووضوح عن خصائص هذه العقيدة وهي: الربانية. الثبات. الشمول. التوازن. الإيجابية. الواقعية. التوحيد.

٢٤ - الإسلام ومشكلات الحضارة:

الحضارة المادية الغربية التي تسلمت قيادة البشرية في القرن

العشرين حضارة بشرية جاهلية، يقودها الشيطان وجنوده من الإنس والجن، يقودون البشرية إلى الهاوية، ويدغدغون لها عواطفها وشهواتها ونزواتها، وهي تسير معهم كالقطيع، الذي لا يدري أين يذهب به صاحبه، وقد أنتجت هذه القيادة الجاهلية الشيطانية للحضارة مشكلات إنسانية، أوقعت فيها البشرية، وصار المفكرون والمصلحون يتخبطون في حل هذه المشكلات الحضارية، وفشلوا في إيجاد الحلول الناجعة.

وسيد قطب الذي عرف هذه الحضارة عن كثب، وعاشها قرابة أربعين عاماً، وتحسس مشكلاتها القاتلة، ورأى جهود المصلحين في حلها كأنها عبث أطفال، وهو من جهة ثانية تعرّف إلى الإسلام، الدين الإلهي الخالد، الذي حفظه الله من التحريف، وجعل إصلاح البشرية مقصوراً عليه، سيد قطب عرف هذا الإسلام، وعرف دوره في إصلاح البشرية، والآمال التي تعلقها عليه.

ألّف كتابه (الإسلام ومشكلات الحضارة) ليعطي البشرية العلاج الناجع ويُعَرِّفها على الدواء الشافي، ويدعوها إلى الإقبال على هذا الإسلام، لتحل كافة مشكلاتها التي أحدثتها حضارتها المادية، التي أوجدتها القيادة الجاهلية الشيطانية.

وكان في كتابه يُشخص المشكلة، ويُبين سماتها وآثارها، ويستشهد لها بكلام مفكري الحضارة وعلمائها، ثم بعد هذا يصف الدواء، ويبين الحل الإسلامي لهذه المشكلة، وهو يشخص المشكلة بأسلوب الخبير، ويقدم الحل الإسلامي بطريقة العالم المفكر.

٢٥ - معالم فى الطريق:

وهو آخر مؤلفاته المطبوعة، إذ سيق سيد قطب وإخوانه إلى السجن بعد ظهور الكتاب بفترة قصيرة، وهو الذى عجل فى إصدار حكم الإعدام على صاحبه، وجعله الطغاة من بين حيثيات الحكم، بل كانوا يسألون المعتقلين فى التحقيق عن قراءتهم للكتاب.

وقد كتبه سيد قطب بأسلوب ثورى عنيف، مدعم بالبراهين، وكان أسلوبه فيه يتميز عن أسلوبه فى باقى كتبه.

طبيعة الكتاب ومهمته:

يبن فى مقدمة الكتاب أنه لا بد من طليعة مؤمنة تقوم بالبعث الإسلامى، وتعزم على السير فى الطريق، لتعيد القيادة الإيمانية إلى البشرية، وأن الطريق أمامها مليء بالأشواك، لأن القيادة الجاهلية الشيطانية لن تُسلم قيادتها لها بسهولة، بل تحاربها بكل مؤسساتها وإمكانياتها، ولكن العاقبة لهذه الطليعة إن هى صبرت. ورسم لهذه الطليعة معالم طريقها، التى لا بد أن تقام من القرآن الكريم «لهذه الطليعة المرجوة المرتقبة كتبت - معالم فى الطريق -، منها أربعة فصول مستخرجة من كتاب - فى ظلال القرآن - (وهى طبيعة المنهج القرآنى) و(التصور الإسلامى والثقافة) و(الجهاد فى سبيل الله) و(نشأة المجتمع المسلم وخصائصه) مع تعديلات وإضافات مناسبة لموضوع كتاب المعالم، ومنها ثمانية فصول - غير هذه المقدمة - مكتوبة فى فترات، حسبما أوحى به اللفات المتوالية إلى المنهج الربانى الممثل فى القرآن الكريم»^(١).

(١) معالم فى الطريق: ١١ - ١٢ دار دمشق.

فكتابه هذا كتابٌ في العقيدة والفكر، والبناء والتنظيم، لم يؤلفه للثقافة فقط، وإنما ليصوغ العاملون أفكارهم على ضوئه، وليجعلوه رائداً لهم في مسيرتهم، وليقيموا البناء والتنظيم على هدى منه، وليهتدوا به في طريقهم اللاحب الطويل.

الكتاب وصية سيد قطب للدعاة:

والكتاب كله بلاغ للناس جميعاً، ووصية من سيد قطب للعاملين من بعده، وهو يغادر هذه الحياة الدنيا، والفصل الأخير منه (هذا هو الطريق) تحدث فيه عن قصة أصحاب الأخدود، التي وردت إشارة لها في سورة البروج، وما توحى هذه القصة للعاملين بشكل عام، وطلائع البعث الإسلامي بشكل خاص، يتجلى في هذا الفصل وصية الرائد القائد لجنوده، وهو ذاهب إلى ربه.

يقول: (لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم، ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر؟ كم كانوا يخسرون، وهم يقتلون هذا المعنى الكبير، معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح، بعد سيطرتهم على الأجساد)^(١).

ويبين ما توحى خاتمته في الأخدود قائلاً: «لم يكن بد من هذا النموذج، الذي لا ينجو فيه المؤمنون، ولا يؤخذ فيه الكافرون: ذلك ليستقر في حس المؤمنين - أصحاب دعوة الله - أنهم قد يُدعون إلى نهاية كهذه النهاية، في طريقهم إلى الله، وأن ليس لهم من الأمر شيء،

(١) معالم في الطريق: ٢٣٥ - ٢٣٦، دار دمشق.



إنما أمرهم وأمر العقيدة إلى الله، إن عليهم أن يؤدوا واجبهم، ثم يذهبوا.. وواجبهم أن يختاروا الله، وأن يؤثروا العقيدة على الحياة، وأن يستعملوا بالإيمان على الفتنة، وأن يصدقوا الله في العمل والنية..

ثم يفعل الله بهم وبأعدائهم كما يفعل بدينه ودعوته ما يشاء^(١).

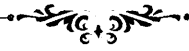
بهذه الكلمات ختم سيد قطب كتابه، وبهذا الكتاب ختم سيد قطب حياته في هذه الدنيا الفانية، وغادرها إلى ربه، يحمل معه أسمى وسام، وسام الشهادة، غادر الدنيا وإخوانه وتلاميذه ومريدوه في أمس الحاجة إليه، في حاجة له أكثر من حاجتهم له في أي وقت مضى، مضى إلى ربه تاركاً وراءه - فيما ترك - عدداً من البحوث والدراسات القرآنية والتربوية والحركية الناضجة، التي ماتت بمغادرته، لأنه لن يُظهرها إلا سيد قطب فقط، الذي تميز عن غيره من العاملين بمميزات كثيرة أهلته - هو وحده - للقيام بهذه المهمة، وإعداد تلك الدراسات!!

نهاية مسيرة سيد قطب العالمية الناضجة:

لقد وصل سيد قطب - بتوفيق الله - بعد جهد موصول واطلاع بصير، وتجربة عميقة، أكثر من أربعين عاماً من عمره، وعرف كيف يستفيد منها بموهبته، فهو لم يكدر يراها حتى بدأ حياته الأدبية في جد واحتفال، وكان الاطلاع عمله الأول، وراح ينتج بحوثاً أدبية، تجلى فيها الخصب والنماء.

ثم سار في طريقه الإسلامي، وقطع فيه خطوات قصيرة في العد، إذ لا تزيد هذه الحياة على عشرين عاماً، ولكنها ثقيلة في الميزان، مباركة

(١) المرجع السابق: ٢٤٢.



في العطاء، صادقة في النية والاتجاه، وقد أوصلته هذه الطريق المباركة إلى شجرة المعرفة، فاستروح بنسيمها، وعاش فترة سعيدة في ظلالها، فترة أطالت عمره وباركته وزكته، وصار كلما أراد أن يتحف العاملين والمجاهدين بتحفة جديدة، يهز هذه الشجرة هزاً رقيقاً فتساقط ثمارها الناضجة في يسر ورخاء، فيقدم هذه الثمار زاداً لهم.

ويتجلى هذا في كتبه الإسلامية التي قدمها، فعندما ظهر كتابه الأول (التصوير الفني في القرآن) قال العارفون: هذا هو كتاب سيد قطب! وعندما ظهر كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) قالوا: لا بل هذا هو كتاب سيد قطب، وعندما ظهر كتابه (خصائص التصور الإسلامي) قالوا: لا بل هذا هو، وعندما ظهر (في ظلال القرآن) قالوا: هذا هو الكتاب. وأخيراً عندما ظهر كتاب (معالم في الطريق) قالوا: هذا هو كتاب سيد قطب، ولو لم يكن له غيره لكفاه.

وأعتقد أنه لو قدر الله - جلا وعلا - لكتبه الإسلامية الحركية الأخرى بالظهور بعد (المعالم) لغطت على ما سبقها، فالشجرة عنده متهيئة للعطاء، خاصة في آخر أيامه، ما يكاد يلمسها لمسة رقيقة حتى تعطي الجنى الشهي في رفق ولين.

هذه هي الكتب الخمسة والعشرون، التي طبعها سيد قطب في حياته.

حقيقة كتيبات حملت اسمه بعد استشهاده:

أحب أن أبين - فيما يلي - حقيقة كتب ظهرت بعد استشهاده، وأوحت إلى القراء أنها ألفها سيد قطب، وقدمها إلى المطبعة بهذا الشكل الذي ظهرت فيه، مع أن الأمر ليس كذلك!!



١ - أفراح الروح:

مجموعة من الخواطر والأفكار، خطرت في ذهن سيد قطب وهو في أمريكا، في الفترة ما بين عامي ١٩٤٩م و١٩٥٠م، سجلها في رسائل خاصة إلى أخيه وأخوته وأصدقائه، في مصر وسائر البلاد العربية، وفي إنجلترا وفرنسا كذلك^(١). ويتحدث عن شعوره أثناء كتابتها قائلاً: «وكنْتُ أجدني أقرب إلى حقيقتي وأنا أكتبه، إلى حد أن أعيش هذه الأفكار والخواطر، وأترجمها شعوراً وسلوكاً، لحظة بعد لحظة، ويوماً بعد يوم، وكنْتُ أجد من الصفاء الروحي والرضا النفسيِّ بسبب عيشتي لهذه الأفكار، ما يملأ حياتي غبطة، أن لا أجد ما يخجلني أمام نفسي من عزلة بين ما أقوله للناس، وما أزاوله في الحياة، وكنْتُ من الفرح بهذا التوافق، إلى حد أن أحفظ - أنا الذي لا أحفظ له - فقرات كاملة من هذه الرسائل الخاصة، لكثرة استعادة ألفاظها وأنا أستشعر مدلولاتها»^(٢).

ثم خطر له أن هذه الرسائل الخاصة تصلح للنشر لأنها قصة واقع حي، فجمع طائفة منها وأرسلها إلى عادل الغضبان رئيس تحرير مجلة الكتاب، التي كان يكتب فيها سيد قبل ذهابه إلى أمريكا، وكان الغضبان يرسل سيد، ويستحثه أن يكتب شيئاً لمجلته، ولكن الغضبان لم ينشر هذه الرسائل، واحتفظ بها إلى حين عودة سيد قطب من أمريكا، وسلمه إياها في أول لقائه به^(٣).

(١) الكتاب - المجلد العاشر - الجزء الرابع - أبريل ١٩٥١م صفحة: ٣٩٠ وقد أخطأ من زعم أنها رسالة لأخته أمينة قطب فقط.

(٢) الكتاب - المجلد العاشر - الجزء الرابع - أبريل ١٩٥١م صفحة: ٣٩١.

(٣) المرجع السابق: ٣٩٣.

احتفظ سيد قطب بهذه الرسائل، ولم يشأ أن يطبعها في كتاب مستقل، وعندما بدأت محنته الأولى حصلت مجلة (الفكر) التونسية على هذه الرسائل، فنشرتها تحت عنوان (أضواء من بعيد)^(١).

وبعد إعدام سيد قطب عام ١٩٦٦م، جمعت (الدار العلمية) في بيروت هذه الرسائل المنشورة في مجلة (الفكر) ونشرتها تحت عنوان (أفراح الروح) وصدر الكتيب عام ١٩٧١م، في ثلاثين صفحة من القطع الصغير.

٢ - نحو مجتمع إسلامي:

عندما صدرت مجلة (المسلمون) عام ١٩٥١م في القاهرة، اتفق سعيد رمضان مع سيد قطب على أن يشترك في تحريرها، بمقالة دائمة، فكتب سبع حلقات في سلسلة (في ظلال القرآن) ثم تعاقد مع دار إحياء الكتب العربية بمصر، على أن تنشر له (الظلال) في أجزاء متتابعة.

وبعد أن توقف عن كتابه الظلال في مجلة المسلمون، كتب فيها خمس مقالات في زاوية جديدة أسماها (نحو مجتمع إسلامي) والمقالات هي (المستقبل للإسلام) و(كيف نستوحي الإسلام) و(طبيعة المجتمع الإسلامي) و(مجتمع عالمي) و(نظام رباني). وقد نشرها في الأعداد العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من المجلة^(٢).

(١) وهو نفسه عنوان مقالة نشرها في (الكتاب) المجلد التاسع - الجزء الثاني - فبراير ١٩٥٠م صفحات ١٤٣ - ١٤٥. وقد نشرتها مجلة (الفكر) التونسية في العدد السادس من السنة الرابعة مارس ١٩٥٩م.

(٢) أنظر (المسلمون) هذه الأعداد، في المجلدين الأول والثاني.



ثم توقف عن الكتابة تحت هذه الزاوية.

وقد سبق أن أعلن عن بحث له تحت عنوان (نحو مجتمع إسلامي) قبل أن يكتب في (المسلمون) هذه الحلقات، وكان المراقبون يرتقبون هذا البحث في شوق ولهفة، ولكنه كان يعيد النظر في بحثه دائماً، على ضوء ما استفاده من دراساته وبحوثه ونظراته المتكررة الفاحصة في القرآن.

وعندما أصدر كتابه (الإسلام ومشكلات الحضارة) عام ١٩٦٢م، أشار في فصل (طريق الخلاص) إلى هذا البحث بقوله (وفي حدود جهدي الخاص: لقد أعددت لهذا (ملاحم المجتمع الإسلامي وخصائصه) بحثاً ضخماً مفصلاً تحت عنوان (نحو مجتمع إسلامي)^(١).

وتصريح سيد هنا بأن بحثه ضخيم مفصل يدل على أن البحث كبير الحجم، وقد قضى أكثر من أربعة عشر عاماً وهو يعد هذا البحث، مما يدل على أنه بذل فيه جهداً كبيراً، وأولاه عناية خاصة.

ثم استشهد سيد قطب، وتسابقت المكتبات إلى نشر كتبه، والاتجار بها، وصورت عنها عدة طبعات.

وفي عام ١٩٦٩م، نشرت (مكتبة الأقصى) في عمان، كتاباً تحت عنوان (نحو مجتمع إسلامي) لسيد قطب، وأقبل الجميع على الكتاب، وهم يظنون أنه هو نفس البحث الذي أعلن عنه سيد قطب، البحث الضخم المفصل، وفوجئوا به إذ رأوه على هذه الصورة، والحقيقة أن مكتبة الأقصى جمعت المقالات الخمس المنشورة في المسلمون، ونشرتها تحت هذا العنوان، وكان عليها أن تشير إلى أصل الكتاب الذي نشرته - حتى لا يقع اللبس، ولا تضيع الحقيقة العلمية!!

(١) الإسلام ومشكلات الحضارة: ١٨٥.

٣ - في التاريخ فكرة ومنهاج:

نشر سيد قطب مقاليتين تحت هذا العنوان في مجلة (المسلمون) في العدين الأول والثاني^(١).

وبعد استشهاد سيد قطب، وتسابق المكاتب إلى المتاجرة بكتبه، نشرت الدار السعودية للطباعة والتوزيع بجدة، هاتين المقاليتين في كتيب أسمته بهذا الاسم (في التاريخ فكرة ومنهاج) وأضافت إليهما مقاليتين أخريين، عن التصور الإسلامي للأدب، لا أدري أين نشرهما، فتوهم الناس أن هذا الكتاب ألفه سيد قطب في حياته.

٤ - معركتنا مع اليهود:

مجموعة مقالات كتبها سيد قطب في مجلة (الدعوة) المصرية في أوائل الخمسينيات، وقسم منها اقتطع من (في ظلال القرآن) و(إلى المتشاقلين عن الجهاد)، وقد جمع هذه المقالات زين العابدين الركابي، وقدم لها بمقدمة جيدة، بيّن فيها جوانب من عظمة سيد قطب، ونشرتها لأول مرة (الدار السعودية للنشر والتوزيع) بجدة.

وقد أحسن الجامع - زين العابدين الركابي - صنعا، عندما كان يشير في الحاشية، عند أول كل مقالة إلى المجلة التي نشرت فيها، وكان من المستحسن أن يشير - بالإضافة إلى إشارات تلك - في أول الكتاب إلى أصله حتى يعرف القارئ حقيقته لأول وهلة!!

(١) المسلمون - المجلد الأول - العدد الأول - سبتمبر ١٩٥١م: ٥٨ - ٦٢ والعدد الثاني أكتوبر

١٩٥١، صفحة ٥٥ - ٦٠.



٥ - تفسير سورة الشورى:

اقتطعت (الدار السعودية) تفسير سورة الشورى من كتاب (في ظلال القرآن)، ونشرتها في كتاب مستقل، وظن البعض أن سيد قطب خصّ تفسير هذه السورة بكتاب مستقل، زيادة على تفسيره لها في (الظلال)، ولا أدري لماذا أخذ هذا القسم من التفسير؟ ولماذا سورة الشورى بالذات؟ وماذا يميز تفسيره لها عن تفسيره لباقي السور؟ لا سبب لهذا إلا الرغبة في تحقيق الكسب المادي عن أي طريق كان!!

٦ - تفسير آيات الربا:

وقصة هذا الكتاب هي قصة سابقة (تفسير سورة الشورى) اختارته (الدار السعودية) من (الظلال) ونشرته في كتاب خاص، لا لهدف سوى التجارة والربح!

٧ - قصة الدعوة.

٨ - إسلام أو لا إسلام.

٩ - إلى المتثاقلين عن الجهاد.

١٠ - رسالة الصلاة.

كتيبات أربع، اختارها الناشر من (في ظلال القرآن)، ونشروها على الملأ، وظن الناس أن هذه كتابات جديدة لسيد قطب، فأقبلوا عليها بشغف ولهفة، واستفاد الناشر من ربحاً حراماً، ودخلاً غير مشروع، لأنه تحايل وسرقة، وغش وتزوير.

وإذا لم يتم وضع حد لعبث العابثين واستغلال المستغلين، وجشع الطامعين، فكم سنرى كتباً جديدة، تنزل الأسواق تحمل عناوين جديدة،

للمؤلف الشهيد سيد قطب، وإذا أجاز بعض الناشرين لأنفسهم أن يقتطعوا ملازم من (الظلال)، يقدمونها إلى المطابع! فكم سنرى كتباً جديدة له؟

إن سيد قطب الرجل الرائد المجاهد، الذي مات في سبيل ما يؤمن به، مات في سبيل كتبه وبحوثه الحققة، ولم يؤلفها، ليستغلها المستغلون من بعده، ويتاجروا بها، ويكسبوا آلاف الجنيهات منها، ويثروا من ورائها، الثراء الفاحش الحرام، وأمر عجيب أن يموت مؤلف من أجل كتبه، وأن يتعيش مرتزقة عليها، ويتاجروا بها باسم الإسلام!

إنني أدعو إلى إخراج تراث سيد قطب المظموّر في بطون المجلات في المكتبات، أدعو إلى إخراجه وتصنيفه وتبويبه ونشره، ولكن على أن يُشار على غلاف الكتاب أو في مقدمته إلى أصل الكتاب وحقيقته، وأدعو إلى إجراء دراسات عديدة عن سيد قطب، تشمل مختلف ما أنتجه، وتتعرض لكافة المجالات التي أنتج فيها، وتعرف على مواهبه الفذة العديدة، وشتان بين دراسة وثائقية علمية جادة، تهدف إلى نشر الحقيقة، وبين تجارة مادية، لا ترعى عهداً، ولا تُظهر حقاً!!

المبحث الثالث

بحوث لم تنشر

رزق الله سيد قطب - فيما رزقه إياه - موهبة فذة في اختيار البحوث وتصنيفها، كما رزقه نظرة فنية في تبويبها، وتمتّع بهمة عالية، وجلد دائم، وصبر عجيب، وتوفّر كامل على البحث، والسير فيه، واستيفاء جوانبه، وتفصي حاجاته، حتّى إتمامه أو مقارنة إتمامه.

والعجيب في سيد قطب - فوق هذا كله - أنه لم يكن يرضى عن بحوثه ويركن إليها، ويعتمد عليها، فما يكاد يقطع مرحلة طويلة من البحث، ويقارب على نهايته، حتى يتولد في ذهنه بحث جديد، يراه أولى من البحث السابق، فيترك الذي بين يديه، ويبدأ سيراً جديداً مع بحث جديد، وهكذا.

والذي يدرس آثار سيد قطب، وبخاصة مقالاته في الصحف والمجلات، يطلع على عدد من البحوث كان ينوي تأليفها، ويشير إليها في هذه المقالات، ولكنه كان يتخلى عنها في آخر لحظة، وإن هذه البحوث على اختلاف أنواعها لو أكملها ونشرها لأضافت الجديد المفيد إلى عالم الأدب والنقد والشعر والقصة والفكر الإسلامي.

والبحوث التي اطلعت على إشارته لها، والتي لم يُقدّر لها أن ترى النور هي:

١ - مهمة الشاعر في الحياة:

بحث ضخّم كان ينوي تأليفه، واعتبر الكتاب المطبوع بهذا العنوان مقدمة لذلك البحث^(١).

(١) مهمة الشاعر في الحياة: ٧.

٢ - دراسة عن شوقي:

كان ينوي إعداد هذه الدراسة الشاملة عن أمير الشعراء أحمد شوقي، ويستوفي كل قصائده وأشعاره، لتكون النتائج التي يصدرها صادقة، وبعد خبرة ومعرفة واطلاع^(١).

٣ - المراهقة: أخطارها وعلاجها:

كتاب في التربية، ومعالجة مشكلات الشباب، قال عنه: «أنا على وشك إخراج كتاب في التربية عن - المراهقة أخطارها وعلاجها^(٢) -» مما يدل على أنه كان جاهزاً بين يديه.

٤ - المرأة لغز بسيط:

عني بدراسته مدة عشر سنوات، ونشر خلاصة له في مجلة الأسبوع^(٣).

٥ - المرأة في قصص توفيق الحكيم:

وعد أن يكتب هذا البحث، ونشر هذا الوعد في مجلة الأسبوع^(٤).

٦ - أصداء الزمن:

ديوان شعر له، وهو الثاني بعد (الشاطئ المجهول) الذي صدر فعلاً. وكان قد قدمه إلى المطبعة ووعد أن يصدر في عام ١٩٣٧م ولكن عدل عنه في آخر لحظة^(٥).

(١) المرجع السابق: ١١.

(٢) الأسبوع - السنة الأولى - عدد: ٢٦ تاريخ ٢٣ مايو ١٩٣٤م صفحة: ١٤.

(٣) الأسبوع - المجلد الرابع - عدد: ٤٥ تاريخ ٣ أكتوبر ١٩٣٤م صفحة: ٩.

(٤) المرجع السابق.

(٥) مجلة دار العلوم - السنة الرابعة - العدد الثاني أكتوبر ١٩٣٧م صفحة: ١٤٤.



٧ - الكأس المسمومة:

ديوان الشعر الثالث له، أعلن عنه أنه تحت الطبع^(١).

٨ - قافلة الرقيق:

الديوان الرابع، وأعلن عنه أنه تحت الطبع^(٢).

٩ - حلم الفجر:

الديوان الخامس، وحل به ما حل بالدواوين السابقة^(٣).

١٠ - القلط الضالة:

قصة مصورة له، أعلن عنها أنها تحت الطبع^(٤).

١١ - من أعماق الوادي:

قصة أخرى أعلن عنها أنها قيد التحرير^(٥).

١٢ - المذاهب الفنية المعاصرة:

بحث نقدي من سلسلة بحوثه النقدية، أعلن أنه تحت الطبع^(٦).

وقد أشار إليه في موطن آخر باسم (المدارس الأدبية المعاصرة)^(٧).

(١) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات) طبعة دار الكتب العربية بدمشق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) قائمة كتبه المنشورة في (معركة الإسلام والرأسمالية) الطبعة الثانية ١٩٥٢م نشر دار الإخوان للصحافة.

(٤) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات).

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) الرسالة - السنة الثانية عشرة - المجلد الثاني عدد ٥٩٧ تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤م صفحة ٨٨.

١٣ - الصور والظلال في الشعر العربي:

بحث آخر من سلسلة بحوثه النقدية^(١).

١٤ - القصة في الأدب العربي:

بحث نقدي آخر له أعلن أنه قيد البحث^(٢).

١٥ - شعراء الشباب:

أشار إليه في موطن آخر باسم (الشعر المعاصر) وهو من سلسلة بحوثه النقدية^(٣).

١٦ - القصة الحديثة:

بحث آخر من سلسلة بحوثه النقدية^(٤).

والبحوث الخمسة الأخيرة بحوث نقدية، وقد سلك طريقاً عجباً في تحرير الباحثين الآخرين منها (شعراء الشباب) و(القصة الحديثة)، حيث كتب إعلاناً في مجلة الرسالة، وجهه إلى الأدباء العرب في العالم العربي، رجاهم فيه أن يرسلوا له كل نتاجهم الأدبي من الشعر والقصة، ليستكمل الباحثين ويستقصي جوانبهما^(٥).

(١) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق: وانظر الرسالة - السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني عدد ٦٩٨ تاريخ ١٨ نوفمبر ٤٦ صفحة ١٢٨٧.

(٤) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات).

(٥) انظر مبحث «سيد قطب الباحث» من هذا الكتاب.



١٧ - عرابي المفترى عليه:

بحث أعدده لدراسة شخصية أحمد عرابي، وترجمة حياته، ورد المفتريات عنه^(١).

١٨ - الشريف الرضي:

أعدده لداسة الشريف الرضي وترجمة حياته، وبيان دوره في الأدب العربي^(٢).

١٩ - لحظات مع الخالدين:

لم نعرف من هؤلاء الذين ستركنا نعيش معهم لحظات، لكن نجزم أنه كان من بينهم الشاعر محمد إقبال^(٣).

٢٠ - أمريكا التي رأيت:

بحث سجل فيه دراسته العميقة الفاحصة للحياة الأمريكية والمجتمع الأمريكي، وكان من المتوقع أن يثير ضجة لو صدر، وكان سيد قطب راغباً في إصداره، إلا أنه عندما اعتقل عام ١٩٥٤م عهد بمسودة البحث المخطوطة إلى أحد معارفه، ليخفيه ريثما تستقر الأحداث وتنتهي الأزمة، وطلب منه الاحتفاظ به، لكن هذا الأخير لم تكن عنده الشجاعة الكافية، فلم يتمكن من الاحتفاظ بالأمانة، إذ عندما اشتدت وطأة الاعتقالات ضد الإخوان المسلمين، خاف الرجل

(١) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات).

(٢) المرجع السابق.

(٣) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي: ١٥٣ وقائمة (معركة الإسلام والرأسمالية) الطبعة الثانية ١٩٥٢م نشر دار الإخوان.

على نفسه، فأحرق البحث، وبهذا حرم الناس من بحث من أعماق بحوث سيد قطب^(١).

وقد نشر سيد قطب في الرسالة ثلاث حلقات مختصرة من هذا البحث، بلغت صفحاتها خمس عشرة صفحة، تحدث فيها عن أمريكا وحضارتها ونشوتها وبدائية الشعب الأمريكي في كل شيء، بدائياته في تفكيره وعاداته وأذواقه وأعرافه، وكشف الكثير من خلفيات الحياة هناك^(٢).

٢١ - القصة بين التوراة والقرآن.

٢٢ - النماذج الإنسانية في القرآن.

٢٣ - المنطق الوجداني في القرآن.

٢٤ - الأساليب الفنية في القرآن^(٣).

أشار إلى هذه الأربعة في نهاية كتابه (كتب وشخصيات)، وفي مقدمته لكتاب (مشاهد القيامة في القرآن)^(٤) ويبدو أنه تعرض لهذه البحوث عندما ألف موسوعته القرآنية (في ظلال القرآن) بالقدر الذي تسمح به طبيعة (الظلال) وعلى ضوء اهتماماته الإسلامية العديدة.

وعندما طبع الجزء الثالث عشر من (الظلال) الطبعة المنقحة عام ١٩٦٤، أثبت في نهايته قائمة بالكتب المعتمدة لديه. وأشار إلى بحوث أخرى تحت عنوان (كتب تالية بإذن الله) وهي:

(١) أخبرني بهذه الحقيقة الأستاذ محمد قطب.

(٢) الرسالة - السنة الرابعة عشرة - المجلد الثاني. أعداد: ٩٥٧، ٩٥٩، ٩٦١.

(٣) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات) طبعة دار الكتب العربية بدمشق.

(٤) مشاهد القيامة في القرآن: ٧.



٢٥ - معالم في الطريق: (المجموعة الثانية).

٢٦ - في ظلال السيرة.

وأشار إليه في (الظلال) أثناء حديثه عن الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك^(١).

٢٧ - في موكب الإيمان.

٢٨ - مقومات التصور الإسلامي.

وهو القسم الثاني المتمم للخصائص وقد علمنا أن قسماً كبيراً من البحث لم يتلف، أنه تحت الطبع الآن^(٢).

٢٩ - أوليات في هذا الدين.

٣٠ - هذا القرآن.

٣١ - تصويبات في الفكر الإسلامي المعاصر:

وقد أشار إليه في (الظلال) عند تفسيره لسورة هود^(٣).

٣٢ - نحو مجتمع إسلامي:

وقد أشار إليه عدة مرات في كتبه^(٤).

* * *

(١) في ظلال القرآن ١٧٣٢/٣.

(٢) أشار إلى هذا محمد قطب.

(٣) في ظلال القرآن ١٨٨٥/٤.

(٤) منها كتاب (الإسلام ومشكلات الحضارة): ١٨٥.

ثبت المراجع



- ١ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر:
الدكتور محمد محمد حسين. دار النهضة العربية - بيروت - الطبعة
الثالثة ١٩٧٢م.
- ٢ - الإخوان المسلمون والمجتمع المصري:
محمد شوقي زكي. بدون إشارة إلى تاريخ أو مكان الطبع.
- ٣ - الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة
الدكتور إسحق موسى الحسيني. دار بيروت. الطبعة الأولى ١٩٥٢م.
- ٤ - الإخوان المسلمون في حرب فلسطين:
كامل إسماعيل الشريف. القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٥١م.
- ٥ - الإسلام ومشكلات الحضارة:
سيد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.
- ٦ - الأطياف الأربعة:
سيد قطب بالاشتراك مع إخوته. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٦٧م.
- ٧ - أفراح الروح:
سيد قطب. الدار العلمية. بيروت.



- ٨ - أيام من حياتي:
زينب الغزالي. دار الشروق. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٧٨ م.
- ٩ - التصوير الفني في القرآن:
سيد قطب. دار الشروق. بلا تاريخ
- ١٠ - الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي:
عبد الرحمن الرافعي. مكتبة النهضة العربية. القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٤٩ م.
- ١١ - جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث:
عبد العزيز الدسوقي. الهيئة المصرية العامة للتأليف. القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٧١ م.
- ١٢ - الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر:
الدكتور محمد فؤاد شكري. دار الفكر العربي. القاهرة. بلا تاريخ.
- ١٣ - الخطط المقرزية - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار -
أحمد بن علي المقرزي، دار العرفان. بيروت. بدون تاريخ.
- ١٤ - دراسات إسلامية:
سيد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.
- ١٥ - سخریات صغيرة:
محمد قطب. لجنة النشر للجامعيين. مصر. الطبعة الأولى ١٩٤٧ م.
- ١٦ - سيد قطب. خلاصة حياته ومنهجه في الحركة. والنقد الموجه إليه
محمد توفيق بركات. دار الدعوة. بيروت. بدون تاريخ.
- ١٧ - سيد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي:
محمد علي قطب. دار الحديث. بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ.



- ١٨ - الشهيد سيد قطب:
بقلم طائفة من الكتاب. نشر جماعة أصدقاء الشهيد سيد قطب.
بدون تاريخ.
- ١٩ - طفل من القرية:
سيد قطب. الدار السعودية للنشر. جدة. بدون تاريخ.
- ٢٠ - عصر محمد علي:
عبد الرحمن الرافعي. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثانية ١٩٥١م.
- ٢١ - على المحك:
مارون عبود. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٤٦م.
- ٢٢ - فقه الدعوة. موضوعات في الدعوة والحركة:
أحمد حسن. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٧٠م.
- ٢٣ - الفكر الإسلامي المعاصر. دراسة وتقويم:
غازي التوبة. الطبعة الأولى. ١٩٦٩م.
- ٢٤ - في تيار الحياة:
أمينة قطب. دار مصر للطباعة. القاهرة. بدون تاريخ.
- ٢٥ - في ظلال القرآن:
سيد قطب. طبعة دار الشروق في ستة مجلدات كبار.
- ٢٦ - في الأدب الحديث:
عمر الدسوقي. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة السابعة ١٩٦٦م.
- ٢٧ - كتب وشخصيات:
سيد قطب. دار الكتب العربية. بيروت. بدون تاريخ.



- ٢٨ - لعبة الأمم:
مايلز كوبلاد. تعريب مروان خير. دار الفتح. بيروت. بدون تاريخ.
- ٢٩ - لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا:
عبد المتعال الجبري. دار الاعتصام. القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٧٨ م.
- ٣٠ - محمد فريد:
عبد الرحمن الرافعي. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثانية ١٩٤٨ م.
- ٣١ - مذابح الإخوان في سجون ناصر:
جابر رزق. دار الاعتصام. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٧٧ م.
- ٣٢ - مذكرات السلطان عبد الحميد:
ترجمة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد حرب عبد الحميد. دار الأنصار. القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٧٨ م.
- ٣٣ - مذكرات سائح في الشرق العربي:
أبو الحسن الندوي. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٥ م.
- ٣٤ - المدنية المسحورة:
سيد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.
- ٣٥ - مشاهد القيامة في القرآن:
سيد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.
- ٣٦ - مصر والمسألة المصرية:
الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى. دار المعارف بمصر بدون تاريخ.
- ٣٧ - مصطفى كامل:
عبد الرحمن الرافعي، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٥٠ م.

- ٣٨ - مع سيد قطب في فكره السياسي والديني:
الدكتور مهدي فضل الله. مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى
١٩٧٨ م.
- ٣٩ - معركة الإسلام والرأسمالية:
سيد قطب. الدار العربية للنشر - جدة - بدون تاريخ.
- ٤٠ - معالم في الطريق:
سيد قطب. دار دمشق. بدون تاريخ.
- ٤١ - من الشعر الإسلامي:
من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت. رقم (٣).
- ٤٢ - منهج الفن الإسلامي:
محمد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.
- ٤٣ - مهمة الشاعر في الحياة:
سيد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.
- ٤٤ - الناصرية في قفص الاتهام:
عبد المتعال الجبري. دار الاعتصام. الطبعة الأولى ١٩٧٩ م.
- ٤٥ - النقد الأدبي، أصوله ومناهجه:
سيد قطب. دار الشروق. بدون تاريخ.
- ٤٦ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر:
سيد قطب. الدار السعودية للنشر - جدة - الطبعة الثانية ١٩٦٩ م.

الدوريات



أكتفي بذكر أسماء الدوريات التي رجعتُ إليها، أما سنة الدورية ومجلدها، ورقم عددها وتاريخه، فقد سجلته في حواشي الصفحات عند الإشارة إليها:

- ١ - الأسبوع.
- ٢ - الاعتصام.
- ٣ - البلاغ الأسبوعي.
- ٤ - الثقافة.
- ٥ - الدعوة.
- ٦ - الرسالة.
- ٧ - الشهاب.
- ٨ - كلمة الحق.
- ٩ - الكتاب.
- ١٠ - الكاتب المصري.



۱۱ - العالم العربي.

۱۲ - دار العلوم.

۱۳ - المجتمع.

۱۴ - المسلمون.

۱۵ - المقتطف.

* * *

كتب صدرت للمؤلف

مرتبة وفق صدورها:



- ١ - سيد قطب الشهيد الحي.
- ٢ - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.
- ٣ - أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب.
- ٤ - المدخل إلى «في ظلال القرآن».
- ٥ - المنهج الحركي في ظلال القرآن.
- ٦ - في ظلال القرآن في الميزان.
- ٧ - مفاتيح للتعامل مع القرآن.
- ٨ - في ظلال الإيمان.
- ٩ - الشخصية اليهودية من خلال القرآن.
- ١٠ - تصويبات في فهم بعض الآيات.
- ١١ - مع قصص السابقين في القرآن.
- ١٢ - البيان في إعجاز القرآن.

- ١٣ - ثوابت للمسلم المعاصر.
- ١٤ - إسرائيليات معاصرة.
- ١٥ - سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.
- ١٦ - لطائف قرآنية.
- ١٧ - هذا القرآن.
- ١٨ - حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية.
- ١٩ - الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد.
- ٢٠ - التفسير والتأويل في القرآن.
- ٢١ - الأتباع والمتبوعون في القرآن.
- ٢٢ - التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.
- ٢٣ - الخطة البراقة لذي النفس التواقة.
- ٢٤ - تفسير الطبري تقريب وتهذيب: ١ - ٧.
- ٢٥ - الرسول المبلغ ﷺ.
- ٢٦ - القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث: ١ - ٤.
- ٢٧ - تهذيب فضائل الجهاد لابن النحاس.
- ٢٨ - تعريف الدارسين بمناهج المفسرين.
- ٢٩ - القبسات السنية من شرح العقيدة الطحاوية.
- ٣٠ - سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد.

- ٣١ - صور من جهاد الصحابة.
- ٣٢ - إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني.
- ٣٣ - مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه.
- ٣٤ - سعد بن أبي وقاص: المجاهد الفاتح.
- ٣٥ - الحرب الأمريكية بمنظار سيد قطب.
- ٣٦ - سيرة آدم عليه السلام: دراسة تحليلية.
- ٣٧ - بين الإسلام الرباني والإسلام الأمريكي.
- ٣٨ - عتاب الرسول في القرآن: تحليل وتوجيه.
- ٣٩ - وعود القرآن بالتمكين للإسلام.
- ٤٠ - حديث القرآن عن التوراة.
- ٤١ - جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم.
- ٤٢ - سفر التكوين في ميزان القرآن.
- ٤٣ - الانتصار للقرآن أمام متنبئ الأمريكان.
- ٤٤ - الأعلام الأعجمية في القرآن: تحليل وتوجيه.
- ٤٥ - الكليني وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية.
- ٤٦ - القرآن ونقض مطاعن الرهبان.
- ٤٧ - وقفات مع هذه الآيات.
- ٤٨ - تفسير ابن كثير تهذيب وترتيب: ١ - ٦.



- ٤٩ - بصائر.
- ٥٠ - الوجيز في الثقافة الإسلامية: بالاشتراك.
- ٥١ - التفسير المنهجي: بالاشتراك.
- ٥٢ - تفسير سورة التوبة: بالاشتراك.
- ٥٣ - المدخل العام إلى تفسير آيات الأحكام.
- ٥٤ - التفسير اللغوي الاشتقافي للقرآن: تحت الطبع.

* * *

المحتوى



هذه الطبعة المنقحة	٥
شهادة الأستاذ محمد قطب للكتاب	٩
تقديم: «سيد قطب... الشهيد الحي»	١١
مقدمة	١٧

الباب الأول

عصره وبيئته وحياته

الفصل الأول

عصر سيد قطب	٢٧
المبحث الأول: الحياة السياسية	٣١
مصر تحت حكم أسرة محمد علي	٣١
مصر تحت الاستعمار الإنجليزي الشامل	٣٣
ظهور أحزاب عديدة في مصر	٣٤
ظهور الزعيم سعد زغلول	٣٥
حزب الوفد يحكم مصر بأمر من الإنجليز	٣٧



- ٣٩ اشتراك فئات مصرية في حرب فلسطين
- ٤١ الإخوان المسلمون يقودون المقاومة ضد الإنجليز
- ٤٢ قيام الانقلاب العسكري عام (١٩٥٢م)
- ٤٣ توجه عبد الناصر نحو الاشتراكية
- ٤٥ سأم وقرف الشعب المصري
- ٤٧ دعوة سيد قطب إلى السخط والثورة
- ٤٩ المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية
- ٤٩ طبقتان متميزتان في مصر
- ٥١ دعوة قاسم أمين وهدى شعراوي لتحرير المرأة:
- ٥١ انتشار الفساد الأخلاقي في البلاد
- ٥٢ الدعاية الشيوعية الخادعة في مصر
- ٥٣ نشاط الجاليات والمبشرين
- ٥٥ المبحث الثالث: الحياة الإسلامية
- ٥٥ جهود الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا في الإصلاح
- ٥٦ وأد محاولات إصلاح الخلافة من الداخل
- ٥٨ الأزهر من الإصلاح إلى التبعية
- ٥٩ حسن البنا ينشئ الإخوان المسلمين
- ٦٠ جهاد الإخوان في فلسطين وعلى ضفاف القناة
- ٦١ محنة الإخوان المسلمين على يد عبد الناصر



- المبحث الرابع: الحياة الأدبية ٦٣
- أوائل الشعراء ظهوراً ٦٤
- أوائل الأدباء ظهوراً ٦٤
- العقاد والرافعي وطه حسين ٦٦
- بين الأدباء الشيوخ والأدباء الشبان ٦٧
- ظهور نقاد أدبيون كبار ٦٩
- دور الصحف والمجلات في النهضة الأدبية ٦٩

الفصل الثاني

- بيئة سيد قطب ٧١
- المبحث الأول: طبيعة قريته ٧٣
- لماذا الحديث عن قريته؟ ٧٣
- موسم «اللو» في القرية ٧٤
- موقع القرية ووضعها ٧٧
- الوضع الاجتماعي للقرية ٧٨
- المبحث الثاني: تعريف بوالديه ٨٠
- هل أصله هندي؟ ٨٠
- وضع أسرته الاجتماعي ٨١
- والده عميد الأسرة ٨٣
- والده كريم مضياف ٨٤



- والده عضو عامل في الحزب الوطني ٨٦
- والده يقود ثورة ١٩١٩م في القرية ٨٧
- والده متدين محب للقرآن ٨٨
- كلام سيد عن تدين والده ٨٩
- شخصية والدته ٩٠
- تدين والدته ٩٠
- ما أوصت به إلى سيد ٩١
- المبحث الثالث: تعريف بإخوته** ٩٤
- أخته الكبرى «نفيسة» ٩٤
- أخته الوسطى «أمينة» ٩٥
- أخوه الشقيق «محمد» ٩٦
- محمد قطب «كاتب أديب» ٩٧
- محمد قطب مفكر إسلامي ٩٨
- فراصة لسيد في خلافة أخيه له ١٠٠
- أخته الصغرى «حميدة» ١٠١
- المبحث الرابع: نشأته وتربيته ووصفه** ١٠٣
- أثر مناظر القرية الجميلة عليه ١٠٣
- تأثره بما كان يسمع في القرية ١٠٤
- ماذا غرس والداه في نفسه؟ ١٠٥



- ١٠٧ اعتداده بنفسه في طفولته
- ١٠٩ نشاطه السياسي في طفولته
- ١٠٩ حسن تربيته في طفولته
- ١١١ صلته في طفولته بنساء القرية
- ١١٢ استقامته وهو شاب في القاهرة
- ١١٣ ما هو وصفه؟
- ١١٥ أسلوبه الهجومي لا يدل على مظهره

الفصل الثالث

- ١١٧ مشاهد من حياة سيد قطب
- ١١٩ المبحث الأول: دراسته في القرية
- ١١٩ دخل المدرسة وهو في السادسة من عمره
- ١٢٠ هروبه من المدرسة لأكثر من شهر
- ١٢١ عودته إلى المدرسة
- ١٢٢ سيد في «كتاب» تحفيظ لمدة يوم
- ١٢٣ عودته إلى المدرسة
- ١٢٤ سيد يتم حفظ القرآن في ثلاث سنوات
- ١٢٥ أمضى ست سنوات في المدرسة
- ١٢٧ سيد يقرأ الكتب في القرية
- ١٢٧ سيد يعمل في قراءة الطالع ومعرفة الحظوظ
- ١٢٨ سيد ينسخ الكتب المهمة



- المبحث الثاني: دراسته في دار العلوم ١٣٠
- سيد طالب في مدرسة المعلمين ١٣١
- سيد طالب في تجهيزية دار العلوم ١٣١
- سيد طالب في كلية دار العلوم ١٣٢
- سيد يقدم مقترحات للمناهج الدراسي في الكلية ١٣٣
- نشاطه الأدبي والنقدي وهو طالب في الكلية ١٣٤
- سيد مع صديقيه عتيق والعمروسي ١٣٥
- سيد يعد البحوث وهو طالب في الكلية ١٣٦
- ثناء أستاذه مهدي علام عليه ١٣٦
- نشاطه السياسي والاجتماعي وهو طالب في الكلية ١٣٧
- المبحث الثالث: سيد قطب في وزارة المعارف ١٣٩
- تقديمه المقترحات ووضع الخطط للوزارة ١٤٠
- استقالته من الوزارة ١٤٣
- لم يرض عن سياسات الوزارة ١٤٤
- نفه إلى الصعيد باسم التفتيش ١٤٥
- المبحث الرابع: سيد قطب مع العقاد ١٤٦
- صلة سيد قطب بالعقاد مبكرة عن طريق خاله ١٤٦
- سيد تلميذ ومريد للعقاد ١٤٨
- سيد يدرس شخصية ونتاج العقاد ١٤٩



- ١٥١ سيد شديد التعصب والمغالاة للعقاد
- ١٥٢ سيد مع العقاد ضد الرافعي
- ١٥٤ سيد يخالف العقاد أحياناً رغم تلمذته له
- ١٥٤ سيد ينقد شعر العقاد مخالفاً له
- ١٥٦ سيد ينقد مدرسة العقاد ويخرج منها
- ١٥٨ سيد يؤسس مدرسة أدبية جديدة
- ١٥٨ سيد يذكر أسباب خروجه على العقاد
- ١٥٩ العقاد يهاجم سيد قطب
- ١٥٩ العقاد سبب تأخر التوجه الإسلامي لسيد
- ١٦١ المبحث الخامس: في الصحف والمجلات ...
- ١٦١ عمله في الصحف والمجلات على عدة حالات
- ١٦٣ ثناء على عمله فيها
- ١٦٤ من المجلات التي كتب فيها
- ١٦٧ لم يكن متفرغاً للكتابة في المجلات
- ١٦٨ مقالاته في مجلة الرسالة نموذجاً
- ١٧٠ سبع معارك أدبية خاضها بإعجاب
- ١٧١ سيد قطب ومجلة «العالم العربي»
- ١٧٢ سيد قطب ومجلة «الفكر الجديد»
- ١٧٣ مقالاته الثورية قبيل الثورة
- ١٧٤ دعوة إلى جمع مقالاته ونشرها



- المبحث السادس: المرأة في حياته ١٧٥
- فتاته الأولى في القرية ١٧٥
- فتاته الثانية قاهرية ١٧٦
- لماذا فسخ خطبتها؟ ١٧٦
- قصيدة «الكأس المسمومة» فيها ١٧٧
- قصيدة «نهاية المطاف» في فراقها ١٧٨
- قصة «أشواك» لعلاقته بها ١٨٠
- المبحث السابع: سيد قطب في أمريكا ١٨١
- طبيعة بعثته إلى أمريكا ١٨١
- قراره أن يكون صاحب رسالة وهو على الباخرة ١٨٢
- محاولات أمريكا لإسقاطه وإغوائه ١٨٣
- كشفه سوءات المجتمع الأمريكي ١٨٥
- مهاجمته أمريكا وحضارتها ١٨٧
- تنافس المخابرات البريطانية والأمريكية لاحتوائه ١٨٨
- عودته إلى مصر بعد سنتين ١٨٩
- المبحث الثامن: سيد قطب مع جماعة الإخوان المسلمين ١٩١
- مراحل حياته الإسلامية ١٩١
- تركه الأحزاب كلها ١٩٣
- سيد قطب في طريقه إلى الإخوان المسلمين ١٩٤



- ١٩٥ حادثتان دفعته إلى الإخوان
- ١٩٧ مظاهر إعجابه بحسن البناء
- ١٩٩ انضمامه إلى الإخوان المسلمين
- ٢٠٠ نشاطه السياسي والدعوي المكثف
- ٢٠١ دوره في التحضير للثورة
- ٢٠٢ تكريم سيد قطب في نادي الضباط
- ٢٠٣ ماذا قال سيد قطب وعبد الناصر في حفل التكريم
- ٢٠٥ سيد قطب في سورية وفي الأردن
- ٢٠٧ سيد مسؤول مجلة الإخوان المسلمين
- ٢٠٨ سجنه وتعذيبه والحكم عليه
- ٢٠٩ حياته في مستشفى سجن «ليمان طرة»
- ٢١١ سيد مع القرآن في السجن
- ٢١٢ كذب عبد الناصر عن عدم سجن سيد
- ٢١٣ الإفراج عن سيد قطب بشفاعة عبد السلام عارف
- ٢١٤ المبحث التاسع: استشهاده
- ٢١٤ تحليلات سيد لزوار بيته
- ٢١٦ عبد الناصر يعلن اكتشاف مؤامرة الإخوان
- ٢١٧ رؤياه حول الثعبان الأحمر
- ٢١٨ الحكم عليه بالإعدام شنقاً



- رسالتان بخط سيد لأحمد عطار ٢١٨
- مساومات وإغراءات له للاعتذار ٢٢٠
- مدير السجن يطلب من أخته إقناعه ٢٢٠
- استشهاده فجر الاثنين ١٩٦٦/٨/٢٩ م ٢٢٣

الباب الثاني

ثقافته ومواهبه وآثاره

الفصل الأول

- مصادر ثقافته في القرية ٢٢٧

المبحث الأول

- مصادر ثقافته العربية والغربية ٢٢٩
- مصادر ثقافته في القرية ٢٢٩
- مصادر ثقافته العربية ٢٣٠
- مصادر ثقافته الغربية ٢٣٢

المبحث الثاني

- رحلة الضياع ٢٣٣
- طبيعة الثقافة الغربية الجاهلية ٢٣٣
- أثر الثقافة الغربية السلبي على سيد قطب ٢٣٤
- رحلة ضياع سيد قطب غربية ٢٣٥



- ٢٣٦ قصائد له تسجل ضياعه
- ٢٣٦ ١ - قصيدة «السر» عام ١٩٣٥ م
- ٢٣٧ ٢ - قصيدة «الإنسان الأخير» عام ١٩٣٤ م
- ٢٣٨ ٣ - قصيدة «قافلة الرقيق» عام ١٩٤٦ م
- ٢٣٩ ٤ - قصيدة «أقدام في الرمال» عام ١٩٤٦ م
- ٢٤١ المبحث الثالث: نقلة بعيدة
- ٢٤١ نقله الله إلى الإيمان واليقين
- ٢٤٢ «موسيقى الوجود» في أمريكا
- ٢٤٣ وجد في الإيمان ضالته
- ٢٤٥ نشاطه الإسلامي بعد عودته من أمريكا
- ٢٤٦ كلامه عن سر «قوة الكلمة»
- ٢٤٨ سيد قطب رائد الفكر الإسلامي المعاصر

الفصل الثاني

- ٢٥١ ملامح شخصيته وخصائص أسلوبه
- ٢٥٣ المبحث الأول: أهم ملامح شخصيته
- ٢٥٣ سيد قطب يحلل نفسه
- ٢٥٤ ١ - الصدق
- ٢٥٦ ٢ - الجدية
- ٢٥٨ ٣ - الحركية



- ٤ - العصامية ٢٦٠
- ٥ - العزة والشجاعة ٢٦٢
- ٦ - الكرم والسخاء ٢٦٣
- ٧ - النزاهة والتجرد ٢٦٤
- ٨ - المثالية المثالية والثبات ٢٦٦
- المبحث الثاني: أهم خصائص أسلوبه ٢٦٨
- ١ - التصوير ٢٦٨
- ٢ - الوضوح ٢٦٩
- ٣ - السلاسة ٢٦٩
- ٤ - الثورية ٢٦٩

الفصل الثالث

- مواهبه ٢٧١
- المبحث الأول: سيد قطب الأديب ٢٧٣
- سيد يحسن استخدام مواهبه ٢٧٣
- ما هو الأدب عنده؟ ٢٧٤
- سيد عاش أدبه عملياً ٢٧٥
- المبحث الثاني: سيد قطب الشاعر ٢٧٦
- ما هو الشعر عنده؟ ٢٧٧
- ديوانه «الشاطئ المجهول» ٢٧٧



- الإسلام وعوالم الشعراء ٢٧٩
- قصيدتان إسلاميتان له ٢٨٠
- المبحث الثالث: سيد قطب الناقد ٢٨٢
- أول كتاب له في النقد ٢٨٢
- نشر أربعة كتب نقدية ٢٨٣
- سيد يُفصّل مفاتيح للشخصيات المنقودة ٢٨٤
- عقبات في طريق النقد ٢٨٥
- ما يحتاجه النقد من وقت وجهد ٢٨٦
- تقويمه لأشهر الأدباء المصريين ٢٨٧
- كان الناقد الأول في مصر ٢٨٧
- المبحث الرابع: سيد قطب القاص ٢٨٩
- جناح القصص في مكتبته ضخمة ٢٨٩
- قصص ألفها وقصص أراد تأليفها ٢٩٠
- الأسس الفنية لصياغة القصة ٢٩١
- المبحث الخامس: سيد قطب المحاضر ٢٩٢
- محاضراته عديدة متنوعة ٢٩٢
- وصف لطريقته في المحاضرة ٢٩٣
- أسلوبه الناجح في المحاضرات ٢٩٤



- المبحث السادس: سيد قطب الباحث ٢٩٦
- يستوفي ما يحتاجه البحث من وقت وجهد ٢٩٦
- بحثه يستغرق سنوات ٢٩٧
- يطلب من المؤلفين مؤلفاتهم ليدرسها ٢٩٨
- المبحث السابع: سيد قطب المحلل السياسي ٣٠٠
- تحليلاته السياسية في الأربعينيات ٣٠٠
- دعوته إلى قيام الكتلة الثالثة ٣٠١
- حديثه عن الحرب الأمريكية للسيطرة على العرب ٣٠١
- سيطرة المخابرات على الصحف العربية ٣٠٣

الفصل الرابع

- تراثه الأدبي والفكري ٣٠٥
- المبحث الأول: أهمية نشر تراثه كله ٣٠٧
- سيد قطب: قَمَّةٌ عُرِفَتْ ولم تُكْتَشَف ٣٠٧
- رد الدعوة إلى إلغاء تراثه الأدبي والفكري ٣٠٩
- تراثه غطى أربعين سنة من عمره ٣١٠
- تاريخ حياة الصحابة قبل الإسلام ٣١١
- تصنيف آثاره وأبحاثه وكتبه ٣١٢
- أهمية ترتيب كتبه حسب صدورها ٣١٣



- المبحث الثاني: تعريف بكتبه المطبوعة ٣١٥
- تجاهل كبار المؤلفين له غيرة منه ٣١٥
- ١ - مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر ٣١٦
- ٢ - الشاطئ المجهول ٣١٧
- ٣ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر ٣١٩
- ٤ - التصوير الفني في القرآن ٣٢٠
- ٥ - الأطياف الأربعة ٣٢١
- ٦ - طفل من القرية ٣٢٣
- ٧ - المدينة المسحورة ٣٢٤
- ٨ - كتب وشخصيات ٣٢٦
- ٩ - أشواك ٣٢٧
- ١٠ - مشاهد القيامة في القرآن ٣٢٩
- ١١ - روضة الطفل ٣٣١
- ١٢ - القصص الديني ٣٣١
- ١٣ - الجديد في اللغة العربية ٣٣٢
- ١٤ - الجديد في المحفوظات ٣٣٢
- ١٥ - النقد الأدبي أصوله ومناهجه ٣٣٢
- ١٦ - العدالة الاجتماعية في الإسلام ٣٣٤
- الجو الذي ألف فيه الكتاب ٣٣٥
- أحدث الكتاب ضجة في مختلف الأوساط ٣٣٦



- ١٧ - معركة الإسلام والرأسمالية ٣٣٧
- ١٨ - السلام العالمي والإسلام ٣٣٩
- ١٩ - في ظلال القرآن ٣٤٠
- الظلال في مجلة المسلمون ٣٤١
- الظلال قبل سجن سيد ٣٤٢
- الطبعة المنقحة من الظلال ٣٤٤
- لماذا سمحوا لسيد بالكتابة في السجن؟ ٣٤٥
- الظلال لون جديد في التفسير ٣٤٥
- ٢٠ - دراسات إسلامية ٣٤٧
- ٢١ - هذا الدين ٣٤٨
- ٢٢ - المستقبل لهذا الدين ٣٤٩
- ٢٣ - خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ٣٥٠
- ٢٤ - الإسلام ومشكلات الحضارة ٣٥٠
- ٢٥ - معالم في الطريق ٣٥٢
- طبيعة الكتاب ومهمته ٣٥٢
- الكتاب وصية سيد قطب للدعاة ٣٥٣
- نهاية مسيرة سيد قطب العالمية الناضجة ٣٥٤
- حقيقة كتيبات حملت اسمه بعد استشهاده ٣٥٥
- ١ - أفراح الروح ٣٥٦
- ٢ - نحو مجتمع إسلامي ٣٥٧
- ٣ - في التاريخ فكرة ومنهاج ٣٥٩



- ٤ - معركتنا مع اليهود ٣٥٩
- ٥ - تفسير سورة الشورى ٣٦٠
- ٦ - تفسير آيات الربا ٣٦٠
- ٧ - قصة الدعوة ٣٦٠
- ٨ - إسلام أو لا إسلام ٣٦٠
- ٩ - إلى المتثاقلين عن الجهاد ٣٦٠
- ١٠ - رسالة الصلاة ٣٦٠
- المبحث الثالث: بحوث لم تنشر ٣٦٢
- ثبت المراجع ٣٦٩
- الدوريات ٣٧٥
- كتب صدرت للمؤلف ٣٧٧
- المحتوى ٣٨١